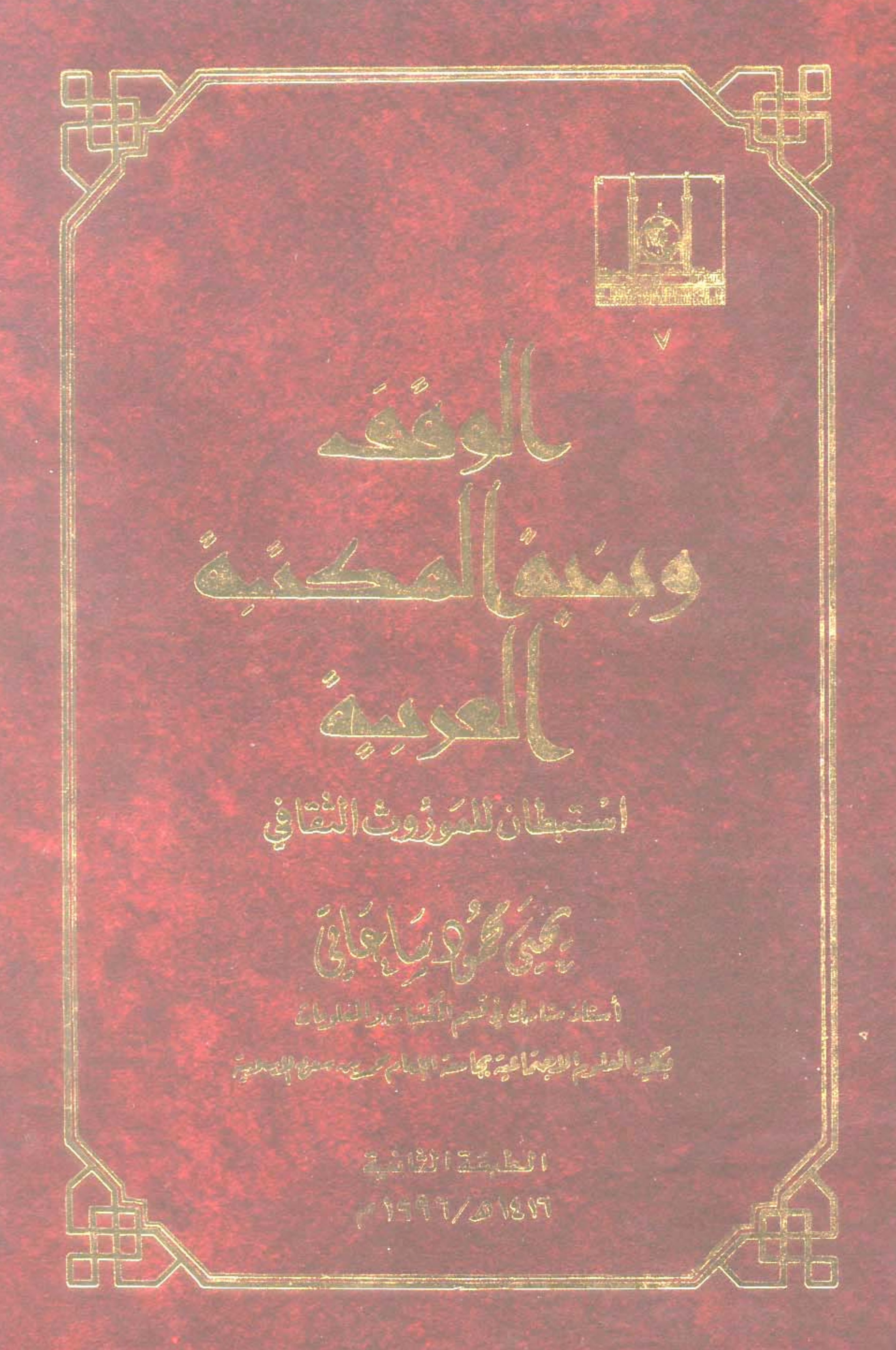
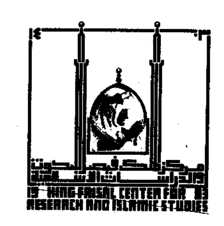

٧
الوقف وبنية المكتبة العربية
استبطان للموروث الثقافي
يحيى محمود ساعاتي
أستاذ مشارك في قسم المكتبات والمعلومات
بكلية العلوم الاجتماعية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
الطبعة الثانية
١٤١٦هـ/١٩٩٦م

مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية



٧

الوقف وبنية المكتبة العربية

استبطان للموروث الثقافي

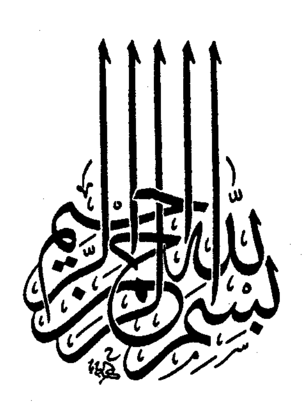
يحيى محمود ساعاتي

أستاذ مشارك في قسم المكتبات والمعلومات

بكلية العلوم الاجتماعية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

الطبعة الثانية

١٤١٦هـ - ١٩٩٦م

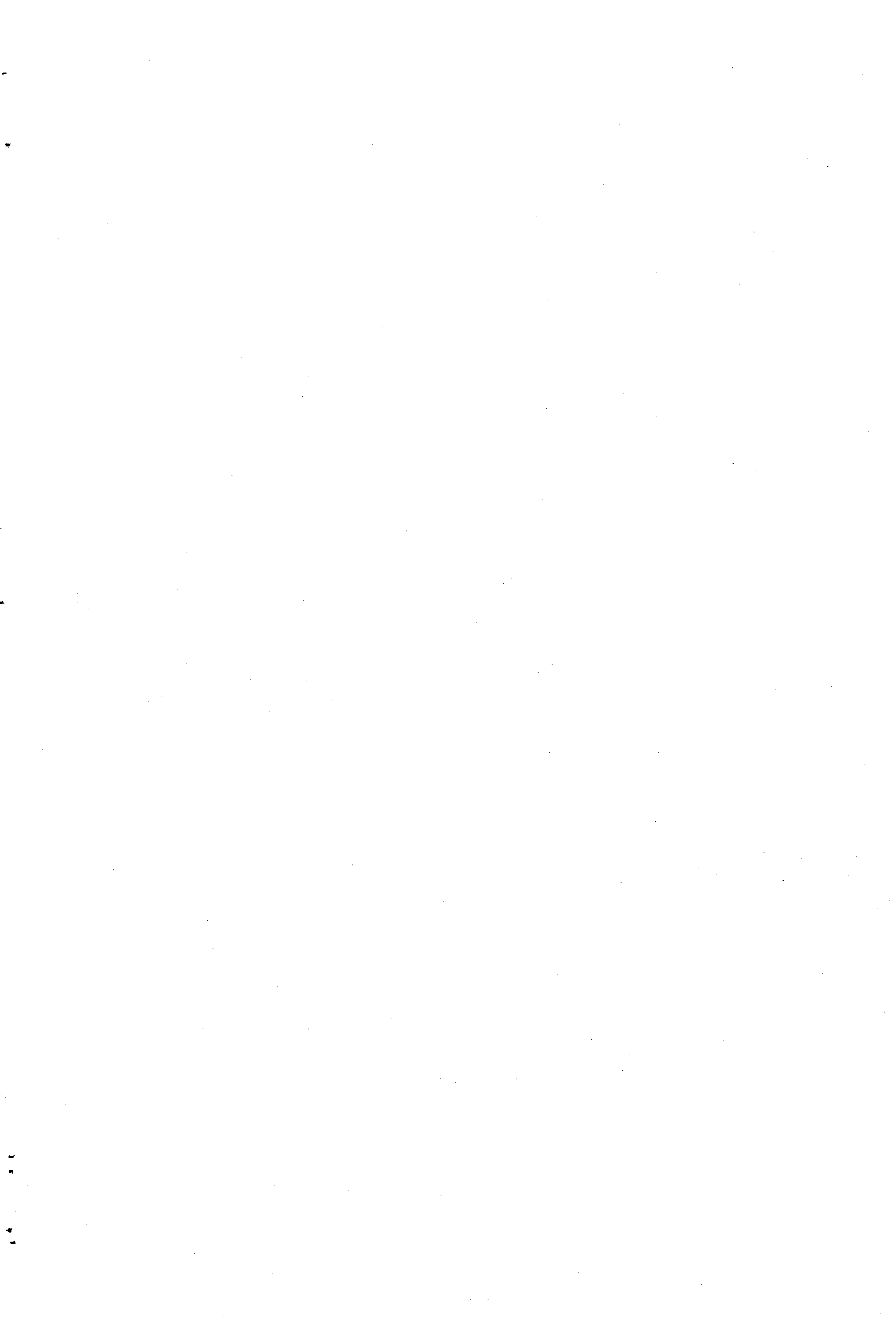

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء ..

إلى روح عبد الحكيم الجمحي

مؤسس أول مكتبة عامة في القرن الهجري

الأول بمكة المكرمة .



مقدمـــة

يجمع أكثر المفسرين على أن أول ما نزل من القرآن، هو قوله تعالى: (اقرأ باسم ربك الذي خلق. خلق الإنسان من علق. اقرأ وربك الأكرم. الذي علم بالقلم. علم الإنسان ما لم يعلم).

وقد حددت هذه الآية وما تبعها من آيات كثيرة ــ تحضّ على العلم وتعلي من قدر العلماء ــ معالم حياة المسلمين الدعوية عامة، والعلمية منها خاصة.

فصار العلم جزءاً من حياتهم اليومية، وأسلوباً في معاشهم، ودور سكنهم وصار الكتاب مركزاً للإشعاع والتنوير. وتنافس الناس في الحصول عليه، وبدأت حركة بحث وترجمة وتأليف، ونسخ وتعددت المقالات الأدبية، والقصائد الشعرية التي ترفع من شأن الكتاب، وتحث على دراسته واقتنائه.

وصار الخلفاء والأمراء والوزراء والعلماء يعطون الكتاب من وقتهم ومالهم الشيء الكثير ويتقربون إلى الله بالعلم والتعلم، والكتابة والكتاب، وأنشأوا لذلك الأوقاف على اختلاف أنواعها يحدوهم قول الرسول (ﷺ): «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له».

وقد تدافع المسلمون على هذا الجسر الحضاري العظيم ينونه بقوة الإيمان، والرغبة الصادقة في العمل الصالح. وبهذا تميز هذا الدين العظيم، وتميزت حضارته التي أبدعها على أسس إيمانية صادقة، فظهرت الكتب والمكتبات على اختلاف أشكالها وأحجامها، بل صارت المكتبة البيتية جزءاً رئيساً في بناء المنازل، مازالت آثارها باقية إلى وقتنا الحاضر.

وهذا الكتاب الذي يقدمه مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، يحكي قصة الكتب والمكتبات الوقفية، وإسهام الوقف في بناء أركان الثقافة الإسلامية المتنوعة على امتداد العصور والديار الإسلامية. كما يظهر دور جزء

كبير من المجتمع الإسلامي في بناء دور المكتبات الخاصة والعامة، والملحقة بالمدارس والمشافي والمساجد، والمقابر المنتشرة في كل المدن الكبيرة والصغيرة والقرى القريبة والنائية البعيدة. ومن خلال الحديث عن هذه الأوقاف نقف على مجموعة كبيرة من الأعلام الذين ساهموا في المسيرة الحضارية للكتاب الإسلامي، كما نقف على عدد هائل من المكتبات المختلفة التي تعكس لنا عظمة تراثنا المفقود والموجود، والوضع الثقافي والفكري لمراحل التاريخ العربي الإسلامي المتميز في كثير من جوانبه عن جميع الحضارات والمدنيات.

والمركز إذ يقدم هذا اللون الجديد من ألوان المعرفة، فإنه ليسعد أن يكون صادراً عن باحث مختص في المكتبات، وأن يكون منسجماً مع رسالة المركز في خدمة التراث، آملين أن يكون باعثاً حثيثاً للمعاصرين لمحاكاة سلفهم في خدمة العلم عن طريق وقف الكتب والمكتبات.

الأمين العام لمركز الملك فيصل للبحوث
والدراسات الإسلامية

د. زيد عبد المحسن الحسين

تمهيـــد

تعرضت عشرات الدراسات للحياة الفكرية والعلمية في فترات متعددة من تاريخ العرب والمسلمين، وركز بعضها على جزئيات منها، كما أن المكتبة حظيت بعناية بعضهم غير أنه جرى تناولها في إطار عام لتتبع تاريخها ونشأتها وتطورها.

وقد وجد الباحث أن الوقف يمثل بؤرة النهضة العلمية والفكرية العربية والإسلامية على مدار القرون، حيث أسهم الواقفون من حكام ووزراء وعلماء وأفراد في مساندة المسيرة العملية، وبالتالي إتاحة المعرفة لكافة طبقات المجتمع دون أدنى تمييز.

ووجد أن المكتبة العربية نالت نصيباً وافراً من جهد الواقفين حيث تسابق آلاف منهم في جمع الكتب ومن ثم وقفوها في دور مستقلة تمثل مكتبات عامة، وفي مدارس ومساجد ومستشفيات ومساكن للمعوزين والغرباء، فدفع ذلك إلى التفكير في وضع دراسة مستقلة تكشف جوانب هذا الموضوع.

ومن خلال عشرات النصوص المتناثرة في المصادر القديمة، وما كتب في مراجع حديثة، إضافة إلى الاستعانة بنصوص مثبتة على مخطوطات محفوظة في مكتبات أغلبها داخل المملكة، وفي مدينة الرياض بالذات، تكونت هذه الدراسة التي يعتقد أنها لا تزال قاصرة عن تقديم صورة واقعية للدور الكبير الذي أداه الوقف في تشييد هذا الجانب المهم في البنية الثقافية العربية والإسلامية.

والأمل أن يتمكن هو أو غيره مستقبلاً في استكمال ما فات لتأتي الصورة متكاملة، وعندها فقط سوف يدرك الإنسان عظم شأن دور الواقفين في ترسيخ القاعدة العلمية في البيئة العربية في قرون مضت، كانت قرون ازدهار وتقدم.

المحتويات

الفصل الأول

خطة الدراسة ومنهجها

الوقف ودوره فى بناء الحركة التعليمية والثقافية :

أسهم الوقف في إرساء دعائم ثقافية متنوعة في المجتمعات الإسلامية على مدى قرون طوال من بينها :

ــ تشييد المدارس، وتعيين المدرسين فيها، والإنفاق على طلبة العلم.
ــ الاستفادة من المساجد في التعليم بإيجاد زوايا العلم وحلقات الدرس.
ــ العناية بتوفير مصادر للمعلومات في المدارس والمساجد والربط والمارستانات

وقد شارك في هذه الأنماط الوقفية قطاع عريض من المجتمع خلفاء وسلاطين وحكام وأمراء، وأثرياء وعلماء ووزراء، وبعض من عامة الناس، والمتتبع للتاريخ الإسلامي يدرك عظم العناية المولاة لإنشاء المدارس الوقفية التي انتشرت في أرجاء العالم الإسلامي المعروف، إذ كان التسابق نحو إنشائها وإقامتها ظاهرة واضحة للعيان، حتى أن القرى النائية لم تخلو منها، فما بالك بالمدن الكبيرة التي كانت تعج بالمدارس المتنوعة من مثل دور القرآن والحديث ومدارس المذاهب الفقهية، ومدارس الطب، والمدارس الكبيرة الشاملة، ويقدم لنا كتاب النعيمي الذي وضعه في تاريخ مدارس دمشق وحدها صورة رائعة تبرز عناية لا نظير لها في التاريخ بالتعليم والحرص على نشر الثقافة، ومن كان يتولى التدريس فيها من أعلام وأقطاب في مجالات العلم المختلفة، فالكتاب كما يشير مؤلفه في مقدمته كان يهدف من وراء تأليفه: ضبط الأماكن التي وقفها بدمشق من ساق الله تعالى الخير على يديهم ووقفوا على ذلك أوقافاً دارة وبالتالي أورد فيه تاريخ مجموعة كبيرة من أسماء المدارس الوقفية في دمشق فبدأ بدور القرآن ثم الحديث ثم مدارس الأئمة الأربعة الشافعية، فالمالكية، ثم الحنفية، والحنبلية، ثم مدارس الطب. مع تراجم للأعلام الذين تصدروا للتعليم في كل واحدة منها منذ أن أنشئت[1].

ونحن وإن كنا لا نملك تاريخاً محدداً يوضح لنا متى تأسست أول مدرسة في الإسلام، إلا أن واحداً ممن تتبعوا تاريخها، يرى بأنها لم تكن معروفة في عهد الصحابة والتابعين وإنما حدث عملها بعد الأربعمائة من سنى الهجرة، وأول من حفظ عنه أنه بنى مدرسة في الإسلام أهل نيسابور فبنيت بها المدرسة البيهقية. وبنى بها أيضاً الأمير نصر بن سبكتكين مدرسة، وبنى بها أخوه السلطان محمود ابن سبكتكين مدرسة وبنى بها أيضاً المدرسة السعيدية... وأشهر ما بنى في القديم المدرسة النظامية ببغداد لأنها أول مدرسة قرر بها للفقهاء معاليم، وهي منسوبة إلى الوزير نظام الملك أبي علي الحسن بن علي بن إسحاق بن العباس الطوسي وزير ملك شاه بن ألب أرسلان بن داود بن ميكال بن سلجوق في مدينة بغداد، وشرع في بنائها سنة سبع وخمسين وأربعمائة[٢].

ولم تكن المدارس مجرد أبنية تقام، أو مجموعة من الطلاب يتلقون العلوم فيها على مدرسين في زمان ومكان محددين، بل كان أكثرها في شكل مؤسسات علمية راقية لها نظمها الخاصة التي تسير عليها، وتقاليدها التي ترعاها، ومواردها المالية التي تعتمد عليها في أداء رسالتها.

فالمدرسة المستنصرية في بغداد التي فُرغ من بنائها في عام ٦٣١ هجرية بدأ التعليم فيها وفق نظام دقيق إذ أنها :

> وقفت على المذاهب الأربعة من كل طائفة اثنان وستون فقيهاً، وأربعة معيدين، ومدرس لكل مذهب، وشيخ حديث، وقارئان وعشرة مستمعين، وشيخ طب، وعشرة من المسلمين يشتغلون بعلم الطب، ومكتب للأيتام وقدر للجميع من الخبز واللحم والحلوى والنفقة ما فيه كفاية وافرة لكل واحد[٣].

كما أن عمارة غالبية المدارس كانت على درجة كبيرة من الإتقان والسعة والجمال، ينفق عليها مالاً طائلاً بحساب الزمن الذي أنشئت فيه، فقد كانت المساحة الإجمالية لمدرسة سودون زاده (ت ٨١٠هـ) في القاهرة تصل إلى ٢٢٦٢م[٢] «تتكون من مساحة مستطيلة (٣٩ × ٢٨٫٧٠م) لها واجهتان... وكان للمدرسة بابين أحدهما رئيسي بالجهة الشمالية الغربية... والآخر جانبي

بالجهة الجنوبية الغربية... ويتوسطها صحن مستطيل (١٦ × ٧ر١٤م) مكشوف سماوي يحيط به أربع ظلات أكبرها ظلة القبلة»[٤].

والمؤكد أن جميع المدارس التي أنشئت في التاريخ الإسلامي كانت تعتمد على الوقف رغم تنوعها من حيث الحجم والإمكانات، وقد كان التعليم فيها:

> مجانياً ولمختلف الطبقات، فلم يكن يدفع الطلاب في دارستهم الثانوية والعالية رسماً ما من رسوم الدراسة... ولم يكن التعليم فيها محصوراً بفئة من أبناء الشعب دون فئة، بل كانت فرصة التعليم متوفرة لجميع أبناء الشعب، كان يجلس فيها ابن الفقير بجانب ابن الغني، وابن التاجر بجانب ابن الصانع والمزارع، وكانت الدراسة فيها قسمين، قسماً داخلياً للغرباء والذين لا تساعدهم أحوالهم المادية على أن يعيشوا على نفقات آبائهم، وقسماً خارجياً لمن يريد أن يرجع في المساء إلى بيت أهله وذويه[٥].

وإذا كان من الصعب حصر كافة المدارس التي عرفت في التاريخ الإسلامي فلا بأس من إيراد معلومات عن بعضها مستقاة من مصادر تراثية مختلفة.

فالأمير سيف الدين علي بن الأمير علم الدين بن سليمان بن جندر وكان من أكابر الأمراء بحلب، وعرف بحبه للخير: وقف مدرستين بها إحداهما على الشافعية والأخرى على الحنفية[٦].

ووقف السلطان الملك الناصر صلاح الدين أبو المظفر يوسف بن أيوب المدرسة السيوفية على الحنفية[٧].

وشيد القاضي الفاضل في سنة ثمانين وخمسمائة المدرسة الفاضلية في القاهرة ووقفها على فقهاء الشافعية والمالكية[٨].

وأسس الأمير سيف الدين أيازكوج الأسدي المدرسة الأزكشية وجعلها وقفاً على الفقهاء الحنفية فقط في سنة اثنتين وتسعين وخمسمائة[٩].

ووقف عبد الرحيم بن حامد مهذب الدين الطبيب شيخ الأطباء بدمشق

المتوفى سنة ٦٢٧هـ داره بالصاغة العتيقة مدرسة للطب(١٠).

وفي سنة ٦٤١هـ «عمر الملك المنصور عمر بن علي بن رسول صاحب اليمن مدرسة بالجانب الغربي من المسجد الحرام وأوقفها على الفقهاء الشافعية، وغبطه ملوك الأرض على هذه المدرسة وكانت هذه العمارة على يد الأمير فخر الدين الشلاح»(١١).

وأنشأ محيي الدين بن عبد الرحيم بن زكير القرشي المتوفي سنة ٧١٨هـ مدرسة في قوص ووقف عليها أوقافاً(١٢).

وعمر الملك علي بن داود بن يوسف بن عمر بن علي بن رسول صاحب اليمن مدرسة في عام ٧٣٩هـ «بالجانب اليماني من الحرم وأوقفها في ذي القعدة على الشافعية وأرباب وظائفها»(١٣).

كما وقف الأفضل عباس بن المجاهد صاحب اليمن في سنة ٧٦٨هـ مدرسة بالجانب الشرقي من المسجد الحرام على الفقهاء الشافعية(١٤).

وشارك عبد الوهاب بن عبد الله المعروف بابن أبي شاكر المتوفى سنة ٨١٩هـ فأنشأ مدرسة في منطقة بين السورين بالقاهرة ووقف عليها عدة أوقاف(١٥).

وأقام جمال الدين محمد بن محمد الناظري المتوفى في عام ٩٢١هـ مدرسة في مدينة إب باليمن ووقف عليها وقفاً جليلاً(١٦).

وما أوردناه غيض من فيض الإشارات التي تخص وقف المدارس والتي تحفل بها كتب التراث العربي.

ولعل من أهم المصادر التي يمكن للمرء مراجعتها للوقوف على تاريخ المدارس وعظم العناية بها عند العرب والمسلمين مؤلفات من مثل :

(المواعظ والاعتبار) للمقريزي.
و(الاعلاق الخطيرة) لابن شداد.
و(العقود اللؤلؤية) للخزرجي.

و(الدارس في تاريخ المدارس) للنعيمي.
و(تلخيص مجمع الآداب) لابن الفوطي.
و(تاريخ علماء المستنصرية) لناجي معروف.
و(تاريخ التعليم في الأندلس) لمحمد عبد الحميد عيسى.
و(تاريخ الجامعات الإسلامية الكبرى) لمحمد عبد الرحيم غنيمة.

* * *

وتعدى الاهتمام بالتعليم حدود المدارس إلى الإستفادة من المساجد والجوامع حيث نجد توجهاً نحو تخصيص أوقاف كبيرة يستغل ريعها في تكليف علماء بالتدريس فيها وتهيئة الظروف العادية لهم وللدارسين، فأعانت الأوقاف بذلك في أن تحتفظ المساجد بشهرتها العلمية واستمرارها مراكز للعلم في أنحاء العالم الإسلامي[١٧].

فقد خصصت أوقاف كثيرة على حلقات وزوايا للتعليم في جامع عمرو بن العاص الذي يعد أول مسجد أسس في مصر منها :

زاوية الإمام الشافعي رضي الله عنه يقال إنه درس بها الشافعي فعرفت به وعليها أرض بناحية سندبيس وقفها السلطان الملك العزيز عثمان ابن السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب، ولم يزل يتولى تدريسها أعيان الفقهاء وجلة العلماء، ومنها الزاوية المجيدية بصدر الجامع فيما بين المحراب الكبير ومحراب الخمس داخل المقصورة الوسطى بجوار المحراب الكبير رتبها مجد الدين أبو الأشبال الحارث ابن مهذب الدين أبي المحاسن مهلب بن حسَن... ومنها الزاوية الصاحبية... ومنها الزاوية الكمالية بالمقصورة المجاورة لباب الجامع... وأخبرني المقرىء الأديب المؤرخ الضابط شهاب الدين أحمد بن عبد الملك بن الحسن الأوحدي رحمه الله قال أخبرني العلامة شمس الدين محمد بن عبد الرحمن الصائغ الحنفي أنه أدرك بجامع عمرو بن العاص بمصر قبل الوباء الكائن في سنة تسع وأربعين وسبعمائة بضعاً وأربعين حلقة لإقراء العلم لا تكاد تبرح منه[١٨].

وهذا الخبر يبين لنا نشاط الحركة التعليمية التي اتخذت من هذا الجامع مركزاً على مدى قرون، وكان الوقف أكبر معين لها في استمرارها وتواصلها.

وشهد جامع ابن طولون في مصر حركة علمية دؤوبة عن طريق العناية التي أولاها إياه الأمير علم الدين سنجر الدواداري نيابة عن الملك المنصور لاجين حيث أقامه في نيابة دار العدل، وجعل إليه شراء الأوقاف على الجامع الطولوني وصرف إليه كل ما يحتاج إليه في العمارة، فأزال كل ما كان فيه من تخريب وبلطه وبيضه ورتب فيه دروساً لإلقاء الفقه على المذاهب الأربعة التي عمل أهل مصر عليها الآن، ودرساً يلقى فيه تفسير القرآن الكريم ودرساً لحديث النبي (ﷺ) ودرساً للطب(١٩).

وكان جامع الحاكم الذي أسسه الخليفة الفاطمي العزيز بالله نزار بن المعز لدين الله، وأكمله الحاكم بأمر الله ابنه من مراكز التعليم الكبيرة في العصر المملوكي، بخاصة في عصر الأمير ركن الدين بيبرس الجاشنكير الذي وقف عليه عدة أوقاف في الجيزة والصعيد والاسكندرية، «ورتب فيه دروساً أربعة لإقراء الفقه على مذاهب الأئمة الأربعة ودروساً لإقراء الحديث النبوي، وجعل لكل درس مدرساً وعدة كثيرة من الطلبة»(٢٠) ولم يقتصر التدريس في هذا الجامع على الفقه والحديث فقد شمل أيضاً النحو والقراءات(٢١).

* * *

وكانت الربط والخانقاهات، التي كانت تأوي الفقراء والغرباء والطلاب، وتعتمد اعتماداً كلياً على الوقف مسرحاً لنشاط علمي مكثف ولا يستبعد المرء أن بعضها استغل في التعليم وإقامة حلقات الدرس نظراً لمجاورة مجموعة كبيرة منها للمساجد والمدارس، إضافة إلى احتوائها خزائن للكتب، وإقامة أعلام مشاهير من الفقهاء والعلماء فيها.

* * *

وقد أدرك كافة الواقفين للمدارس وزوايا العلم وحلقات الدرس في المساجد أهمية الكتاب في العملية التعليمية، وأن الاقتصار على تشييد الأبنة وتوفير جهاز

للتدريس غير كاف، فاهتموا بوقف الكتب عليها لتكون وسيلة ميسرة للتحصيل والمراجعة، توفر مادة علمية يستند عليها المعلم والمتعلم في وقت واحد، فأصبح من المعتاد وجود مكتبة في كل مدرسة أو جامع فيه زوايا للعلم، أو رباط وقف على طلبة العلم وغيرهم.

وترتكز هذه الدراسة على رغبة في استخراج دور الوقف الإسلامي في تشييد بنية المكتبة العربية على مدار القرون.

الهدف من الدراسة وأهميتها :

تظل معلوماتنا قاصرة عن الوضع الثقافي والفكري الذي شهدته مراحل التاريخ العربي على مدى القرون، والقضية ليست اجتراراً لنتف أو مجاراة لآراء وأقوال للوصول إلى تأكيد وترسيخ لصورة لعل من شكّلها اجتهد حقيقة، ولكن ليس من الالزام قبول ما وصل إليه أو إعادة بنائه بألفاظ مغايرة.

فالقول أن عصر الانحطاط كان بعد سقوط بغداد، هو من الأقوال التي لم تعد تقو على الصمود أمام الحقائق المغروسة المتجذرة التي بدأت تتكشف لنا من خلال محاولة تكوين صورة إجمالية للثقافة والفكر العربي، لا تقوم على التجزئة السكانية، ولا على التجزئة الموضوعية، فإن كان هناك انحطاط في الأدب فليس بالضرورة أن يكون ذلك قد أصاب الطب والفلسفة وعلوماً أخرى.

كل ذلك لابد أن يربط بحركة التعليم في المساجد والمدارس، وأن يربط بالتوجه نحو ترسيخ قاعدة التعليم المرتكز على أسس منفتحة لا يهيمن عليها الكتاب المدرسي، بل الأخذ من أكثر من مصدر والاطلاع على الآراء حميدها ومذمومها لاستخلاص موقف ذاتي، وكان ذلك في تشييد بنية المكتبة العربية.

وقد ارتبطت حركة الثقافة العربية بشكل عميق وقوى بالمكتبة، منذ أن شرع العرب في تشكيل أعمال تأليفية بسيطة وتوجهوا نحو تخصيص مكان يجمع فيه ما يصنف ويؤلف ليصل إليه أكبر قدر ممكن من القراء.

ولعل مما يؤكد ذلك أن عبد الحكم الجمحي شيد في فترة مبكرة مكتبة في مكة وجعلها عامة، ولجذب أكبر قدر من القراء طعمها بوسائل ترفيه وتسلية قد

تدفع من يرضى بذلك إلى محاولة أن يقرأ، فكان سابقاً منذ مئات السنين للإتجاه الغربي في إنشاء مكتبات عامة تملك وسائل ترفيه وتسلية لجذب عامة القراء.

ومنذ البدء كان الفرد هو صاحب الفضل في ترسيخ بنية المكتبة، هو الذي يبحث ويجمع ويكون مكتبة، ثم يوقفها لتكون نافذة ثقافة للجميع.

وقبل المدارس: كانت دور العلم، أو بمفهومنا المعاصر المكتبات العامة، مثل دار العلم في الموصل، ودار العلم في بغداد، ودار العلم في البصرة، ودار الحكمة... وبيت الكتب في الري هي المدارس يذهب العالم وطالب العلم المبتدىء إليها فيقرأ.. ويطالع.. وإن أتيح له الوقت ناقش وجادل وحاور من يلتقي بهم في أحضان المكتبة العامرة.

وكأنما رجال الإصلاح ومحبو الخير وجدوا أن المكتبة العامة وحدها لم تعد تكفي وتشبع نهم طلاب العلم، فكان أن شيدت المكتبات في الجوامع... ثم ظهرت المدارس فتواكب قيام المدرسة مع قيام المكتبة.. وما كان الفرد الذي يقيم مدرسة يفعل ذلك دون أن يقيم مكتبة في داخلها أو بجوارها.

كل ذلك لم يكف فجاءت مكتبات المارستانات أو (المستشفيات) بلغتنا المعاصرة لتكون مكتبات متخصصة، ومكتبات الربط والخانقاهات، فمن لم يتمكن من الاطلاع والقراءة في المكتبات العامة ومكتبات المدارس والجوامع.. عاد إلى رباطه فاستخدم مكتبة الرباط أو الخانقاه فقرأ واستمتع.

وما قدم جاء في ظل تنظيم وترتيب دقيقين لكافة الجوانب ذات العلاقة بالكتاب والموظف والمستفيد.

وتكشف هذه الدراسة جانباً من جوانب إشراق الماضي، وتكشف أيضاً بعض أسرار التراث لمن يرغب أن يخوض في بحره اللجب دون تحيز، ودون أن يستهدف بذلك عمل مفاضلة بين ماض مشرق، وحاضر لا بد أن يكون مشرقاً، فالتراث ليس قصيدة وليس قطعة إنشاء بديعة، وهو ليس طريقاً لقتل روح الإبداع المعاصر بحجة حماية التراث والحفاظ عليه، بل هو فتح واستخراج لشواهد تدلل على أن ما كان في الماضي لا يقل عظمة وقوة عما هو في الحاضر لدى الأمم والشعوب المتقدمة.

وإذا كان يعجبنا الاهتمام الغربي بالمكتبات وتركيزه عليها من واقع معرفته بدورها في التشييد والبناء الحضاري، فإن الماضي يشهد أن ذلك ما فعله الآباء والأجداد، فكانت المكتبة في المدينة الكبيرة والقرية الصغيرة مفتوحة للجميع، وكل ذلك اعتماداً على الوقف، دون أن ينتظر الفرد أن تقوم الدولة بإنشاء المدرسة ثم المكتبة أو المكتبة العامة، أو الجامع والمكتبة.

وتهدف هذه الدراسة إلى توضيح نشأة ومسار المكتبة العربية التي اعتمدت على الوقف أو قامت عليه، دون تناول المكتبات الخاصة أو تلك التي لم يثبت ما يؤيد وقفها كل ذلك اعتماداً على الشواهد التراثية طالما توفرت، مع الإستعانة بأعمال حديثة عند عدم توفر النص التراثي، وعدم التوفر غالباً ما يكون عجزاً وكسلاً من الباحث نفسه.

وتنطق الدراسة من مجموعة من المسلمات التي تتمحور حول التالي :

١ ـ أن وقف الكتب عند المسلمين كان العامل الأساسي في توفير المعرفة لطلاب العلم على مدى قرون طويلة.

٢ ـ أن هذا النمط من الوقف أسهم في انتشار المكتبات بأنواعها المختلفة في التاريخ الإسلامي.

٣ ـ أن الكتب الوقفية تبددت وفقد منها الكثير نتيجة للإهمال وتعرضها للسرقة والنهب.

٤ ـ أن أغلب التراث العربي الإسلامي المخطوط الذي تضمه المكتبات في العالم كان نتيجة لتجميع المكتبات الوقفية في العصر الحديث، أو التصرف في الكتب الوقفية بالبيع، وبالتالي قيام أفراد أو هيئات بشرائها ووضعها في مكتبات من جديد.

الدراسات السابقة :

تعرض مجموعة من الباحثين العرب لموضوع وقف الكتب والمكتبات من بينهم الدكتور عبد اللطيف إبراهيم أستاذ الوثائق في قسم المكتبات والوثائق بكلية الآداب بجامعة القاهرة الذي وضع مجموعة من الدراسات الوثائقية التي كشفت جوانب من هذا الموضوع ، وقد جمع تلك الدراسات ونشرها في كتاب بعنوان:

دراسات في تاريخ الكتب والمكتبات الإسلامية صدر في القاهرة عام ١٩٦٢ / ١٣٨٢هـ، واشتمل على خمسة بحوث أولها بعنوان (المكتبة المملوكية) تناول فيها واقع المكتبات في ذلك العصر، ومن الأمور التي عرض لها قضية اختيار الكتب وتزويد المكتبة فذكر أن الواقف وهو منشيء المدرسة عادة، كان يحبس على خزانتها مجموعة من الكتب والمصاحف التي كانت تحتويها خزانته الخاصة وغيرها من أدوات الكتابة[٢٢] إضافة إلى شراء كتب أخرى، ومن ثم وقفها على المدرسة، ووضع علامة وقفه عليها[٢٣].

وكان البحث الثاني بعنوان (مكتبة في وثيقة وقفية دراسة للمكتبة ونشر الوثيقة) عرض فيه لوثيقة علي بن سليمان الابشادي المالكي، والمسجلة في عام ٩١٩هـ، والتي تضمنت وقف منزل ومكتبة خاصة بما فيها من كتب وأدوات، وقد أشار في دراسته هذه إلى مجموعة من الكتب الوقفية في مختلف الموضوعات.

وفي الدراسة الثالثة وهي بعنوان (وثيقة بإستلام كتب: دراسة وتحليل ونشر) عرض فيها وثيقة إدارية وهي عبارة عن كشف بالكتب الوقفية التي تسلمها أحد أمناء المكتبات في العصر المملوكي، وهو الشيخ شمس الدين محمد بن جمال الدين عبد الله بن عبد العزيز المغربي، من الواقف وهو عيسى بن عبد الرحمن الزواوي المالكي، ويعود تاريخها إلى عام ٨٨٣ هجرية.

أما الدراسة الخامسة فكانت بعنوان (مكتبة عثمانية: دراسة نقدية ونشر لرصيد المكتبة) عرض فيها لوثيقة وقف الأمير محمد بك أبو الذهب التي ضمنها وقفه لمكتبته على طلبة العلم بجامعه، ويعود تاريخها إلى عام ١١٨٨هـ.

وتعتبر دراسات الدكتور عبد اللطيف إبراهيم على درجة كبيرة من الأهمية نظراً لاعتماده فيها على نصوص وثائقية قام بتحليل محتواها ونشر نصوص أغلبها.

والعمل الثاني الذي يمكن أن نشير إليه في هذا المجال هو :

خزائن الكتب القديمة في العراق منذ أقدم العصور حتى سنة ١٠٠٠ للهجرة:

لكوركيس عواد، وقد نشر في بغداد عام ١٩٤٨م ثم أعادت نشره دار الرائد

في بيروت عام ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م، وقد أشار كوركيس عواد في كتابه هذا إلى مجموعة كبيرة من خزائن الكتب الوقفية على مر العصور في العراق من مثل دار العلم بالموصل وخزانة المدرسة المستنصرية في بغداد وغيرهما... استقى معلوماته من كثير من المصادر التراثية القديمة.

وهناك أيضاً كتاب: **بيت الحكمة** لسعيد الديوه جي الذي نشرته مؤسسة دار الكتب للطباعة والنشر في الموصل عام ١٣٩٢هـ / ١٩٧٢م، وقد عرض الديوه جي في هذا الكتاب لمجموعة من المكتبات القديمة مثل بيت الحكمة في بغداد، وبيت الحكمة في القيروان، ودار الحكمة في القاهرة، ودار الحكمة في طرابلس، ودار الحكمة في مراغة، ودار العلم في الموصل التي وقفها جعفر بن حمدان، ودار العلم في بغداد التي وقفها سابور بن أرد شير.

كما عرض لموضوع الوقف الدكتور محمد ماهر حمادة في كتابه. **المكتبات في الإسلام نشأتها وتطورها ومصائرها**. وصدر عن مؤسسة الرسالة في عام ١٣٩٠هـ / ١٩٧٠م ثم نشر مرة أخرى عن الدار نفسها في عام ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م، وقد أشار في ثنايا الكتب إلى بعض المكتبات الوقفية، كما تحدث عن قضية وقف الكتب وحبسها على المكتبات فذكر أن الوقف كان يعد مصدراً مهماً من مصادر تزويد المكتبات بالكتب، حيث درج الخلفاء والحكام والعلماء والأغنياء وأهل الخير على أن يوقفوا أشياء كثيرة على المساجد والمدارس والمعاهد والمشافي.. وكان للمكتبات نصيب موفور من حسنات المحسنين وأوقاف الواقفين[٢٤].

وشارك عبد الله الحبشي بعرض جوانب من وقف الكتب عند المسلمين في كتابه. **الكتاب في الحضارة الإسلامية** الذي نشرته شركة مؤسسة الربيعان للنشر والتوزيع في الكويت عام ١٩٨٢م، وأغلب ما يتعلق بالوقف نجده في الجزء الذي تحدث فيه عن جمع الكتب والاحتفاظ بها.

وألمح الدكتور عبد الستار الحلوجي إلى بعض المكتبات الوقفية في كتابه. **المخطوط العربي منذ نشأته إلى آخر القرن الرابع الهجري**، الذي نشرته جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في عام ١٣٩٨هـ.

منهج الدراسة :

اعتمد الباحث في هذه الدراسة على منهج وصفي تحليلي، حيث لجأ إلى عدد طيب من الكتب التراثية المختلفة للبحث عن نصوص ذات علاقة بقضية وقف الكتب والمكتبات، ومن ثم قام بتجميعها، وعمل على مقارنتها وفحصها والتعليق عليها، كما استعان بمراجع حديثة أغلبها يتصل بدراسة تاريخ الكتب والمكتبات عند العرب والمسلمين، ومكنته تلك النصوص من استخلاص الحقائق التي طرحها في ثنايا البحث.

كما استفاد الباحث من عدد كبير من المخطوطات التي تحمل نصوصاً وقفية مكنته من التعرف على أساليب صياغة نصوص الوقفيات وأنماطها، اختار جملة منها ضمنها هذا البحث، واستخرج منها حقائق عن كيفية إدارة الوقف وحفظه.

وقد عمد الباحث إلى توزيع هذه الدراسة على مقدمة وستة فصول، ثم النتائج والتوصيات.

فتناول في الفصل الأول خطة الدراسة ومنهجها حيث عرض للحركة الثقافية والتعليمية، وما أسهم به الوقف من تعميق جذورها وبسطها على رقعة كبيرة من العالم العربي الإسلامي، وأهداف الدراسة ومسلماتها ومنهجها.

ودار الفصل الثاني حول المكتبات العامة وتطور إنشائها، ومدى انتشارها وحجم مجموعاتها، والمصير الذي آلت إليه فيما بعد.

وفي الفصل الثالث: تناول مكتبات الجوامع والمساجد والمدارس، وقد جعلها في فصل واحد نظراً لتشابه الهدف من وراء ايجادها فيها، وكان هدفاً تعليمياً في الغالب، إذ قامت المساجد والجوامع بدور المدارس في الفترات الأولى من التاريخ الإسلامي.

ويتعرض الفصل الرابع: لمكتبات كانت أقل انتشاراً من سابقتها، وإن كانت تعد نماذج فريدة في التاريخ الحضاري، وهي مكتبات المارستانات (المستشفيات) والربط والخانقاهات التي تكشف عن اهتمام منقطع النظير بإشاعة القراءة بين

الأفراد والوصول إليهم في كل مكان، كما اشتمل الفصل على جزء تحدث فيه الباحث عن الوقف الخاص وما أدى إليه من ظهور مكتبات وقفية خاصة بالأسر والأفراد.

وقد رتب الباحث المكتبات التي تحدث عنها في الفصول الثلاثة السابقة اعتماداً على أقدم نص يشير إلى أن كتباً قد تم وقفها عليها، أو اعتماداً على تاريخ تأسيسها مكتبة وقفية، وعند ورود إشارة مغفلة من التاريخ فإن الاعتماد على تاريخ تأسيس الجهة، وقد سار الباحث على هذا النهج باعتبار أن الكتاب يتحدث عن وقف الكتب والمكتبات، وليس عن تاريخ إنشاء الجهات التي تضم أوقافاً من الكتب.

وعالج الفصل الخامس: قضايا تتصل بالتنظيم والإدارة، وقد استفاد الباحث فيه من النصوص الوقفية التي جاءت على بعض المخطوطات التي اطلع عليها، ومما أشار إليه طرق إثبات الوقف التي جاءت على أنماط متعددة، كما ناقش جملة من القضايا ذات الصلة بالإدارة والتنظيم مثل أبنية المكتبات، وسبل اختيار الكتب الوقفية والإشراف على الوقف وإدارته، وتنظيم المكتبات الوقفية.

أما الفصل السادس وهو الأخير فقد خصص للبحث في مصائر الكتب والمكتبات الوقفية، وقد ارتكز على محورين الأول: كان لمرحلة الضياع والتشتت التي أدت إلى فقدان عشرات الآلاف من المخطوطات، والثاني: مرحلة العودة إلى التجميع من خلال التنبه إلى الأضرار المفرطة التي أصابت الوقف الإسلامي في هذا المجال.

ثم انتهى الكاتب إلى سرد جملة من النتائج والتوصيات التي جاءت ثمرة لكل ما تناوله في الفصول السابقة.

ولا شك أن العينة المخطوطة التي استند عليها في استخراج النصوص تعد عينة شاملة غطت جوانب كثيرة تتعلق بهذا الموضوع، كما أن النصوص التراثية التي استند عليها قدمت هي أيضاً صورة جيدة لمسار هذا الجانب الحضاري في تاريخنا العربي الإسلامي.

الهوامش

١ ــ النعيمي الدمشقي، عبد القادر بن محمد (ت ٩٢٧) / **الدارس في تاريخ المدارس** تحقيق جعفر الحسني. ــ دمشق: المجمع العلمي العربي، ١٣٦٧هـ ــ ١٩٤٨م، ١/٥.

٢ ــ المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي (ت ٨٤٥هـ) / **كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار**. ــ طبعة جديدة بالأوفست. ــ بيروت: دار صادر، د. ت، ص ٢/٣٦٣.

٣ ــ ابن كثير، عماد الدين اسماعيل بن عمر (ت ٧٧٤) / **البداية والنهاية**. ــ ط٢ .ــ بيروت: مكتبة المعارف، ١٩٧٧م، ١٣ / ١٣٩.

٤ ــ نويصر، حسني محمد «مدرسة جركسية على نمط المساجد الجامعة مدرسة الأمير سودون من زاده بسوق السلاح» **العصور** مج ١ ج ١ (يناير ١٩٨٦م ــ جمادي الأولى ١٤٠٦هـ) ص ٣٨.

٥ ــ السباعي، مصطفى / **من روائع حضارتنا**. ــ ط٢. ــ بيروت: دار الإرشاد، ١٣٨٨هـ ــ ١٩٦٨م، ص ١٣٢.

٦ ــ ابن كثير، ١٣ / ١٠٨.

٧ ــ المقريزي، ٢ / ٣٦٥.

٨ ــ السابق، ٢ / ٣٦٦.

٩ ــ السابق، ٢ / ٣٦٧.

١٠ــ ابن شاكر الكتبي، محمد (ت ٧٦٤) / **فوات الوفيات والذيل عليها** تحقيق إحسان عباس. ــ بيروت: دار صادر، دار بيروت (١٩٧٣م) ٢/٣١٥.

١١ــ ابن فهد، النجم عمر بن محمد بن محمد (ت ٨٨٥هـ) /**اتحاف الورى بأخبار أم القرى**، تحقيق فهيم شلتوت. ــ مكة المكرمة: مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي بجامعة أم القرى (١٩٨٤م) ٣ / ٦٠.

١٢ــ الأسنوي، جمال الدين عبد الرحيم (ت ٧٧٢هـ) / **طبقات الشافعية** تحقيق عبد الله الجبوري. ــ الرياض: دار العلوم، ١٤٠١هـ ــ ١٩٨١م، ٢/٢٦.

١٣ــ ابن شاكر الكتبي، محمد (ت ٧٦٤) / **عيون التواريخ**، تحقيق نبيلة عبد المنعم داود وفيصل السامر. ــ بغداد: وزارة الثقافة والإعلام، ١٩٨٤م، ١١ / ١٨٣.

١٤ــ ابن فهد، ٣ / ٣٠٦.

١٥ــ السخاوي، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن (ت ٩٠٢هـ) / **الضوء اللامع لأهل القرن التاسع**. ــ بيروت: دار مكتبة الحياة، د. ت، ٥ /١٠٣.

١٦ــ ابن الديبع الشيباني، عبد الرحمن بن علي (ت ٩٤٤هـ) / **الفضل المزيد على بغية المستفيد في أخبار زبيد**، تحقيق محمد عيسى صالحية. ــ الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ١٤٠٢هـ ــ ١٩٨٢م، ص ٢٧٤، العيدروسي، محيي الدين عبد القادر / **النور السافر عن أخبار القرن العاشر**. ــ د. م، د. ن، د. ت، ص ١٠٥.

١٧ــ أمين، محمد محمد / **الأوقاف والحياة الاجتماعية في مصر ٦٤٨ ــ ٩٢٣هـ / ١٢٥٠ ــ ١٥١٧م دراسة تاريخية وثائقية**. ــ القاهرة: دار النهضة العربية، ١٩٨٠م، ص ٢٦٠.

١٨ــ المقريزي، ٢ / ٢٥٠ ــ ٢٥١.

١٩ــ السابق، ٢ / ٢٦٨.

٢٠ــ السابق، ٢ / ٢٧٨.

٢١ــ السابق، ٢ / ٢٧٨.

٢٢ــ إبراهيم علي، عبد اللطيف «المكتبة المملوكية» في: **دراسات في تاريخ الكتب والمكتبات الإسلامية**. ــ القاهرة: المؤلف، ١٩٦٢م، ص ٤٩.

٢٣ــ السابق، ص ٤٩.

٢٤ــ حمادة، محمد ماهر / **المكتبات في الإسلام، نشأتها وتطورها ومصائرها**. ــ ط٢. ــ بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٣٩٨م، ص ص ١٧٢ ــ ١٧٣.

الفصل الثاني

بدايات وقف الكتب وظهور المكتبات العامة

وقف الكتب: تاريخه وتطوره:

يرى عبد الله الجبوري أن حب المسلمين للعلم وأهله وحث الإسلام على التعلم كان وراء استثناء الفقهاء لجواز.

> وقف المنقول الذي جرى بوقفه كالكتب من الأصل العام في الوقف، وهو أن يكون الوقف مؤبداً فلا يصح إلا في العقار لا في المنقول، وجعلوه من باب الاستحسان، وسنده المعروف، ومن هنا نشأ وقف الكتب، وطفق المسلمون، وأهل الخير والإحسان يوقفون الكتب نفعاً للناس، وحباً لعمل الخير[1].

ولا نجد تاريخاً مؤكداً يحدد لنا بداية الاتجاه نحو هذا النمط من الوقف، ومع ذلك فقد نتلمس هذه البدايات في مكتبة عبد الحكم الجمحي التي أنشأها في مكة المكرمة في القرن الهجري الأول، والتي لا نجد عنها غير الخبر التالي :

> أخبرني الحرمي، قال حدثنا الزبير، قال حدثني عبد الرحمن عن عبد الله بن عمرو الجمحي قال كان عبد الحكم بن عمرو بن عبد الله بن صفوان الجمحي قد اتخذ بيتاً فجعل فيه شطرنجات ونردات وقرقات ودفاتر فيها من كل علم، وجعل في الجدار أوتاداً فمن جاء علق ثيابه على وتد منها ثم جر دفتراً فقرأه أو بعض ما يلعب به فلعب به مع بعضهم[2].

وليس في الخبر ما يشير إلى وقف أو خلافه، غير أن الإشارة إلى اتخاذ بيت ووضع كتب فيه، إلى جانب بعض وسائل التسلية يوحى بأن القصد كان إفادة الناس عامة وإتاحة الفرصة لهم للاطلاع داخل البيت، وهو ما يوحى بأن عبد

الحكم كانت تخامره فكرة الوقف وإن لم ينفذها بالطريقة التي انتشرت في القرن الرابع الهجري.

ورغم أن المصادر القديمة تتحدث عن مكتبات خاصة، وعن أفراد جمعوا كتباً إلا أنها لم تذكر ما يفيد بلجوء أي فرد منهم إلى وقفها بعد وفاته، وذلك في القرون الثلاثة الأولى ويبدو أن الأسباب تعود إلى قلة المصنفات وتحرج البعض من استخدام الكتب وتحبيذ النقل شفاهاً والأخذ عن العلماء مباشرة عن طريق الرواية دون الاستعانة بوسيلة مكتوبة.

وتبرز لنا في القرن الثاني الهجري، مؤسسة علمية هي بيت الحكمة التي كان من بين أقسامها مكتبة حظيت بعناية مجموعة من خلفاء بني العباس، وإن كان المأمون أكثرهم اهتماماً بها ورعاية لها ودعماً لتنمية مجموعاتها، وذلك عن طريق إيفاد مبعوثين إلى بلاد الروم لجلب الكتب الفلسفية وغيرها، وإضافة إلى الاهتمام بالمصنفات العربية لكبار العلماء من مختلف مناطق الخلافة العباسية. ولكن لا نستطيع بحال من الأحوال إدخال مثل هذه المكتبة ضمن المكتبات الوقفية لافتقارنا إلى السند العلمي الصريح في هذا الصدد، وإن كان الهدف من وراء إنشائها كان مساعدة العلماء والباحثين بتوفير أكبر قدر من مصادر المعلومات لهم «لتسهيل سبل الدرس والمطالعة والتأليف والترجمة لمن يرغب في ذلك، فقد كان يتعذر على الناس أن يقفوا على الكتب العلمية النادرة والتي ترجمت من اللغات المختلفة إلى اللغة العربية... فذلل الخلفاء للناس سبل المطالعة والدرس في بيت الحكمة الذي أنشيء لنشر العلوم والمعارف المنقولة عن الأمم الأخرى...»[٣] وهذا الهدف يقترب دون شك من هدف الذين أسهموا في وقف الكتب والمكتبات بشكل صريح في مرحلة تالية، إذ أنه مع ازدهار التأليف، ونشاط الحركة العلمية في العالم الإسلامي المعروف في ذلك الوقت، وكثرة الدارسين بدأ الشعور بأهمية توفير الكتب لأكبر عدد من المستفيدين يتعمق في نفوس الحكام والوزراء والعلماء والأثرياء، ووجد هؤلاء في الكتاب وسيلة من وسائل العمل الخيري من منطلق الرغبة في إشاعة العلم والتغلب على مصاعب الحصول على الكتب من أنحاء العالم الإسلامي لطلبة العلم في مدن ومناطق معينة، فأدى ذلك إلى ظهور الوقف الخاص بالكتب والمكتبات.

فمن الناس من يوقف كتبه على المسلمين عامة دون تعيين فتوضع كتبه في خزانة الجامع، ومنهم من يخصص فيقول أوقفتها على المكان الفلاني أو البلدة الفلانية... إلخ، ومنهم من يترك استعمالها حراً، على حين يضع آخرون شروطاً لاستعمالها وإعارتها كما فعل القاضي ابن حيان الذي منع إعارة كتبه خارج المبني... وبعضهم وقف كتبه على أهل العلم كما فعل ابن الخشاب...[٤]

وتنوع الوقف فشمل وقف مكتبات بأكملها، ووقف الكتب على المدارس والمساجد والمشافي والمراصد والربط والخانقاهات، كما كان هناك نوع من الوقف يتمثل في وقف كتب عالم بعد وفاته على أهل العلم أو على ورثته، واهتم واقفوا المكتبات المستقلة أو تلك التي تكون في مدارس أو مساجد بتوفير دخل مادي ثابت لها لصيانتها وترميمها، وتحمل التكاليف المادية للعاملين فيها، وعين بعضهم ريعاً يساعد على نماء المجموعة وازدهارها عبر السنين.

وقد انتشرت خزائن الكتب الوقفية في أرجاء العالم الإسلامي منذ القرن الرابع الهجري، لدرجة أننا «قلما نجد مدينة تخلو من كتب موقوفة»[٥] وأصبحت هذه المكتبات بما فيها من كتب وقفية قبلة لطلاب العلم تعينهم على التزود بكل جديد وتوفر لهم فرص مواكبة الأفكار والآراء المدونة لمؤلفين من أصقاع العالم الإسلامي، وقد بلغ من انتشارها وتوافرها في الأندلس أن أبا حيان النحوي كان يعيب على مشتري الكتب ويقول: «الله يرزقك عقلاً تعيش به، أنا أي كتاب أردته استعرته من خزائن الأوقاف»[٦].

وللتدليل على ضخامة عدد المكتبات الوقفية وشيوعها نشير إلى أنه كانت في مدينة مرو الشاهجان عشرة خزائن للوقف، وذلك في القرن السابع الهجري، يقول عنها ياقوت الحموي :

لم أر في الدنيا مثلها كثرة وجودة منها خزانتان في الجامع إحدهما يقال لها العزيزية، وقفها رجل يقال له عزيز الدين أبو بكر عتيق الزنجاني أو عتيق بن أبي بكر، وكان فقاعياً للسلطان سنجر، وكان في أول أمره يبيع الفاكهة والريحان بسوق مرو... وكان فيها اثنا عشر ألف مجلداً أو

ما يقاربها والأخرى يقال لها الكمالية... وبها خزانة شرف الملك المستوفي أبي سعد محمد بن منصور في مدرسته... وخزانة أخرى في المدرسة العميدية، وخزانة لمجد الملك أحد الوزراء المتأخرين بها، والخزائن الخاتونية في مدرستها، والضميرية في خانكاه هناك، وكانت سهلة التناول لا يفارق منزلي منها مائتا مجلد وأكثره بغير رهن...[٧]

ويبدو أن كثيراً من الأعمال المشهورة التي كانت في حوزة علماء كبار كانت تستقر بشكل أو بآخر في مكتبات الوقف، فقد كان الخطيب التبريزي المتوفي سنة ٥٠٢ هـ يملك نسخة من التهذيب في اللغة لأبي منصور الأزهري حملها معه من تبريز إلى المعرة، ولم يكن لديه مالٌ كافٍ يستأجر به مركوباً فكان يسير على قدميه حاملاً نسخة التهذيب في مخلاة مما تسبب في نفاد العرق إليها وأثر فيها البلل، ثم إن هذه النسخة استقرت أخيراً في إحدى المكتبات الوقفية في بغداد في القرن السابع الهجري[٨].

وكانت هذه المكتبات بكتبها الوقفية ، إضافة إلى المكتبات الخاصة مثل مكتبات الخلفاء والأمراء والوزراء والعلماء وراء حركة الازدهار الفكري والثقافي التي شهدها العالم الإسلامي على مدى قرون طويلة، فقد اعتمد عليها علماء مشاهير في وضع مصنفاتهم، من مثل ياقوت الحموي الذي يشير إلى استفادته من خزائن كتب مرو الشاهجان حيث يقول: «وأكثر فوائد هذا الكتاب (يقصد معجم البلدان) وغيره مما جمعته فهو من تلك الخزائن»[٩].

دور الكتب المستقلة:

واعتماداً على المصادر التي اطلعنا عليها، نجد أن وقف دور الكتب أو خزائن الكتب المستقلة هو أقدم أنواع وقف الكتب والمكتبات عند المسلمين، ومن الطبيعي أن يكون أوائل المسهمين في هذا النوع من الوقف هم الخلفاء والحكام والوزراء والأثرياء نظراً لتوفر المال لديهم، ووجود الحافز نحو المشاركة في عمل خيري عن طريق استغلال جزء من ثرواتهم للصالح العام رغبة في الثواب وأملاً في ترك انطباع حسن لدى مستخدمي هذه المكتبات أثناء حياتهم، وبعد وفاتهم، وقد ظهرت أوائل دور الكتب الوقفية في القرن الرابع الهجري، ومن هذه الدور :

دار العلم في الموصل:

وتعتبر هذه الدار، أو حسب مفهومنا المعاصر هذه المكتبة أول مكتبة وقفية في الإسلام إعتماداً على ما ورد في النصوص التراثية المتوفرة بين أيدينا، وقد اعتبرها أحد الباحثين أول دار علم في الإسلام[١٠].

وصاحب الفضل في إنشاء هذه المكتبة هو أبو القاسم جعفر بن محمد بن حمدان الموصلي الفقيه الشافعي الذي يقول عنه ياقوت نقلاً عن محمد بن إسحاق النديم :

> هو حسن التأليف، عجيب التصنيف، شاعر أديب فاضل، ناقد للشعر كثير الرواية مات سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة ومولده سنة أربعين ومائتين، له عدة كتب في الفقه على المذهب الشافعي، فأما كتبه في الأدب فهي كتاب الباهر في أشعار المحدثين عارض به الروضة للمبرد، كتاب الشعر والشعراء لم يتم، ولو تم لكان غاية في معناه، كتاب السرقات لم يتم أيضاً وهو كتاب جيد في معناه، كتاب محاسن أشعار المحدثين لطيف[١١].

وقد كان ابن حمدان صاحب رئاسة وجاه في الموصل متقدماً في أصناف من المعارف مثل الفقه والنحو الكلام والجدل، وكانت له علاقات جيدة بكبار رجالات عصره من الوزراء والأدباء والشعراء مثل البحتري والمبرد وثعلب[١٢].

ويبدو أن تنوع اهتماماته العلمية وحبه للعلم وصدقه وإخلاصه قد دفع به إلى التفكير في إنشاء مكتبة يوفر فيها ما يساعد طلبة العلم والباحثين في مدينته الموصل على الدراسة والبحث والاطلاع، ولعله كان على درجة من الثراء تساعده على تحقيق مثل هذا المشروع ويلمح إلى ذلك ياقوت نقلاً عن أبي علي بن أبي الزمزام حيث يقول :

> كان ابن حمدان كبير المحل في أهل الرياسات بالموصل... وكان صديقاً لكل وزراء عصره مداحاً لهم... مفضلاً عندهم، وكانت له ببلده دار علم قد جعل فيها خزانة كتب من جميع العلوم وقفاً على كل

طالب للعلم لا يمنع أحد من دخولها إذا جاءها غريب يطلب الأدب وإن كان معسراً أعطاه ورقا وورقا تفتح في كل يوم، ويجلس فيها إذا عاد من ركوبه ويجتمع إليه الناس فيملي عليهم من شعره وشعر غيره ومصنفاته...[١٣].

ولم تحدد المصادر تاريخ إنشاء المكتبة، ولكن من المحتمل أن ذلك كان في فترة تمتد ما بين أواخر القرن الثالث الهجري وأوائل القرن الرابع الهجري اعتماداً على الفترة التي عاش فيها من ٢٤٠ إلى ٣٢٣ هجرية، أما محتوياتها من الكتب فهي دون شك كانت تضم معارف شتى نظراً لتنوع اهتمامات ابن حمدان نفسه والذي كان كما تشير المصادر مهتما بالفقه والشعر والأدب والتاريخ والنجوم[١٤].

ولايعرف مصير هذه المكتبة التي نكب صاحبها بوشاية جماعة من أهل الموصل إذ حسدوه على علمه وجاهه عند الخلفاء والوزراء والعلماء وكتبوا فيه محضراً وشهدوا عليه بكل قبيح عظيم ونفوه عن الموصل فانحدر هارباً إلى بغداد، وبعد هذا الحدث تنقطع عنا أخبار الدار التي خدمت الموصل ويسرت لأهلها سبل العلم والأدب[١٥].

دار العلم في البصرة :

ورغم أننا لا نملك إشارة صريحة تنص على وقف داري العلم اللتين أنشأهما أبو علي ابن سوار الكاتب في أواخر القرن الرابع في رام هرمز والبصرة[١٦]. إلا أن هناك ما يدفع إلى الاعتقاد بأنهما كانتا كذلك، اعتماداً على نص لابن كثير يذكر فيه أن في سنة ٤٨٣ هجرية «دهم أهل البصرة رجل يقال له بليا، كان ينظر في النجوم فاستغوى خلقاً من أهلها وزعم أنه المهدي وأحرق من البصرة شيئاً كثيراً، من ذلك دار كتب وقفت على المسلمين ولم ير في الإسلام مثلها»[١٧]. كما يشير القاسم بن على الحريري في مقاماته إلى دار كتب في البصرة. فيقول على لسان الحارث بن همام.

حضرت دار كتبها التي هي منتدى المتأدبين وملتقى القاطنين والمتغربين، فدخل ذو لحية كثة وهيئة رثة، فسلم على الجلاس، وجلس في أخريات الناس ثم أخذ يبدي ما في وطابه، ويعجب الحاضرين

بفصل خطابه فقال لمن يليه، ما الكتاب الذي تنظر فيه فقال ديوان أبي عبادة المشهود له بالإجادة...»[18].

وقد صور جانباً من هذه المكتبة وما كان يجري فيها من نقاش، الفنان يحيي ابن محمود الواسطي في نسخة مصورة من مقامات الحريري محفوظة حالياً في المكتبة الأهلية بباريس برقم ٥٨٤٧[19].

فبين تاريخ تأسيس دار العلم التي أنشأها ابن سوار وإحراق المكتبة الوقفية في البصرة التي يشير إليها ابن كثير، ويرجح أن تكون إشارة الحريري متعلقة بها قرابة مائة عام، وهو ما يدفع بنا إلى الاعتقاد بأن المكتبة الوقفية التي أحرقت كانت هي نفسها التي أسسها ابن سوار وإن لم ينص على وقفها، ولعل شيئاً منها بقي بعد ذلك فأعيد تشييدها واستمرت حتى عصر الحريري (٤٤٦ — ٥١٦هـ).

كما أن من المحتمل أن تكون هذه المكتبة واتباع صاحبها لنظام الوقف عند تأسيسها قد اتخذت أنموذجاً من قبل سابور بن أردشير عندما أوجد دار العلم في بغداد، خاصة وأن كلا الشخصيين كانا صاحب مكانة في دولة البويهيين، فالأول وهو ابن سوار كان من حاشية عضد الدولة، أما الثاني ابن أردشير فكان وزيراً لبهاء الدولة البويهي.

دار العلم في بغداد :

وبالنسبة لهذه المكتبة نجد نصاً صريحاً يشير إلى أنها كانت وقفاً يذكره بعض المؤرخين مثل ابن كثير الذي يشير في حوادث سنة ٤١٦ إلى وفاة سابور ابن أردشير فيقول :

> وزر لبهاء الدولة ثلاث مرات، ووزر لشرف الدولة وكان كاتباً سديداً عفيفاً عن الأموال، وكثير الخير، وسليم الخاطر، وكان إذا سمع المؤذن لا يشغله شيء عن الصلاة. وقد وقف داراً للعلم في سنة إحدى وثمانين وثلثمائة، وجعل فيها كتباً كثيرة جداً، ووقف عليها غلة كبيرة... وكانت محلتها بين السورين.[20].

كما ينص على وقفها مصدر آخر مع اختلاف في تاريخ تأسيسها، فيرد على

النحو التالي ضمن حوادث عام ٣٨٣هـ «وفيها ابتنى الوزير أبو نصر سابور بن أردشير داراً بالكرخ سماها دار العلم، ووقفها على العلماء ونقل إليها كتباً كثيرة»[٢١].

ويؤكد على ذلك مصدر ثالث إذ يشير في معرض التعريف بسابور قائلاً «وابتاع داراً بين السورين في سنة إحدى وثمانين وثلاثمائة، وحمل إليها كتب العلم من كل فن وسماها دار العلم، وكان فيها أكثر من عشرة آلاف مجلد، ووقف عليها الوقوف، وبقيت سبعين سنة»[٢٢].

ورغم وضوح الإشارة إلى وقفها في النصوص السابقة فقد أشير إليها في مصادر أخرى دون ذلك في معرض ترجمة سابور «... وله ببغداد دار علم وإليها أشار أبو العلاء المعري بقوله في القصيدة المشهورة :

وغنت لنا في دار سابور قينة من الورق مطراب الأصائل ميهال»[٢٣]

كما يذكرها عز الدين علي بن الأثير دون الإشارة إلى وقفها حيث يقول في حوادث سنة ٤١٦ «وفيها توفى سابور بن أردشير وزير بهاء الدولة، وكان كاتباً سديداً وعمل دار الكتب ببغداد سنة إحدى وثمانين وثلاثمائة وجعل فيها أكثر من عشرة آلاف مجلد»[٢٤].

وأشير إليها بشكل مقتضب دون ذكر أي شيء يتعلق بوقفها في مصدر من المصادر عند ترجمة سابور بن أردشير فقيل: «.. له ببغداد دار علم»[٢٥].

ومثل هذا التباين في النص على أنها كانت وقفاً في بعض المصادر، وإهمال ذلك في مصادر أخرى يعني أن بعض المكتبات السابقة لدار العلم قد تكون وقفاً أيضاً لكن المؤرخين لم يلتفتوا إلى النص على ذلك بشكل محدد ودقيق.

ويتحدث محمد ماهر حمادة عن هذه المكتبة بشكل مستفيض معتمداً على مصادر ومراجع متنوعة مثل الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري لآدم ميتز وتعريف القدماء بأبي العلاء وشرح سقط الزند وغيرها فيقول :

وهي ترد في رسائل أبي العلاء المعري باسم دار العلم وقد وقف

الوزير أوقافاً كثيرة غنية مجزية على الدار كفت للإنفاق على المكتبة طوال مدة حياتها ولم تحتج لأحد طوال هذه الفترة، وقد بلغت عدة كتبها ١٠٤٠٠ مجلداً من أصناف العلوم، منها مائة مصحف بخطوط بني مقلة، وفيها عدد كبير من الكتب التي امتلكها رجال مشهورون وأغلب الكتب بخطوط أصحابها .. وقد ازدهرت هذه المكتبة ازدهاراً رائعاً وارتفع صيتها وطارت سمعتها في الآفاق وقصدها الأدباء والعلماء والشعراء من الآفاق... هذا ويعتبر أبو العلاء المعري الشاعر المشهور، أشهر من قصد بغداد لزيارة دار العلم هذه والتعرف إلى محتوياتها، وعلى الأدباء والعلماء الذين كانوا يرتادونها... وقد أقام أبو العلاء في بغداد يتردد على دار العلم عاماً وبعض العام، وعقدت بينه وبين أبي منصور الخازن وعبد السلام البصري الخازن الآخر في دار العلم صداقة ومحبة، وقد وجه أبو العلاء الرسالة التاسعة عشرة من رسائله إلى أبي منصور هذا...»[٢٦].

ونستخلص من النصوص التي تحدثت عن هذه المكتبة ومؤسسها الوزير سابور أن روح الخير والصلاح اللتين كان يتمتع بهما، كانتا سبباً رئيساً في توجهه هذا والذي أثمر عن قيام مكتبة عامرة استقطبت مشاهير العالم الإسلامي في تلك الفترة، واستفاد منها علماء وطلاب عشرات السنين.

ولم تكن كتب سابور التي نقلها إليها هي الوحيدة التي تكونت منها مجموعاتها على مدى السنين، إذ أن هناك جملة من علماء ومشاهير العصر وقفوا عليها كتباً مثل الطبيب جبرائيل بن عبد الله بن بختيشوع (ت ٣٩٦هـ) الذي صنف بعد عودته إلى بغداد من الري كتاباً سماه الكافي، بلقب الصاحب بن عباد لمحبته له، ووقف منه نسخة على دار العلم ببغداد[٢٧].

ويذكرنا ابن بختيشوع بنظام الايداع المعاصر، وهو ما يعطى هذه المكتبة قيمة معنوية عالية، وقد يكون هناك من اقتدى به أو سبقه إلى مثل هذا العمل.

ويبدو أن دار العلم هذه هي التي يشير إليها السلفي فيما نقله عن الرئيس أبي المظفر في معرض الحديث عن علي بن فضال المجاشعي المتوفى سنة ٤٧٩هـ حيث يقول: «أنشدني أبو القاسم بن ناقيافي ابن فضال المجاشعي المقرىء، قال دخلت دار العلم ببغداد وهو يدرس شيئاً من النحو في يوم بارد فقلت :

اليوم قارس بارد كأنه نحو ابن فضال
لا تقرءواو النحو ولا شعره فعيترى الفالج في الحال[٢٨]

وقد عرفت في فترة تالية بدار الكتب القديمة، ولعل ذلك تميزاً لها عن دور الكتب الأخرى التي أنشئت بعدها، ونجد النص على هذا المسمى في ترجمة محمد بن أحمد بن طاهر بن حمد أبي منصور المتوفى سنة ٥١٠هـ الذي يعرفه ياقوت قائلاً: «الخازن لدار الكتب القديمة...» ثم يورد نصاً توضيحياً ينقله من كتاب الهفوات النادرة لغرس النعمة أبي الحسن محمد الصابىء يقول فيه: «كان بدار العلم التي وقفها سابور بن أردشير الوزير خازن يعرف بأبي منصور...»[٢٩].

وانتقل أمر الإشراف على هذه المكتبة بعد وفاة مؤسسها سابور إلى الشريف المرتضى أبي القاسم علي بن الحسن الموسوى نقيب الطالبين الذي عَين أبا عبد الله بن محمد خازناً لها إضافة إلى الخازن الأصلي أبي منصور[٣٠].

بيت الكتب بالري :

يذكر ياقوت أن صاحب خراسان الملك نوح بن منصور الساماني أرسل إلى الصاحب ابن عباد في السر يستدعيه ويرغبه في خدمته وبذل البذول السنية، فرد عليه الصاحب معتذراً بجملة أعذار من بينها أن لديه من كتب العلم ما يحمل على أربعمائة جمل أو أكثر[٣١]، ثم يورد تعليقاً لأبي الحسن البيهقي نصه :

> وأنا أقول: بيت الكتب الذي بالري، دليل على ذلك بعدما أحرقه السلطان محمود بن سبكتكين، فإني طالعت هذا البيت فوجدت فهرست تلك الكتب عشر مجلدات، فإن السلطان محموداً لما ورد إلى الري قيل له: إن هذه الكتب، كتب الروافض، وأهل البدع، فاستخرج منها كل ما كان في علم الكلام وأمر بحرقه...[٣٢]

والنص على بيت الكتب، يوحي بأنها كانت مكتبة وقفية عامة، كما أن ربط البيهقي بينها وبين كتب ابن عباد يدل على أنه كان الواقف، وقد أشار محمد ماهر حمادة إلى أن الصاحب ابن عباد وقف مكتبته فأصبحت مكتبة عامة[٣٣]، لكنه لم يشر إلى المصدر الذي أخذ عنه هذه المعلومة، ولعله استفاد من نص ياقوت المشار إليه سابقاً، وإذا اعتبرنا بيت الكتب في الري مكتبة وقفية وأن

مؤسسها الصاحب بن عباد، فقد يكون تاريخ وقفها في سنة ٣٨٥ هجرية وهي السنة التي توفي فيها الصاحب.

دار الحكمة في القاهرة :

وقد أعقب إنشاء دار العلم في بغداد بسنوات افتتاح مكتبة وقفية على درجة كبيرة من الأهمية في تاريخ المكتبات في الإسلام، ألا وهي دار الحكمة بالقاهرة التي يبدو أن مؤسسها اتخذ من بيت الحكمة في بغداد نموذجاً ومثالاً يسير عليه، وإن كان النص على وقفها صريحاً وواضحاً.

> ففي يوم السبت العاشر من جمادي الآخرة سنة خمس وتسعين وثلاثمائة: فتحت الدار الملقبة بدار الحكمة في القاهرة، وجلس فيها الفقهاء وحملت الكتب إليها من خزائن القصور المعمورة، ودخل الناس إليها، ونسخ كل من التمس نسخ شيء مما فيها ما التمسه، وكذلك من رأى قراءة شيء مما فيها، وجلس القراء والمنجمون وأصحاب النحو واللغة والأطباء بعد أن فرشت هذه الدار وزخرفت وعلقت على جميع أبوابها، وممراتها الستور وأقيم قوام وخدم وفراشون وغيرهم وسموا بخدمتها، وحصل في هذه الدار من خزائن أمير المؤمنين الحاكم بأمر الله من الكتب التي أمر بحملها إليها من سائر العلوم والآداب والخطوط المنسوبة ما لم ير مثله لأحد قط من الملوك وأباح ذلك كله لسائر الناس على طبقاتهم ممن يؤثر قراءة الكتب والنظر فيها[٣٤].

وكما ورد في النص الخاص بافتتاح هذه المكتبة، فقد كان مؤسسها هو الحاكم بأمر الله الخليفة الفاطمي، الذي أبدى اهتماماً كبيراً بأمرها، وحرصاً على توفير موارد مالية كافية تعين على استمرارها في تقديم خدماتها للمستفيدين منها وذلك بإيقاف دور وحوانيت بنيت ليستغل ريعها في الصرف على هذه المكتبة وبعض الجوامع، كما يتبين من نص الوقفية التالية :

> هذا كتاب أشهد قاضي القضاة مالك بن سعيد بن مالك الفارقي على جميع ما نسب إليه مما ذكر ووصف فيه من حضر من الشهود في مجلس حكمه وقضائه بفسطاط مصر في شهر رمضان سنة

أربعمائة، أشهدهم وهو يومئذ قاضي عبد الله ووليه المنصور أبي علي الإمام الحاكم بأمر الله أمير المؤمنين ابن الإمام العزيز بالله... على القاهرة المعزية ومصر والاسكندرية والحرمين حرسهما الله وأضاف الشام والرقة والرحبة ونواحي المغرب وسائر أعمالهن وما فتحه الله ويفتحه لأمير المؤمنين من بلاد الشرق والغرب بمحضر رجل متكلم أنه صحت عنده معرفة المواضع الكاملة والحصص الشائعة التي يذكر جميع ذلك ويحدد في هذا الكتاب، وأنها كانت من أملاك الحاكم إلى أن حبسها على الجامع الأزهر بالقاهرة المحروسة والجامع براشدة والجامع بالمقس اللذين أمر بإنشائهما وتأسيس بنائهما وعلى **دار الحكمة بالقاهرة المحروسة التي وقفها والكتب التي فيها قبل تاريخ هذا الكتاب** منها ما يخص الجامع الأزهر والجامع براشدة ودار الحكمة بالقاهرة المحروسة مشاعاً جميع ذلك غير مقسوم، ومنها ما يخص الجامع بالمقس على شرائط يجري ذكرها فمن ذلك ما تصدق به على الجامع الأزهر بالقاهرة المحروسة والجامع براشدة و**دار الحكمة** بالقاهرة المحروسة جميع الدار المعروفة بدار الضرب، وجميع القيسارية المعروفة بقيسارية الصوف، وجميع الدار المعروفة بدار الخرق الجديدة الذي كله بفسطاط مصر،... وجعل ذلك كله صدقة موقوفة محرمة مجسة بتة بتلة لا يجوز بيعها ولا هبتها ولا تمليكها باقية على شروطها جارية على سبلها المعروفة في هذا الكتاب، لا يوهنها تقادم السنين، ولا تغير بحدوث حدث، ولا يستثنى فيها، ولا يتأول، ولا يستفتى بتجدد تحبيسها مدى الأوقات، وتستمر شروطها على اختلاف الحالات حتى يرث الله الأرض والسموات على أن يؤجر ذلك في كل عصر من ينتهى إليه ولايتها، ويرجع إليه أمرها بعد مراقبة الله واجتلاب ما يوفر منفعتها من إشهارها عند ذوي الرغبة في إجارة أمثالها، فيبتدأ من ذلك بعمارة ذلك على حسب المصلحة وبقاء العين، ومرمته من غير اجحاف بما حبس ذلك عليه، وما فضل كان مقسوماً على ستين سهماً[٣٥].

وبعد أن تحدد ما يخص الجامع الأزهر من أموال وطرق انفاقها تحدد الوقفية ما يخص دار الحكمة من أموال، وطرق إنفاقها على النحو التالي :

ويكون العشر، وثمن العشر لدار الحكمة لما يحتاج إليه في كل سنة من العين المغربي مائتان وسبعة وخمسون ديناراً من ذلك لثمن الحصر العبداني وغيرها لهذه الدار عشرة دنانير، ومن ذلك لورق الكاتب (يعني الناسخ) تسعون ديناراً، ومن ذلك للخازن ثمانية وأربعون ديناراً، من ذلك لثمن الماء اثنا عشر ديناراً، ومن ذلك للفراش خمسة عشر ديناراً، ومن ذلك للورق والحبر والأقلام لمن ينظر فيها من الفقهاء اثنا عشر ديناراً، ومن ذلك لمرمة الستارة دينار واحد، ومن ذلك لمرمة ما عسى أن يتقطع من الكتب وما عساه أن يسقط من ورقها اثنا عشر ديناراً، ومن ذلك لثمن لبود للفراش في الشتاء خمسة دنانير، ومن ذلك لثمن طنافس في الشتاء أربعة دنانير[٣٦].

وتظهر الوقفية بعد نظر الواقف ورغبته الأكيدة في أن تظل المكتبة في أحسن حالاتها، ويتضح ذلك من إشارته إلى كيفية توزيع المصروفات المأخوذة من الوقف والتي شملت الانفاق على العاملين فيها، والاهتمام بأثاثها، وتوفير الورق والحبر والأقلام لروادها، إضافة إلى العناية بالكتب والحرص على سلامتها عن طريق ترميم ما يحتاج منها إلى ذلك.

ونلاحظ في نص الوقفية هذه إشارة واضحة إلى أن الحاكم كان قد وقف دار الحكمة وكُتبها في فترة سابقة على كتابة هذا الصك، أما المصدر الأساسي لهذه الكتب الوقفية فكانت خزائن القصور الفاطمية والتي كانت تمتليء بالكتب حتى قيل أن خزائن العزيز بالله والد الحاكم كان فيها أكثر من ثلاثين نسخة من كتاب العين وعشرين نسخة من تاريخ الطبري، ومائة نسخة من الجمهرة لابن دريد، أما عدد الخزائن «التي برسم الكتب في سائر العلوم بالقصر أربعون خزانة من جملتها ثمانية عشر ألف كتاب من العلوم القديمة..»[٣٧]، ويؤكد أن المصدر هي خزائن القصور ما نجده فيما نقله المقريزي عن عز الملك محمد بن عبد الله المسبحي عندما وصف افتتاح هذه المكتبة فقال: «وحملت الكتب إليها من خزائن القصور المعمورة»[٣٨]، ولكنها لم تكن المصدر الوحيد بل يبدو أنه قد زودت بكتب من مصادر أخرى عن طريق الشراء، كما أضيف إليها في فترات تالية مجموعة كبيرة حتى قال عنها المقريزي :

وكانت من عجائب الدنيا، ويقال أنه لم يكن في جميع بلاد الإسلام دار كتب أعظم من التي كانت بالقاهرة في القصر، ومن عجائبها أنه كان فيها ألف ومائتا نسخة من تاريخ الطبري إلى غير ذلك، ويقال أنها كانت تشتمل على ألف وستمائة ألف كتاب وكان فيها من الخطوط المنسوبة أشياء كثيرة...»[٣٩].

وقد توحي الإشارة إلى أنها كانت بالقصر وكذلك ذكرها باسم خزانة الكتب إلى أن المقصود مكتبة أخرى غيرها، ولكن ينفى هذه الشبهة أن موقع بيت الحكمة كان بجوار القصر الغربي «من بحريه»[٤٠]، كما أن دار الحكمة لم يكن الاسم الوحيد الذي تعرف به فقد ذكرت مراراً باسم «دار العلم» و «دار الكتب» كما في النص السابق، ومما يؤكد أنها هي التي أشير إلى أن بها «ألف وستمائة ألف» ما ذكر من أنها كانت تضم ألف ومائتي نسخة من تاريخ الطبري في حين أن مكتبة القصر التي كانت في عهد العزيز بالله تحتوي على عشرين نسخة فقط من تاريخ الطبري.

ودار الحكمة دون شك تعتبر أبرز نموذج للمكتبات الوقفية التي شيدت منذ البدء على هذا النظام، وأعطت ثماراً جناها أهل العلم من مختلف الطبقات، ولم يستغن عن استخدامها العلماء والطلاب، وكافة أفراد المجتمع لغناها ووفرة ما كانت تضمه من كتب.

خزانة المغربي في ميافارقين :

ووقف الوزير أبو القاسم الحسن بن علي المغربي المتوفى سنة ٤٢٨هـ الذي قيل أنه «لم يزر لملك ولا لخليفة أكفأ منه» خزانة كتب في ميافارقين[٤١]، وقد ظلت باقية إلى عهد المؤرخ ابن شداد المتوفى في عام ٦٨٤هـ، الذي يقول عنها «خزانة الكتب المعروفة إلى الآن بخزانة المغربي» وقد نسبها محقق الأعلاق الخطيرة إلى نصر الدولة أحمد بن مروان حيث أشار وهو يعرف بها إلى أن خزانة المغربي مكتبة ذات شهرة عالية وقفها نصر الدولة أحمد بن مروان،[٤٢] وقد يكون المغربي مؤسسها ثم أضاف عليها نصر الدولة الذي كان حاكماً لمنطقة ميافارقين مجموعة أخرى فنسبها بعض المؤرخين له.

دار الكتب في فيروز أباد :

وأنشأ هذه الدار الوزير قوام الدولة عماد الدين أبو منصور العادل ابن مافنه المتوفى في عام ٤٣٣هـ، وكان من وزراء الملك البويهي أبي كاليجار، وكان حسن السيرة فاضلاً نزيهاً صيتاً[٤٣]، وقد أشار أحد المؤرخين إلى أن من آثاره «دار كتب وقفها على طلاب العلم فيها تسعة عشر ألف مجلد، ما فيها إلا أصل منسوب وفيها أربعة آلاف ورقة بخط بني مقلة»[٤٤]، وفي مصدر آخر أنه «بنى دار الكتب بفيروز أباد وجعل فيها سبعة آلاف مجلد»[٤٥]، وورد خبر عنها في مصدر ثالث على النحو التالي :

«وقد وقف خزانة كتب في مدينة فيروز أباد تشتمل على سبعة آلاف مجلد من ذلك أربعة آلاف ورقة بخط أبي علي وأبي عبد الله بن مقلة»[٤٦]، ويلاحظ هنا اختلاف بين المصدر الأول والمصدرين الآخرين في تحديد عدد محتويات هذه المكتبة والترجيح هنا فيه شيء من الصعوبة، فالمصدر الأول وهو المنتظم لابن الجوزي أقرب إلى عصر ابن مافنه، بينما الآخرين نجد فيهما اتفاقاً على أن عددها كان سبعة آلاف، مع إغفال ابن الأثير الإشارة إلى أوراق بنى مقلة، وذكرها عند ابن كثر متفقاً في ذلك مع ما ذكره ابن الجوزي، ولعل ما رود عند ابن الأثير وابن كثير أقرب إلى الصحة لأنهما أشارا إلى موقعها وهي مدينة فيروز أباد، فلعل مصدرهما كان غير ابن الجوزي.

ولم تكن مدينة فيروز أباد التي وقف عليها ابن مافنه هذه المكتبة، إلا مدينة صغيرة من مدن فارس تقع قريباً من شيراز، وهو الأمر الذي يعطي صورة عن انتشار دور الكتب في مدن العالم الإسلامي كبيرها وصغيرها في ذلك الحين، ولا شك أن هذه المكتبة لما كانت تحتوي عليه من النفائس استقطبت أنظار العلماء من أماكن كثيرة.

دار كتب الصابيء في بغداد :

وأسسها غرس النعمة أبو الحسن محمد بن هلال بن المحسن الصابيء المولود في سنة ٤١٦ أو ٤١٧[٤٧] وهو من أسرة علم، وكان أجداده من الصابئة الحرانية، وكان هو أول مولود على الإسلام من أسرته، ويشير إلى تاريخ إنشائها ابن كثير في حوادث سنة ٤٥٢ عندما يقول: «وفي رجب وقف أبو الحسن محمد بن

هلال الصابيء دار كتب، وهي دار بشارع ابن أبي عوف من غربي بغداد، ونقل إليها ألف كتاب عوضاً عن دار أردشير التي أحرقت بالكرخ»[٤٨]، ثم يذكرها مرة أخرى في حوادث سنة ٤٨٠ عندما يشير إلى وفاة أبي الحسن الصابيء فيقول: «وقد أنشأ داراً ببغداد ووقف أربعة آلاف مجلد في فنون من العلوم»[٤٩] ويبدو أن النص الأول نقله ابن كثير عن ابن الجوزي الذي يقول: «وفي رجب من سنة ٤٥٢هـ وقف أبو الحسن محمد بن هلال الصابيء دار كتب بشارع ابن أبي عوف من غربي دار السلام، ونقل إليها ألف كتاب، وكان السبب أن الدار التي وقفها سابور الوزير بين السورين احترقت، ونهب أكثر ما فيها فبعثه الخوف على ذهاب العلم أن وقف هذه الكتب»[٥٠].

ورغم ما يظهر في النصين من تناقض، إلا أنه في الحقيقة لا تناقض بينهما، إذ أن الإشارة الأولى تخص ما كانت تضمه عند تأسيسها في عام ٤٥٢، أما الإشارة الثانية فهي دون شك تعبر عما كانت عليه في عام ٤٨٠هـ عندما توفي الصابيء.

أما ما ذهب إليه ابن الفوطي من أنها كانت تضم نحواً من أربعمائة مجلد في فنون العلم [٥١]، فلعله وهم منه فالعدد هنا قليل، ولا يمكن أن يعبر عن محتويات مكتبة بديلة لمكتبة سابور كما أشار كل من ابن الجوزي وابن كثير من أنها وقفت لتسد الفراغ الذي تركته دار العلم التي أسسها سابور نتيجة احتراقها التي يبدو أن الصابيء كان كثير التردد عليها للبحث والمطالعة، فاختزن إعجاباً بشخصية واقفها مما أثر فيه ودفع به فيما بعد إلى وقف هذه المكتبة عوضاً عنها واقتداء بصنيع ابن أردشير.

ولعل مما يؤكد وثوق صلة الصابيء بدار العلم إيراده خبرين حولها كلاهما يتعلق بخازنها أبي منصور يقول في الأول :

> وحدث أن سابور الوزير استناب في دار العلم بين السورين خازناً يكنى بأبي منصور، فلبس في بعض الأعياد ثياباً جدداً وأخذ في السحر قارورة فيها حبر، فصبها في يده وطرحها على وجهه غلطاً من قارورة ماء الورد إلى قارورة الحبر، وخرج على تلك الصفة يريد الجامع فلقيه الناس وتضاحكوا منه وأروه ما به فقال: غلطنا من ماء الورد إلى الحبر ورجع[٥٢].

وأما في الخبر الثاني فيقول :

وكان في دار العلم بين السورين التي وقفها سابور الوزير خازناً يعرف بأبي منصور واتفق بعد سنين كثيرة من وفاة سابور أن آلت مراعاة الدار إلى المرتضى أبي القاسم الموسوى نقيب الطالبيين فرتب معه آخر يعرف بأبي عبد الله بن حمد مشرفاً عليه وكان داهية جلداً وضد أبي منصور مكراً وكيداً فصار يتلهي به دائماً[٥٣]....

ونالت هذه المكتبة حظاً من الشهرة فكان العلماء والأدباء يجتمعون فيها فيتدارسون ويتناظرون، منهم أبو الوفاء علي بن عقيل الحنبلي الذي يشير إلى أنه حضر يوماً إليها فتذاكر وغيره أمر العقل وتحسينه وتقبيحه[٥٤]...

خزانة الكتب في حلب :

ورغم أننا لا نملك أي نص يشير إلى وقفها أو بدء تأسيسها إلا أن المؤكد أنها كانت مكتبة وقفية، خاصة وأن النصوص التي أشارت إليها تدلل على كبر حجمها وعظم أمرها، وبالتالي فإن مكتبة مثلها لا يمكن أن تقوم بوظائفها دون مساندة مالية جيدة، ولا يتأتى ذلك إلا من خلال الوقف.

والتاريخ التقريبي للفترة التي وجدت فيها هذه المكتبة، هو أوائل القرن الخامس الهجري، إذ أن الشاعر محمد بن نصر بن صغير القيسراني المتوفي سنة ٥٤٨ هجرية «سكن حلب وولى خزانة الكتب»[٥٥] فيها، ويذهب بنا الظن إلى أن واقفها هو الملك العادل نور الدين محمود بن زنكي الذي اشتهر بحب العلم ووقف الكتب، وكان القيسراني على علاقة بهذا الملك .

ويرد ذكر هذه المكتبة في ترجمة أبي الحسين ثابت بن أسلم الحلبي الفقيه الشيعي الذي قتله المستنصر الفاطمي في حدود سنة ٤٦٠ بسبب كتاب ألفه في كشف عوار الاسماعيلية.

«وأحرقت لذلك خزانة الكتب بحلب وكان فيها عشرة آلاف مجلد»[٥٦] ولم يوضح النص العلاقة بين ثابت بن أسلم مؤلف الكتاب وإحراق المكتبة، ولكن قد نذهب إلى أنه كان يعمل فيها، أو كانت تضم مؤلفات له موجهة ضد الاسماعيلية.

دار العلم في طرابلس الشام :

تعاني هذه المكتبة من نقص المعلومات التي لا تمكن من إبراز صورتها بشكل واضح وجلي وتظهر دورها الذي قامت به فترة وجودها، وهي تنسب إلى أسرة آل عمار التي حكمت طرابلس في القرن الخامس الهجري، ويبدو أن أول من استقل بأمر هذه المدينة منهم هو أبو طالب الحسن بن عمار الذي توفي سنة ٤٦٤، وهو الذي أسس دار العلم، وقد أشار إلى ذلك أحد المؤرخين عند حديثه عنه فقال: «وكان ابن عمار هذا من أعقل الناس وأشدهم رأياً فقيهاً على مذهب الشيعة وكانت له دار علم بطرابلس فيها ما يزيد على مائة ألف كتاب وقفاً»[٥٧] وقد جددها ووسعها من بعده جلال الملك أبو الحسن علي بن محمد ابن عمار في سنة ٤٧٢هـ، وأضاف إليها كتباً كثيرة[٥٨]، وكان مما وقفه آل عمار في هذه المكتبة «ستة كتب من مؤلفات أبي العلاء المعري وهذه الكتب هي الصاهل والشاحج والسجع السلطاني والفصول والغايات، والسادن، واقليد الغايات ورسالة الاغريض، وكان ذلك في أواخر القرن الخامس الهجري»[٥٩].

وقد بالغ البعض في تقدير قيمة هذه المكتبة، وما كانت عليه، حتى قيل إن عدد كتبها بلغ ثلاثة ملايين مجلد... منها خمسون ألف نسخة من القرآن الكريم، وثمانون ألف نسخة تفاسير[٦٠].

دار الكتب في ساوة :

من المؤسف أن المعلومات عن هذه المكتبة شحيحة للغاية، وليس هناك غير نص ورد في ترجمة موفق الملك أمين الدولة أبو الحسن هبة الله بن أبي العلاء صاعد بن إبراهيم ابن التلميذ الطبيب (ت ٥٦٦) وهذا النص يقول :

وكتب إلى موفق الدين أبي طاهر الحسين بن محمد لما اجتاز بساوة، ودخل إلى دار كتبها التي وقفها المذكور المكتوب إليه :

وفقت للخير إذ عممت به طلابه يا موفق الدين
أزلفت للناس جنة جمعت عيون فضل أشهى من العين
فيها ثمار العقول دانية قطوفها حلوة الأفانين
لازلت تسمو بكل صالحة بسعدى قدرة وتمكين
ويرحم الله كل مستمع متبع دعوتي بتأمين[٦١].

ولم نقف على ترجمة لموفق الذي أسس هذه المكتبة ووقفها، ويربط محمد ماهر حمادة بين هذه المكتبة التي يشير إليها ابن التلميذ وإشارة لياقوت عند حديثه عن ساوة حيث يقول :

> ساوة: مدينة حسنة بين الري وهمذان في وسط بينها وبين كل واحدة من همذان والري ثلاثون فرسخاً وبقربها مدينة يقال لها آوة... ومازالتا معمورتين إلى سنة ٦١٧ فجاءها التتر الكفار فخربت، فإنهم خربوها وقتلوا كل من فيها، ولم يتركوا أحداً البتة، وكان بها دار كتب لم يكن في الدنيا أعظم منها بلغني أنهم أحرقوها[٦٢].

فبين وفاة ابن التلميذ وتخريب المكتبة خمسون عاماً، وهي فترة قصيرة ترجح ماذهب إليه حمادة من أنها نفسها التي أسسها موفق الدين أبو طاهر، ولعلها شهدت عناية من غيره فوقفوا عليها كتباً جعلت ياقوت يصفها بأنه لم يكن في الدنيا أعظم منها.

خزانة المالكية في مكة المكرمة :

وتأسست في فترة قريبة من فترة دار الكتب في ساوة، مكتبة وقفية في مكة المكرمة، يبدو أنها كانت تهتم بالدرجة الأولى بمصنفات أهل المذهب المالكي، ولا نملك معلومات عن مؤسسها، ولكنها فيما يبدو كانت تزود بين فترة وأخرى بكتب يوقفها علماء وأشخاص من المالكية، ففي عام ٥٨٨ وقف محمد بن عبد الله بن الفتوح بن محمد المكناسي إمام المالكية بالحرم الشريف «نسخة من المقرب لابن زمنين المالكي بست مجلدات على المالكية والشافعية والحنفية الذين يكون بمكة وجعل مقره خزانة المالكية بمكة»[٦٣].

ولا نعتقد أن هذه الخزانة كانت داخل الحرم الشريف إذ أنها لو كانت كذلك لنص عليه صراحة، بل كانت مستقلة في مكان خاص بها في مكة المكرمة.

خزانة كتب الهمذاني في همذان :

وكان قطب الدين أبو العلاء الحسن بن أحمد بن الحسن الهمذاني العطار

المتوفى سنة ٥٦٩هـ الحافظ المحدث، أحد أعيان عصره، علماً وزهداً، قد عمل «لنفسه خزانة كتب، أوقف جميع كتبه فيها...»[٦٤].

ولا نملك أي نص يوضح لنا إن كانت هذه الخزانة في بناية مستقلة، أم أنها ضمن منزل العطار، والمرجح أنها احتلت جزءاً من منزله، ويسر لطلاب العلم والقراءة الدخول إليها والمطالعة فيها واستخدامها بعد أن وقفها عليهم.

خزانة كتب مباركشاه في مرو الروذ:

ورغم أننا لم نقف على نص واضح وصريح يشير إلى أنها كانت وقفاً، إلا أننا نذهب إلى كونها كانت كذلك، فقد ذكر أن فخر الدين أبا سعيد مباركشاه ابن الحسين المروزي المتوفى سنة ٦٠٢هـ «كان قد اتخذ داراً طيبة على بستان مونق جعل فيها خزانة كتب تحتوي على أنواع العلوم وجعل في داره جميع ما يحتاج النديم إليه من النرد والشطرنج وأنواع الأطعمة والأشربة...»[٦٥]

واستخدام «جعل» سبق أن أشرنا إلى أنه ورد في مكان وقف في نص لابن الأثير عند حديثه عن دار العلم لسابور بن أردشير، وتذكرنا هذه المكتبة بأول مكتبة أنشئت في الإسلام وهي التي أنشأها عبد الحكم الجمحي في مكة المكرمة في القرن الأول الهجري.

دار العدة في فجيج :

وإذا كانت المكتبات السابقة قد تأسست في مدن مشرقية فإن ذلك لا يعني خلو مدن المغرب العربي من مكتبات مثيلة، فقد كانت هناك مكتبات في الأندلس والمغرب وقفها أصحابها على طلاب العلم، من بينها خزانة بني عبد الجبار الواقعة في بلدة فجيج، وهي مدينة صغيرة في المغرب، وقد عرفت هذه الدار باسم «دار العدة» ووقفها عبد الجبار بن أحمد بن موسى الفجيجي الذي يحتمل أن تكون ولادته في الفترة من ٨١٠ إلى ٨٢٠ اعتماداً على قرائن منها أن ابن رزوق الحفيد المتوفى عام ٨٤٢هـ أجازه بتلمسان قبل هذا التاريخ، كما أجازه بفاس محمد بن الحسين بن محمد بن حمامة النيجي المتوفى عام ٨٨٧هـ، كما أجازه إبراهيم التازي عام ٨٦٥هـ.

وقد كان الفجيجي عالماً صالحاً وضع مؤلفات منها تفسير القرآن، ومختصر حياة الحيوان والفهرست، وتوفى في عام ٩٢٠هـ بفجيج(٦٦).

ولعل أهم ما خلفه الفجيجي تلك المكتبة العامرة التي وقفها في الفترة ما بين ٨٢٠ و ٩٢٠هـ حيث :

دشن خزانة بحمولة أربعين بعيراً كتباً، جاء بمعظمها من فاس وتلمسان ومصر وينيف مجموعها على خمسة آلاف مجلد، وهو رقم ليس بالهين، ولكنه أيضاً ليس بالخيال بل على العكس يبدو خاسئاً ذليلاً أمام تلك الأبهة التي أضفاها الرحالون عليها، وأحاديثهم ترشح بالإكبار والإعزاز يخال معهما المرء أن الخزانة تضمنت عشرات الآلاف من الكتب.

وإننا لنجد أيضاً في إطلاق اسم «دار العدة» عليها أكثر من دليل فالعدة إمعان في المبالغة بالكثرة والعدد، والعدة أيضاً إظهار للمبالغة في الاعتداد والتعويل ولا سرفاً أقول إن أنا زعمت أن الخزانة كان يعول عليها ويعتد بها بحق فقد أخبرنا الرحالة ابن ناصر الدرعي خبراً مفاده أن أحمد بن السكوني ما كان ليكتب كتابيه شرح دلائل الخيرات وشرح تنبيه الأنام لولا ما وجده من الكتب ميسراً في خزانة سيدي عبد الجبار، ولأمر ما جعل الرحالون زيارتها تقليداً محموداً فاشياً بينهم(٦٧).

وقد تعرضت هذه الخزانة إلى عبث العابثين بعد فترة من تأسيسها مما دفع بأحد أحفاد عبد الجبار وهو عبد القادر بن محمد إلى إعادة النظرة في أمرها، فلم يجد مخرجاً غير وقفها من جديد فحرر القاضي محمد بن إبراهيم بن عبد الجبار كتاباً بذلك شهد عليه ثمانية وثلاثين شاهداً من أهل فجيج، وكان ذلك في عام ١١٦٥ هجرية.

ومما جاء في كتاب الوقف :

وأن ماجمعه المذكور وأولاده في صدر القرن العاشر من خزانة الكتب بدار العدة المشهورة ببلاد فجيج من أجل خزائن المدن وأكبرها، وليس

الخبر كالعيان، حبس على من ينتفع به من الذرية وغيرهم بالنظر فيها والانتساخ منها إن كان أهلاً لذلك ثم ترد بعد ذلك لمحلها معقب مؤبد ووقف صحيح مخلد لا يباع ولا يوهب ولا يورث حسبما شهد به الجم الغفير والملأ الكثير من أهل بلدة فجيج خلفاً عن سلف بحيث لم يقع فيها إرث ولا قسمة بين ذرية من ذكر قط من حيث جمعت إلى الآن... ونقول بعد الحمد لله شهوده الموضوعة أسماؤهم إثر تاريخه منذ أدركوا بأسنانهم وميزوا بأذهانهم وفهموا بعقولهم يسمعون سماعاً فاشياً من ألسنة العدول وغيرهم من أهل بلدة فجيج ممن لا يحصى أن خزانة كتب أولاد سيدي عبد الجبار حبس معقب لا يورث ولا يقسم ولا يباع ولا يوهب...[٦٨]

وعقب إثبات وقفها انتعشت المكتبة، وأضيف إلى رصيدها ما جعل منها مؤئلاً للقاصدين مرة أخرى، ولكن ذلك لم يستمر طويلاً حيث عاد العبث بها من جديد فتفرقت كتبها بدداً.

مكتبة محمد راشد أفندي في قيصري :

وأسس محمد راشد أفندي المتوفى سنة ١٢١٢ هجرية مكتبة في بلدة قيصري بتركيا عام ١٢١١هـ ووقف فيها ٩٢٥ مجلداً مخطوطاً و١٨ مجلداً مطبوعاً قديماً، وتتكون هذه المكتبة من حجرتين وقاعة كبيرة للكتب، واشترط في وثيقة وقفها أن يعين فيها ثلاثة أشخاص يتولون حفظها وصيانتها.

وقد تطورت مجموعة المكتبة فيما بعد حتى وصل عدد محتوياتها اليوم إلى سبعة آلاف كتاب مخطوط ومطبوع[٦٩].

مكتبة شيخ الإسلام عارف حكمة بالمدينة المنورة :

ولا تزال هذه المكتبة باقية حتى اليوم تؤدي رسالتها ويقصدها الباحثون وطلاب المعرفة من كل مكان رغبة في الإستفادة من مخطوطاتها النفيسة، وهي تتبع وزارة الحج والأوقاف بالمملكة العربية السعودية، وقد وقفها شيخ الإسلام أحمد عارف حكمة الحسيني (ت ١٢٧٥هـ) في عام ١٢٧٠هـ ــ ١٨٥٢م بالمدينة المنورة، وكان من أعلام القرن الثالث عشر تولى مناصب كثيرة في الدولة العثمانية، منها

قضاء مصر وقضاء المدينة المنورة ونقابة الأشراف ثم مشيخة الإسلام في عام ١٢٦٢هـ، وحظي بإحترام معاصريه لما عرف به من زهد وورع وحب للخير، ويتحدث أحد معاصريه عن وقفه لكتبه وتسييرها إلى المدينة فيقول :

فلما زين ــ سلمه الله تعالى ــ صحائفه بأنواع الخيرات، وحلى صفائحها بجداول الصدقات، ناداه التوفيق: كثر الله تعالى خيرك وجعل سبحانه لرضاه سيرك وضاعف في الدارين أجرك، وقدس عن الرياء سِرّك وسَرّك ثم ناجاه بأن قد بقى ما إن فعلته لم تدع في قوس الجود منزعاً، ولم تترك في كأس الصدق مترعاً، ولا في رياض التصدق مرتعاً، وهو وقف كتبك التي هي أعز محبوب لديك، وأكرم مطلوب عليك وأغلاه أثماناً، وأعلاه مكاناً وأجل قدراً... فخرج ولله تعالى دره ــ عن عشرة آلاف كتاب من ذلك رغبة بالدخول في حرم رضا ربه تعالى المالك والكل كما أخبرني ــ من كتب العلوم الشرعية ليس فيه من كتب الفلسفة الإلٰهية والرياضة الطبيعية، وأن الجلود تزيد على ذلك المقدار إذ من الكتب ما هو عشرة أسفار وبعد أن وقفه سيره إلى حرم المدينة المحترمة.. وقد أرسل منها ــ سلمه الله تعالى ــ بعيد دخولي اسلامبول مع شيخ الحرم وخادم روضة رسول الله ــ ﷺ ــ نحواً من ستة آلاف كتاب، وقد شاهدت بعضها بعيني فغيبني عن شعوري العجب العجاب[٧٠].

ويبدو من النص السابق أن عارف حكمة قد وقف عشرة آلاف كتاب من بينها ستة آلاف بعث بها إلى مكتبته التي أنشأها بالمدينة المنورة، أما الأربعة آلاف الأخرى فلعله أبقاها موقوفة في تركيا، ويشير عارف حكمة في صك الوقفية إلى أنه وقف وقفاً صحيحاً شرعياً مؤبداً المصاحف الشريفة التي عددها ستة عشرة مصحفاً وكتبه النفيسة التي يصل عددها إلى خمسة آلاف كتاب، ونجد هنا تناقضاً بين ما أورده الألوسي وما نجده في صك الوقفية، وقد أدى ذلك إلى اختلاف الذين كتبوا عن هذه المكتبة في تقدير حجم مقتنياتها، حيث جعلها بعضهم خمسة آلاف مخطوط بين رسالة وكتاب، ويجزم بعضهم بأنها تشتمل على ٦٧٢٦ كتاباً منها ٢٠٠٨ مطبوعاً و٤٧١٨ مخطوطاً، أما محمد كرد علي

فإنه يوصلها إلى عشرة آلاف مجلد مخطوط، وأما فهارسها الحالية فتشير إلى أنها تحوي زهاء خمسة آلاف مخطوط تنقص قليلاً أو تزيد(٧١).

وقد شيد عارف حكمة بناية خاصة لهذه المكتبة تضم قاعة رئيسية عليها قبة فيها زخارف فنية بديعة، إضافة إلى غرف أخرى وفناء وسكن للقيم عليها، لا تزال قائمة حتى اليوم تضم الكتب التي وقفها عارف حكمة، مع إضافات يسيرة من المطبوعات الحديثة التي تزودها بها وزارة الحج والأوقاف.

كما وقف عارف حكمة على مكتبته هذه كثيراً من البيوت والدكاكين والخانات والبساتين وغيرها من الأوقاف الثابتة الدائمة المورد لصيانتها والصرف على موظفيها، وضمن ذلك في صك شرعي جاء فيه :

ووقفت الخان الذي اشتمل على أربع غرف وواحد اصطبل كبير وواحد فرن وواحد دكان البقالة، وواحد دكان الحلاقة، والصوندرمة والممشى ووقفت جملة أبنية مصنع وفرن كبير وبئر ماء وسائر المشتلات المعلومة المتصلة للخان المذكور، ووقفت قطعة واحدة بستان كبير مع أشجاره المثمرة ومع آباره... ووقفت أبنية واحد باب منزل وتحته واحد دكان مع مطبخ.. ووقفت أبنية...ووقفت حماماً يسمى بكت ذات قبة... ووقفت أبنية ثمانية مع أبواب دكاكين ذات قبب ومنها واحد دكان الخضروات وواحد دكان القصاب، وواحد دكان البقالة وواحد دكان العطارة، وأربعة أخرى(٧٢).

وجميع هذه الأوقاف في استنابول، وقد قطع المورد الذي كان يخص المكتبة من هذه الأوقاف في العصر الحديث، وإضافة إلى ماسبق فقد وقف عارف حكمة مجموعة أخرى من المنازل بالمدينة المنورة، منها دار في مواجهة التاجوري كانت مؤجرة بمائة ريال وأخرى بباب المجيدي لا تزال موجودة وتؤجر بمبلغ ألف ريال ودار في زقاق الطيار، ودار في حوش التكارنة وقد هدمت، ودار في زقاق القشاش وقد هدمت أيضاً(٧٣).

ويشير محمد العيد الخطراوي إلى أن شيخ الإسلام عارف حكمة قد أنفق أموالاً كثيرة في سبيل اقتناء الكتب التي وقفها «حتى تجمعت له من أقطار الأرض

المختلفة أنفس الكتب وأجملها خطاً وأعلاها شأناً وأغلاها قيمة، وقد كتب بيده على صفحة عنوان أحد المخطوطات أنه دفع مبلغ أربعمائة جنيه عثماني ذهبي لشرائه[٧٤].

الخزانة العلمية الصبيحية بسلا :

ولا يخلو العصر الذي نعيش فيه من أنموذج تراثي مثيل لما درج عليه الأسلاف، فقد حبس باشا سلا السابق الحاج محمد بن الحاج الطيب الصبيحي خزانته العلمية في يوم الاثنين الرابع عشر من ربيع الأول عام ١٣٧٨هـ لتكون وقفاً على العلماء وطلبة العلم وعامة القراء، وكانت تشتمل على أربعة آلاف كتاب مخطوط ومطبوع، وعين ابنه المهندس عبد الله الصبيحي ناظراً لها كما وقف عليها مبلغاً من المال ليصرف على مصالحها[٧٥].

وواصل ابنه الناظر المسيرة فوقف على هذه المكتبة بناية جديدة في شعبان من عام ١٣٩٦هـ تتكون من طابقين وتقع في ساحة الشهداء بمدينة سلا من المغرب لتكون مقراً للكتب التي وقفها والده، وقد جهزت المكتبة تجهيزاً عصرياً[٧٦].

وتمتاز المكتبة المحبسة بأنها كانت في ملك أسرة... عالمة فهي تحتوي على أهم المطبوعات العربية الإسلامية القديمة والحديثة، ما طبع منها بالبلاد العربية والهندية والإيرانية والأوربية، وعدد وافر من المخطوطات الأصلية المتنوعة التي يرجع تاريخ انتساخها إلى القرون الخمسة الأخيرة... تمتاز بميزات بارزة منها التنوع الشامل لكل العلوم التي عرفها المسلمون[٧٧].

وقد وضع محمد حجي فهرساً لمخطوطات هذه المكتبة تضمن تعريفاً بـ١٣٣٧ مخطوطاً نشره معهد المخطوطات العربية بالكويت، جاء في ٧٢٢ صفحة.

* * *

وتتجلى لنا من العجالة السابقة صورة من الرعاية الفائقة التي حظيت بها دور الكتب الموقوفة من قبل شخصيات وجدت فيها مجالاً للتعبير عن رغبتها في

إشاعة العلم وتيسير أمر تداول الكتب بين أيدي طلابه الذين لم يكن في مقدور أي منهم الوقوف على بعض ما فيها في حال عدم وجودها، وكانت دور الكتب هذه سابقة للمدارس، ومن هنا أصبحت ملاذاً للدارسين ومركزاً للعلماء الذين كانوا يلتقون فيها وينهلون من ذخائرها ويتطارحون الرأي والنقاش والجدل بين أروقتها، وكان لبعضها شهرة كبيرة دفعت بأعلام مشاهير مثل أبي العلاء إلى قصدها للوقوف على نفائسها والتزود بفرائدها التي لم تكن ميسرة في أماكن إقامتهم.

الهوامش

١ ــ الجبوري، عبد الله / **مكتبة الأوقاف العامة، تاريخها ونوادر مخطوطاتها**. ــ بغداد: مجلة الرسالة الإسلامية (مطبعة المعارف) / ١٣٨٩هـ ــ ١٩٦٩م، ص ٨.

٢ ــ الأصبهاني، أبو الفرج علي بن الحسين (ت ٣٥٦) / **كتاب الأغاني** بتصحيح أحمد الشنقيطي. ــ القاهرة: محمد أفندي ساسي المغربي (مطبعة التقدم) ١٣٢٣هـ، ٤/٥١.

٣ ــ الديوه جي، سعيد / **بيت الحكمة**. ــ ط٢. ــ الموصل: المؤلف (مؤسسة دار الكتب للطباعة والنشر)، ١٣٩٢هـ ــ ١٩٧٢م، ص ص ٣٧ ــ ٣٨.

٤ ــ حمادة، محمد ماهر / **المكتبات في الإسلام**. ــ ط٢. ــ بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٣٩٨هـ ــ ١٩٧٨م، ص ١٧٢.

٥ ــ الديوه جي، سعيد / **التربية والتعليم في الإسلام** .ــ الموصل: المؤلف (مطابع جامعة الموصل) ، (١٤٠٢هـ ــ ١٩٨٢) ص ٧٣.

٦ ــ المقري، أحمد بن محمد (ت ١٠٤١هـ) / **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب** تحقيق إحسان عباس. ــ بيروت: دار صادر ــ دار بيروت، ١٣٨٨هـ ــ ١٩٦٨م، ٢ /٥٤٣.

٧ ــ **معجم البلدان:** تحقيق محمد أمين الخانجي. ــ القاهرة: محمد أمين الخانجي (مطبعة السعادة) ١٣٢٤هـ ــ ١٩١٦م، ٨/٣٦.

٨ ــ ياقوت، ياقوت بن عبد الله الحموي (ت ٦٢٦هـ) / **معجم الأدباء**. ــ القاهرة: دار المأمون، (١٣٥٧هـ ــ ١٩٣٨م)، ٢٠/٢٦.

٩ ــ **ياقوت ...، معجم البلدان**، ٨/٣٦.

١٠ ــ الديوه جي، سعيد / **تاريخ الموصل**. ــ الموصل: المؤلف (مطابع مديرية دار الكتب للطباعة والنشر بجامعة الموصل) ١٩٨٢م، ١/١٩٢.

١١ ــ **معجم الأدباء** ٧ / ١٩١ ــ ١٩٢ ويختلف هذا النص عما نجده في الفهرست بتحقيق غوستاف فلوجل، المنشور في بادن والذي أعادت نشره

بالتصوير مكتبة خياط في بيروت: إذ ورد النص في صفحة ١٤٩هـ على النحو التالي :

أبو القاسم جعفر بن محمد بن حمدان الموصلي الفقيه حسن التأليف والتصنيف متفقه على مذهب الشافعي وكان شاعراً أديباً ناقداً للشعر كثير الرواية وله في الفقه عدة كتب نذكرها عند ذكرنا الفقهاء، فأما كتبه الأدبية فهي كتاب الباهر في الاختيار من أشعار المحدثين، كتاب الشعر والشعراء الكبير ولم يتمه، كتاب السرقات ولم يتمه ولو أتمه لاستغنى الناس عن كل كتاب في معناه، كتاب محاس أشعار المحدثين، لطيف.

١٢ــ ياقوت...، **معجم الأدباء**، ١٩٢/٧.

١٣ــ السابق، ١٩٢/٧.

١٤ــ السابق، ١٩٢/٧.

١٥ــ ياقوت...، **معجم الأدباء**، ١٩٣/٧ ــ ١٩٤. والديوه جي... **بيت الحكمة**، ص ٧٤.

١٦ــ حمادة، محمد ماهر / **المكتبات في الإسلام**، ص ١٢٨. نقلاً عن ميتيز، آدم / **الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري** ٢٤٤/١، الحلوجي، عبد الستار / **المخطوط العربي منذ نشأته إلى آخر القرن الرابع الهجري**. ــ الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٣٩٨هـ ــ ١٩٧٨م، ص ١١٧.

١٧ــ **البداية والنهاية**، ١٢ / ١٣٦.

١٨ــ **كتاب مقامات الحريري** .ــ القاهرة: المكتبة التجارية الكبرى، ١٣٢٦هـ، ص ٢٠.

وقد تحدث عن هذه المكتبة كوركيس عواد في كتابه /**خزائن الكتب القديمة في العراق منذ أقدم العصور حتى سنة ١٠٠٠ للهجرة** .ــ ط٢ .ــ ــ بيروت: دار الرائد العربي، ص ص ١٣٧ ــ ١٣٨: فذكر أن البشاري المقدسي قارن بينها وبين مكتبة رام هرمز التي أنشاها ابن سوار أيضاً فقال عنها بأنها أكبر وأعمر وأكثر كتباً (ص ١٣٨)، وقد ناقش كوركيس عواد أمر هذه المكتبة والمكتبة التي أشار إليها باسم دار كتب البصرة فانتهى إلى أنه لم يتحقق عنده إذا كانت هذه المكتبة وسابقتها مكتبة واحدة، وما

نذهب إليه أنها مكتبة واحدة.

١٩ــ عكاشة، ثروت / **فن الواسطي من خلال مقامات الحريري أثر إسلامي مصور**. ــ القاهرة: دار المعارف، ١٩٧٤م، ص ١١.

٢٠ــ **البداية والنهاية**، ١٩/١٢، وقد أشار إليها قبل ذلك في حوادث سنة ٣٨٣ (٣١٢/١١) فأورد ما قاله عن وقفها وزاد قائلاً «وأظن أن هذه أول مدرسة وقفت على الفقهاء قبل النظامية بمدة طويلة...» ولا نعتقد بصحة ما ذهب إليه إذ لم يرد أي نص صريح يشير إلى أنها كانت مدرسة، ولعل اعتقاد ابن كثير جاء من وقوفه على نصوص توحي بأن البعض كان يدرس فيها مثل ما ذكره ياقوت الحموي (٩٨/٤) عن السلفي نقلاً عن أبي المظفر من أن أبا القاسم ابن ناقيا دخل دار العلم ببغداد فوجد ابن فضال المجاشعي المتوفى سنة ٤٧٩ يدرس شيئاً من النحو والمؤكد أنه كان يقرأ كتباً في النحو ولم يكن يأخذ عن شيخ أو عالم.

٢١ــ ابن تغري بردي، جمال الدين أبو المحاسن يوسف (ت ٨٧٤هـ) / **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة**. ــ القاهرة: دار الكتب المصرية، ١٩٤٣، ٤ /١٦٤.

٢٢ــ ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي (ت ٥٩٧هـ) / **المنتظم في تاريخ الملوك والأمم**. ــ حيدر أباد الدكن: دائرة المعارف العثمانية، ١٣٥٩هـ، ٢٢/٨.

٢٣ــ ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد (ت ٦٨١هـ) / **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، تحقيق إحسان عباس ــ بيروت: دار صادر، دار بيروت، ١٩٦٩م، ٢ / ٣٥٦.

٢٤ــ **الكامل في التاريخ**. ــ بيروت: دار صادر، دار بيروت، ١٤٠٢هـ ــ ١٩٨٢م، ٩ /٢٥٠.

٢٥ــ الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد (ت ٧٤٨هـ) / **سير أعلام النبلاء تحقيق** شعيب الأرنؤوط ومحمد نعيم العرقسوسي. ــ بيروت: مؤسسة الرسالة ١٤٠٣هـ ــ ١٩٨٣م، ٣٨٧/١٧.

٢٦ــ **المكتبات في الإسلام** ... ص ص ١٣٠ ــ ١٣٢.

٢٧ــ ابن أبي أصيبعة، موفق الدين أبو العباس أحمد بن القاسم

(ت ٦٦٨هـ) / **عيون الأنباء في طبقات الأطباء**، تحقيق نزار رضا. ــ بيروت: دار مكتبة الحياة، ١٩٦٥م ص ٢١٢. القفطي، جمال الدين أبو الحسين علي بن يوسف (ت ٦٤٦هـ) / **تاريخ الحكماء وهو مختصر الزوزني المسمى بالمنتخبات الملتقطات من كتاب أخبار العلماء بأخبار الحكماء**. ــ بغداد: مكتبة المثني، د. ت (أوفست عن طبعة ليبزج عام ١٩٠٣م)، ص ١٥٠.

٢٨ــ ياقوت...، **معجم الأدباء**...، ١٤/ ٩٨.

٢٩ــ السابق، ٢٦٧/١٧.

٣٠ــ السابق، ٦٦٧/١٧.

٣١ــ السابق، ٢٥٩/١٦.

٣٢ــ السابق، ٢٥٩/١٦.

٣٣ــ المكتبات في الإسلام...، ص ١٢٨.

٣٤ــ المقريزي، ٤٥٨/١.

٣٥ــ السابق، ٢٧٣/٢ ــ٢٧٤.

٣٦ــ السابق، ٤٥٩/١.

٣٧ــ السابق، ٤٠٨/١.

٣٨ــ السابق، ٤٥٨/١، ٢ /٢٤٣.

٣٩ــ السابق، ٤٠٩/١.

٤٠ــ السابق، ٤٠٩/١ ــ ٤٥٨.

٤١ــ ابن شداد، عز الدين محمد بن علي (ت ٦٨٤هـ) /**الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة** الجزء الثالث تحقيق يحيي عبارة. ــ دمشق: وزارة الثقافة والإرشاد القومي، ١٩٧٨م ٣٥٨/١، ٣٦١.

٤٢ــ السابق، ج٣ ق١/ ٩٠٠.

٤٣ــ ابن الجوزي... ٦٤/٨، ابن الأثير، ٥٠٢/٩، وابن كثير، ٤٩/١٢، وقد ورد اسمه في المنتظم: أبو منصور ابن فنه، وعند ابن الأثير ابن مافنّه، بينما أشار إليه ابن كثير بابن مافينة وذكر اسمه كما ورد عند ابن كثير في **معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي** لزمبارو، ترجمة محمد حسن زكي، وحسن أحمد محمود. ــ بيروت دار الرائد العربي،

١٤٠٠هـ ــ ١٩٨٠م، ص ٣٢٦، والصواب هي الصيغة التي أثبتناه أي (ما فنه) وقد أشار إلى شخص آخر منهم ابن الفوطي، كمال الدين أبو الفضل عبدالرزاق (ت ٧٢٣هـ) / **تلخيص معجم الآداب في معجم الألقاب** تحقيق مصطفى جواد .ــ دمشق: وزارة الثقافة والإرشاد القومي، ١٩٦٢م، القسم الثاني من الجزء الرابع ص ٨١٠ فقال في ترجمة عماد الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أكرم الدين محمد الأكرمي الكرماني الشاعر «رأيت له هذه الرسالة وقد نسبت إليه كتبها إلى بعض أصحابه وهو شرف الدين ابن مافنه..» وقد ذكر المحقق المرحوم مصطفى جواد أن «المشهور من بني ما فنه أبو منصور بهرام بن مافنه وزير الملك أبي كاليجار ابن سلطان الدولة ولد سنة ٣٦٦، أنشأ بفيروز أباد دار كتب وقفها على طلاب العلم..» ثم نقل بقية النص الذي ورد عند ابن الجوزي.

٤٤ــ ابن الجوزي، ٦٤/٨. وقد نسب كوركيس عواد في كتابه: **أقدم المخطوطات العربية في مكتبات العالم**. ــ بغداد: وزارة الثقافة والإعلام، ١٩٨٢م، ص ص ١٩ ــ ٢٠. إنشاء المكتبة إلى الملك أبي كاليجار فذكر أن من آثاره في بغداد مكتبة وقفها على طلبة العلم والحقيقة أنه ابن مافنه وليس أبي كاليجار فقد جاء الكلام في سياق الحديث عن الاضطرابات التي وقعت في عام ٤٢٣ ضد جلال الدولة، ومحاولة القواد تنصيب أبي كاليجار مكانه... والحديث عن المكتبة ورد عقب قوله أن ابن مافنه كان من وزراء أبي كاليجار وأنه كان فاضلاً، وهو ما تتفقق عليه المصادر الأخرى مثل ابن الأثير وابن كثير.

٤٥ــ ابن الأثير، ٥٠٢/٩.

٤٦ــ ابن كثير، ٥٠/١٢.

٤٧ــ ابن هلال الصابيء، غرس النعمة أبو الحسن (ت ٤٨٠هـ) / **الهفوات النادرة** تحقيق صالح الأشتر. ــ دمشق: مجمع اللغة العربية، ١٣٨٧هـ ١٩٦٧م، مقدمة المحقق ص ١٩.

٤٨ــ **البداية والنهاية**، ٨٥/١٢ وقد حرف الصابي إلى العتابي ولعله خطأ طباعي.

٤٩ــ السابق، ١٣٤/١٢.

٥٠ــ المنتظم، ٢١٦/٨.

٥١ــ ابن الفوطي، كمال الدين أبو الفضل عبد الرزاق بن أحمد (ت ٧٢٣هـ) / **الجزء الرابع من تلخيص مجمع الآداب في معجم الألقاب** تحقيق مصطفى جواد. ــ بغداد: وزارة الثقافة والإرشاد القومي، ١٩٦٧م، القسم الثاني ص ١١٦٣.

٥٢ــ **الهفوات النادرة**، ص ٦٩.

٥٣ــ السابق، ١٤٣.

٥٤ــ السابق، مقدمة المحقق ص ٢١.

٥٥ــ الذهبي، ٢٠ / ٢٢٤ ــ ٢٢٥. وترجم له عبد القادر بدران وأشار إلى أنه سكن حلب «وولى بها خزانة الكتب» **منادمة الأطلال ومسامرة الخيال** .ــ دمشق: المكتب الإسلامي، د.ت، ص ٣٦٤.

٥٦ــ السابق، ١٧٧/١٨.

٥٧ــ ابن شداد، عز الدين أبو عبد الله محمد بن علي (ت ٦٨٤هـ) / **الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة** (تاريخ لبنان والأردن وفلسطين) تحقيق سامي الدهان. ــ دمشق: المعهد الفرنسي للدراسات العربية، ١٣٨٢هـ ــ ١٩٦٢م جـ٢، ق ١٠٧/٢.

٥٨ــ الديوه جي ...، **بيت الحكمة**، ص ٥٥.

٥٩ــ حمادة، ١٧٣ ــ ١٧٤.

٦٠ــ السابق، ١٣٣.

٦١ــ ابن أبي أصيبعة، ص ٣٧١.

٦٢ــ **معجم البلدان**، ٢١/٥، **المكتبات في الإسلام**، ص ١٢٨.

٦٣ــ الفاسي، تقي الدين محمد بن أحمد المكي (ت ٨٣٢) / **العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين**، تحقيق فؤاد سيد وآخرين .ــ ط ٢.ــ بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٥هـ ــ ١٩٨٥م، ٧٤/٢.

٦٤ــ ابن الفوطي، القسم الرابع، ص ٦٢٦ ــ ٦٢٧.

٦٥ــ السابق، القسم الثالث ص ص ٢٩٠ ــ ٢٩١.

وذكرها الأشرف الغساني ،أبو العباس اسماعيل بن العباس بن رسول (ت ٨٠٣) / **العسجد المسبوك والجوهر المحكوك في طبقات الخلفاء والملوك** تحقيق شاكر عبد المنعم. ــ بيروت: دار التراث الإسلامي

١٣٩٥هـ ـــ ١٩٧٥م، ص ٣٠٥ فقال: «وكانت له دار ضيافة وفيها كتب وشطرنج فالعلماء يطالعون الكتب والجهال يلعبون الشطرنج».

٦٦ـــ بوزيان، بنعلي محمد «الإمام عبد الجبار الفجيجي مؤسس الصرح الثقافي بفكيك» **دعوة الحق** ع ٢٥٤ (ربيع الثاني ـــ جمادي الأولى ١٤٠٦هـ / يناير ـــ فبراير ١٩٨٦م)، ص ١١٥.

٦٧ـــ ابن زيان، بن علي محمد «خزانة بني عبد الجبار بفجيج: دار العدة» **دعوة الحق** ع ٢٤٨ (شعبان ١٤٠٥هـ ـــ مايو ١٩٨٥م) ص ص ٩٥ ـــ ٩٦.

٦٨ـــ السابق، ص ٩٧.

٦٩ـــ شه كر، محمد «الكتب المخطوطة العربية في مكتبة راشد أفندي في قيصري بتركيا» **المجلة العربية للتوثيق والمعلومات** ع ٤ (مارس ١٩٨٦م) ص ص ٨٨ ـــ ٦٩.

٧٠ـــ الألوسي، شهاب الدين أبو الثناء محمود بن عبد الله (١٢٧٠هـ) / **عارف حكمة حياته ومآثره أو «شهي النغم في ترجمة شيخ الإسلام عارف الحكم»** تحقيق محمد العيد الخطراوي. ـــ المدينة المنورة: مكتبة التراث، ١٤٠٣هـ ـــ ١٩٨٣م، ص ص ٥٤ ـــ ٥٥.

٧١ـــ السابق، مقدمة المحقق، ص ٣١.

٧٢ـــ التونسي، حمادي علي / **المكتبات العامة بالمدينة المنورة ماضيها وحاضرها** .ـــ رسالة ماجستير بإشراف عباس طاشكندي. ـــ جدة: قسم المكتبات والمعلومات بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة الملك عبد العزيز، ١٤٠١هـ ـــ ١٩٨١م، ص ١٦.

٧٣ـــ السايق، ص ١٧

٧٤ـــ الألوسي، مقدمة المحقق، ص ٣٢.

٧٥ـــ حجي، محمد / **فهرس الخزانة العلمية الصبيحية بسلا.** ـــ الكويت: معهد المخطوطات العربية، ١٤٠٦هـ ـــ ١٩٨٦م، ص ٩.

٧٦ـــ السابق، ص ٠٩

٧٧ـــ السابق، ص ص ٩ ـــ ١٠.

الفصل الثالث

مكتبات الجوامع والمدارس

أولاً: وقف الكتب والمكتبات على الجوامع والمساجد:

حظيت الجوامع والمساجد باهتمام كبير خلال مراحل التاريخ الإسلامي إذ كان تشييدها وتوفير الخدمات المناسبة لها هدفاً سعى إليه خلفاء وحكام ووزراء وعلماء وأثرياء لتقام فيها الشعائر الدينية، إضافة إلى استخدام بعضها للتعليم. ومن الطبيعي أن تكون بدايات انتشار التعليم في الإسلام في حلقات الدرس التي كانت تعقد فيها. وارتبط وجود الكتب في الجامع والمسجد بتوفير المصاحف فيها كي تستخدم من قبل المترددين عليها باعتبار أن قراءة القرآن الكريم هو جزء من العبادة، ومن هنا كانت المصاحف هي أقدم ما كان يوقف فيها.

وقد أشار أحد الباحثين إلى أنه بغض النظر عن الخجم والموقع فإن أغلب مكتبات المساجد، كانت مكتبات قرآنية إذ رافق إقامة المساجد وضع نسخ من المصاحف فيها، وأن من الأمور التي تعد من التقاليد الإسلامية العريقة إهداء ووقف المصاحف فيها[١].

ومن أقدم الإشارات الخاصة بوقف المصاحف ما ذكر من أن عبد العزيز بن مروان غضب من إرسال الحجاج بن يوسف الثقفي بمصحف إلى مصر، فأمر بكتابة مصحف جعله في منزله، كان يؤخذ غداة كل يوم جمعة من المنزل إلى جامع عمرو بن العاص فيقرأ فيه، ثم يرد إلى موضعه. فلما توفي عبد العزيز اشتراه ابنه أبو بكر بألف دينار، ثم اشترته أسماء بنت أبي بكر بعد وفاة والدها بسبعمائة دينار فأمكنت الناس منه وشهرته فنسب إليها وعرف بمصحف أسماء، وعقب وفاة أسماء اشتراه أخوها الحكم بن عبد العزيز بن مروان من ميراثها بخمسمائة دينار، فاقترح عليه القاضي توبة بن نمر الحضرمي في عام ١١٨ هجرية بأن يجعله في الجامع فوافق، وأجرى على الذي يقرأ فيه ثلاثة دنانير في كل شهر[٢]، ويمكن اعتبار ذلك العام بداية تاريخ وقفه في الجامع بشكل دائم.

وفي عام ٢٩٨هـ وقف شخص يدعو عبد المنعم بن أحمد ثلاثين جزءاً من المصحف في الجامع الأموي في دمشق، لا يزال جزء منه محفوظاً حتى اليوم في المتحف الوطني السوري كما يذكر يوسف العش[٣].

وفي عام ٣٤٧ أحضر رجل من العراق مصحفاً ذكر أنه مصحف عثمان ابن عفان، كان فيه أثر دم قال إنه استخرجه من خزائن المقتدر بالله الخليفة العباسي، ووقفه في جامع عمرو بن العاص، ومن ثم أصبح الإمام يقرأ فيه يوماً، وفي مصحف أسماء المشار إليه سابقاً يوماً آخر، وقد وقف المقريزي على هذا المصحف، ورأى على ظهره ما نصه :

بسم الله الرحمٰن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، هذا المصحف الجامع لكتاب الله جل ثناؤه وتقدست أسماؤه حمله المبارك مسعود بن سعد الهيتي لجماعة المسلمين القراء للقرآن التالين له، المتقربين إلى الله جل ذكره بقراءته والمعلمين له ليكون محفوظاً أبداً ما بقي ورقه ولم يذهب اسمه ابتغاء ثوابه عز وجل ورجاء غفرانه، وجعله عدة ليوم فقره وفاقته، وحاجته إليه أناله الله ذلك برأفته، وجعل ثوابه بينه وبين جماعة من نظر فيه. وقد درس ما بعد هذا الكلام من ظهر المصحف والمندرس يشبه أن يكون ــ وتبصر ورقه وقصد بإيداعه فسطاط مصر في المسجد الجامع، جامع المسلمين العتيق ليحفظ حفظ مثله مع سائر مصاحف المسلمين فرحم الله من حفظه، ومن قرأ فيه، ومن عنى به، وكان ذلك في يوم الثلاثاء مستهل ذي القعدة سنة سبع وأربعين وثلثمائة وصلى الله على محمد سيد المرسلين وعلى آله وسلم تسليماً كثيراً وحسبنا الله ونعم الوكيل[٤].

وقد انتشر وقف المصاحف على الجوامع والمساجد، حتى أن بعضها كان يضم المئات منها مثل جامع عمرو بن العاص الذي يقال إن الحاكم بأمر الله الفاطمي أنزل إليه من القصر ألف ومائتين وثمانية وتسعين مصحفاً ما بين ختمات وربعات، فيها ما هو مكتوب كله بالذهب، ومكن الناس من القراءة فيه[٥]، كما أنه أنزل إلى جامع ابن طولون «ثمانمائة مصحف وأربعة عشر مصحفاً»[٦].

وبعث أحد ملوك المغرب بمصحف ضخم حمل على بغل مع أبي عبد الله

محمد بن إبراهيم اليقوري المتوفى سنة ٧٠٧هـ ليوقفه بمكة، ولا شك أن المكان الذي قصد ذلك السلطان وقف المصحف فيه هو الحرم المكي(٧).

وشارك بعض المشاهير في كتابة المصاحف بأنفسهم ووقفها في الجوامع من مثل علي بن أحمد الناصر لدين الله بن الحسن (ت ٦١٢٠هـ) ويكنى بأبي الحسن ويلقب بالملك العظيم، وكان من أبناء الخلفاء العباسيين واشتهر بحسن خطه، وقد ذكر أحد المؤرخين أنه شاهد مصحفاً بخطه وقفه بمشهد موسى بن جعفر(٨)، والعميد أبو علي الحسين بن أحمد الخوافي الأديب الذي كان من أولاد الرؤساء، وترك عمل السلطان وكتب بيده عدة مصاحف وقفها(٩)، وكذلك فخر الدين أبو أسعد المبارك بن يحيى بن المبارك بن المخرمي البغدادي (ت ٦٦٤هـ) صاحب الديوان «كتب بيده عدة مصاحف وربعات ووقفها على المشاهد، فكان على ذلك إلى أن توفي(١٠)». وشرف الدين محمد بن شريف بن يوسف بن الوحيد، وكان خطاطاً أديباً، توفي سنة ٧١١هـ «كتب المصحف في سبعة أجزاء بليقة ذهب بقلم الثلث في قطع البغدادي دخل فيها جملة من الذهب ووقفه في جامع الحاكم بالقاهرة»(١١).

ويتضح مما سبق أن القرآن الكريم استحوذ على اهتمام الواقفين، وشكلت المصاحف نواة المكتبات الكبيرة التي تأسست في الجوامع والمساجد فيما بعد عندما ازدهرت الحركة العلمية وكثرة المؤلفات في معارف متنوعة في شتى الأمصار الإسلامية منذ القرن الثاني الهجري، ووجد أهل العلم في الكتاب وسيلة للدرس والتعليم، ولعل الجوامع خلال القرون الثلاثة الأولى لم تخلو من كتب مصنفة في علوم القرآن والحديث، وإن كانت النصوص التي تؤيد هذا الرأي غير متوفرة لنا حتى الآن، ولكن من المؤكد أن القرن الرابع شهد بدايات وقف الكتب بشكل واسع في الجوامع والمساجد، ويؤيد هذا الرأي قيام مكتبات وقفية في الجوامع منذ أوائل القرن الخامس الهجري سوف نورد فيما يأتي معلومات عن بعضها.

جامعا آمد وميافارقين :

فقد وقف الشاعر الكاتب أحمد بن يوسف المنازي المتوفى سنة ٤٣٧هـ وزير أحمد بن مروان الكردي، صاحب ميافارقين وديار بكر مكتبة حافلة على

جامعي آمد وميافارقين[١٢]، ومن الطبيعي أن يكون هناك ما دفع به إلى مثل هذا العمل وهو وجود مكتبة في المسجد سابقة لعام ٤٣٧هـ، وظلت هذه المكتبة فترة طويلة في الجامعين حتى عهد ابن خلكان الذي يقول عنها: «وهي الآن موجودة بخزائن الجامعين ومعروفة بكتب المنازي»[١٣].

جامع أبي حنيفة في بغداد :

وأوصى الطبيب يحيي بن عيسى بن جزلة المتوفي سنة ٤٩٤هـ، بكتبه لتكون وقفاً بجامع أبي حنيفة في بغداد[١٤]، وما أقدم عليه ابن جزلة يوحي بأن الجامع كان يضم مكتبة وهو أمر غير مستبعد لمكانة صاحب الجامع.

* * *

وعندما نصل إلى القرن السادس الهجري نجد اتجاهاً واضحاً نحو العناية بمكتبات الجوامع والمساجد، وتواصل هذا الاهتمام حتى فترة قريبة مغطياً مساحة عريضة على امتداد البلاد الإسلامية.

الجامع الأزهر في القاهرة :

وكان الجامع الأزهر يضم مكتبة خاصة به، يدل على ذلك ما ذكره ابن ميسر في تاريخ مصر في أخبار سنة ٥١٧هـ، أنه قد أسند إلى داعي الدعاة أبي الفخر صالح منصب الخطابة بالجامع الأزهر مع خزانة الكتب[١٥]. وكان مما احتوت عليه هذه المكتبة فيما بعد كتاب القواعد لمحمد بن أحمد التلمساني المقري المتوفى سنة ٧٥٩هـ، وهو كتاب كان نادراً في المشرق في تلك الفترة حتى أن الونشريسي ذكر أنه لم ير منه بمصر إلا نسخة عند أحد الأفراد أخذها من أوقاف رواق المغاربة بالأزهر[١٦]. ومن الذين وقفوا على الأزهر كتباً في القرن الثاني عشر الأمير محمد غانم، كان من بينها نسخة من أساس البلاغة للزمخشري، عليها نص وقفية في عام ١١٣٤هـ[١٧].

جامع نيسابور :

وكانت فيه مكتبة لعل جذورها تضرب إلى القرن الخامس الهجري، فقد ذكر ياقوت الحموي عند ترجمته لمحمد بن إسحاق بن علي بن داود الزوزني المتوفى

سنة ٤٦٣هـ نقلاً عن عبد الغافر بن اسماعيل بن عبد الغافر الفارسي (ت ٥٢٩هـ) أنه كان ينسخ الكتب، وكتب نسخة من غريب الحديث للخطابي، قرأها على جده عبد الغافر الفارسي قراءة سماع، وعلى الحاكم قراءة تصحيح واتقان... «وأقطع على الله تعالى أن لم يبق من ذلك الكتاب نسخة أبين ولا أملح منها، وهي الآن برسم خزانة الكتب الموضوعة في الجامع القديم، موقوفة على المسلمين، ومن أراد صدقي في ادعائي فليطالعه منها»[١٨].

جامع حلب :

ومن الذين وقفوا كتباً فيه، أبو بكر محمد بن علي بن ياسر الجياني، الأنصاري المتوفى سنة ٥٦٣ إذ أنه استوطن حلب «ووقف بجامعها كتبه...»[١٩].

جامع الزيدي في بغداد :

وهو من وقف علي بن أحمد بن محمد العلوي الحسني الزيدي نسباً المتوفى سنة ٥٧٥هـ، وكان من أعيان عصره واشتهر باهتمامه بجمع الكتب وتحصيلها مع رفيقه صبيح النصري، وقد وقفا كتبهما على هذا المسجد بعد إنشائه، وكانت تضم ما كتباه بخطيهما واستكتباه بخطوط غيرهما، واقتنياه من كتب، ولعل كتب الزيدي كانت أكثر عدداً إذ كانت لديه «من الكتب المصنفة والأسانيد والأجزاء شيء كثير»[٢٠].

وخص المؤلف الشهير ياقوت الحموي المتوفى سنة ٦٢٦هـ هذا الجامع بكتبه فأوصى بوقفها فيه، وسلمها إلى المؤرخ ابن الأثير صاحب الكامل ليودعها فيه، بعد وفاته.[٢١]

جامع أصفهان :

وأسس تاج الملك مكتبة ألحقها بجامع أصفهان، هي التي يشير إليها محمد صفي الدين الكاتب الأصفهاني مؤلف خريدة القصر عند حديثه عن أبي الحسن الباخرزي صاحب دمية القصر، عندما يقول: «... وطالعت هذا الكتاب في أصفهان في دار الكتب التي لتاج الملك بجامعها، وبعثني على تأليف كتابي هذا خريدة القصر في شعراء العصر»[٢٢]، وكانت مكتبة هذا الجامع موجودة في فترة بين ٥١٩ و ٥٩٧ وهي التي عاشها العماد الأصفهاني.

المسجد النبوي بالمدينة :

وتكونت في هذا المسجد مكتبة كبيرة كانت حصيلة ما وقفه الملوك والحكام والعلماء الأثريا في مراحل تاريخية مختلفة، ففي عام ٥٨٠هـ، كانت فيه «خزانتان كبيرتان محتويتان على كتب ومصاحف موقوفة»[٢٣]، وكانت لإبراهيم بن رجب بن حماد الرواشي الكلابي المتوفى سنة ٧٥٥هـ كتباً نفيسة «وقفها بالمسجد النبوي»[٢٤].

ووقف سلطان بلاد فارس شاه شجاع بن محمد بن المظفر اليزدي المتوفى سنة ٧٨٧ خزانة كتب بالمسجد النبوي عند زيارته للمدينة، قال عنها السخاوي «له في الحرم المدني آثار أبرز بها خوافي المحامد، وآثار منها: الخزانة الشريفة المشتملة على محاسن الكتب ومفاخرها، فما من طالب مقتبس إلا وهو يستفيد من جواهر زواخرها»[٢٥].

وفي فترة متأخرة وقف فيه محمد البرزنجي الحسيني المدني خزانة كتب، وصفها عبد الغني النابلسي المتوفى سنة ١١٤٣ في رحلته (الحضرة الأنسية في الرحلة القدسية) فقال:

> وذهبنا وقت العصر إلى الحرم الشريف، وفتحوا لنا باب خزانة الكتب التي وقفها السيد محمد البرزنجي الحسيني الشهرزوري المدني، فوجدنا فيها كتباً كثيرة، في علوم شتى منها الجامع الكبير في الحديث للجلال السيوطي رحمه الله تعالى، في خمس مجلدات كبار، ومنها جزء ثالث في مجلد كبير ضخم من شرح سنن ابن ماجه للشيخ الدميري رحمه الله تعالى، ومنها تاريخ دمشق للحافظ ابن عساكر رحمه الله تعالى، والموجود منه غير المكرر ثلاث وتسعون جزء كل جزء مجلد على حدة نحو الثلاثة أو أربعة كراريس بالقطع الكامل، وهي أجزاء متفرقة منها الجزء الأول والأخير، ومنها ما هو بعد المائة، وما بعد المائتين وبعد الثلاثمائة، وبعد الأربعمائة وبعد الخمسمائة، وجملة مجلدات أجزاء الكتاب خمسمائة وسبعون مجلداً..[٢٦].

وامتد الوقف على المسجد النبوي إلى فترات قريبة، ففي عام ١٣٢٠هـ وقف

محمد العزيز، الوزير التونسي مجموعة تصل إلى ألفي كتاب، كما وقف إبراهيم منصور المصري، مجموعة من الكتب في عام ١٣٥٧هـ على الروضة.

وقد جمعت كافة الكتب الوقفية فيه وجعلت في مكتبة مكانها حالياً فوق باب عمر بن الخطاب في الجهة الشمالية من المسجد، وكان المرحوم عبيد مدني هو صاحب اقتراح تجميعها وجعلها في خزانة واحدة وذلك في عام ١٣٥٢هـ(٢٧).

الجامع الأموي في دمشق :

وقد كان لوقوع هذا الجامع في مدينة دمشق التي تعتبر مركزاً ثقافياً وعلمياً مهماً خلال فترات طويلة من تاريخ الإسلام، أكبر الأثر في نشاط الحركة العلمية فيه، واستخدامه في الأغراض التعليمية، الأمر الذي أدى إلى أن تتكون فيه مكتبة كبيرة جاءت حصيلة أوقاف العلماء والحكام والأثرياء، والذين كان من بينهم :

زيد بن سعيد بن عصمة أبو اليمن الكندي المتوفى سنة ٦١٣هـ، وكان عالماً جليلاً وقف كتبه «وكانت نفيسة وهي سبعمائة وإحدى وستون مجلداً على معتقه نجيب الدين ياقوت، ثم على العلماء في الحديث والفقه واللغة، وغير ذلك وجعلت في خزانة كبيرة في مقصورة ابن سنان الحلبي...»(٢٨)، وأشار إليها أحد المؤرخين قائلاً «له خزانة كتب بالجامع الأموي فيها كل نفيس...»(٢٩).

وسيف الدين محمد بن عروة الموصلي الذي ينسب إليه مشهد ابن عروة، لأنه أول من فتحه... ووقف فيه خزائن كتبه(٣٠)، ويبدو أن المكتبة كانت متخصصة في كتب الحديث إذ أن الواقف جعل مشهده مقراً لتدريس الحديث، فأطلق عليها دار الحديث العروية(٣١)، ولكنها لم تخل من كتب في فنون أخرى إذ كان ضمن الوقف فيها: «تاريخ الأطباء لابن أبي أصيبعة، في عشر مجلدات لطاف»(٣٢).

وحسن بن محمد بن اسماعيل بن منصور بن أحمد التاجر بدر الدين بن الطحان المتوفى سنة ٧٤٧هـ، وكان يعمل ميعاداً بالجامع الأموي ووقف فيه كتباً(٣٣).

وعلي الدفتري المتوفى سنة ١٠١٨ وكان قد وقف كتبه واستودعها بيت الخطابة بالقرب من المقصورة[٣٤]، ولعل هذه هي الكتب التي يشير إليها أحد معاصريه الذين عرفوه عن قرب حيث يقول: «وأوقف وقفاً وكتباً على دمشق... والكتب المذكورة عظيمة حسنة وافرة مشهورة قل من ملك مثلها أو ظفر بمثله...»[٣٥]

جامع الحاكم بالقاهرة:

ويبدو أنه كانت فيه مكتبة أصيبت بأضرار عقب الزلزال الذي وقع في عام ٧٠٣هـ، وذلك أنه عندما أعيد إصلاحه وترميمه بإشراف ركن الدين بيبرس الجاشنكير، جعل فيه خزانة كتب، وأجرى على الجامع أوقافاً ظلت باقية حتى عهد المقريزي[٣٦].

الجامع الظاهري بالقاهرة :

وممن وقف فيه كتباً، يحيى بن عبد الوهاب بن عبد الرحيم الدمنهوري الشافعي المتوفى سنة ٧٢١هـ إذ وقفها عند موته[٣٧].

جامع القرويين بفاس :

واهتم سلاطين المغرب من بني مرين بالكتب، ووقفوا عدة خزائن منها على طلبة العلم بهذا الجامع من أقدمها الخزانة العنانية التي أنشأها أبو عنان المريني في عام ٧٥٠هـ وكانت شاملة لكافة العلوم، ويحدد أحد الباحثين موقعها فيشير إلى أنها في المستودع الموجود شرقي الصحن عن يمين المتجه إلى داخل المسجد، ويذكر أن في أعلى بابها وثيقة منقوشة على الخشب بحروف ناتئة فيها اسم المنشىء والتاريخ والهدف منها، كما أورد نص الوثيقة وهو.

..الحمد لله حق حمده، وصلى الله على سيدنا محمد نبيه وعبده، ورضي الله عن الخلفاء القائمين بالحق من بعده.

مما أمر به من أحيا الله بإيالته الأنام، وتدارك بدولته الإسلام، أمير المؤمنين، المتوكل على رب العالمين، وطب ملوك الزمان، المظفر المنصور المولى أبو عنان، ابن الخلفاء الراشدين المرهبين أدام الله للمسلمين أيامه، ونشر أعلامه، إنشاء هذه الخزانة السعيدة، الجامعة

للعلوم المجيدة، المشتملة على الكتب التي أنعم بها من مقامه الكريم، المحتوية على أنواع من العلوم الواجب لها التعظيم والتكريم، جعل ذلك نصره الله وقفاً مؤبداً لجميع المسلمين، حتى يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين، حضاً منه أيده الله على طلب العلم وإظهاره، وارتقائه واشتهاره، تسهيلاً لمن أراد القراءة والنسخ منها والمطالعة والمقابلة، وليس لأحد أن يخرجها من أعلى المودع التي هي فيه، ولا يغفل المحافظة عليها والتشويه، أراد بذلك وجه الله العظيم، وثوابه الجسيم، ضاعف الله بذلك حسناته، ورقى في الجنان درجاته، وأطال ملكه، ونظم في الصالحات سلكه، وذلك في جمادي الأولى عام خمسين وسبعمائة أوصله الله بالبركات الزكية[٣٨].

كما وقف ابن خلدون المتوفى سنة ٨٠٨هـ نسخة من تاريخه بعد أن أتمه على مكتبة هذا الجامع لا يزال منها مجلدان على غلاف أحدهما نّص عبارة الوقفية حتى اليوم[٣٩].

وفي عهد الدولة السعدية أنشأ أحمد المنصوري السعدي مكتبة في جهة القبلة عن يسار خزانة المصاحف العنانية عرفت فيما بعد بالخزانة الأحمدية أو السعدية وقد تتابع الاهتمام بمكتبة جامع القرويين فيما بعد إذ شارك.

وجهاء الدولة من ملوك ووزراء وكذا العلماء في وقف بعض الكتب عليها ومنهم من أوقف مكتبته الخاصة بأكملها، ومن الكتب التي أوقفت بهذه المكتبة الجامع الكبير للسيوطي والسماء والعالم في اللغة ـــ لابن أبي عبد الله القرطبي، وتفسير ابن حيان، ومواهب الجليل على مختصر خليل، وقد امتد الوقف على هذه المكتبة حتى عصر الملك محمد الخامس الذي أوقف نسخة من مواهب الجليل على مختصرخليل بهذه المكتبة في عام ١٣٥٠هـ[٤٠].

مسجد الرضواني في تعز :

وشيده جوهر بن عبد الله الرضواني المتوفى في عشر الخمسين وسبعمائة ووقف عليه كتباً[٤١].

الجامع الجديد بالصالحية :

أنشأه على تربة ربيعة خاتون، علم الدين بن حسين العقري التاجر سنة ٧٩٠هـ ودرس فيه جماعة منهم جمال الدين ابن طولون الذي وقف كتبه عليه(٤٢).

جامع الزيتونة في تونس :

وقد ضم مجموعات كبيرة من الكتب الوقفية على مدار السنين، وكان من الذين ساهموا في وقف الكتب عليه الأمير أبو فارس عبد العزيز بن أحمد الحفصي المتوفى سنة ٧٩٦هـ، وكانت في خزانة «مشتملة على أمهات الدواوين، وجعل لها مقصورة بمجنبة الهلال من الجامع الأعظم ووقفها على طلبة العلم ينتفعون بالنظر والكتب...» ويبدوا أنه كان هناك ما يمنع من استخدامها استخداماً مفيداً من قبل طلبة العلم، مما دفع بخليفته أبي عبد الله محمد المنتصر بن محمد بن أبي فارس عبد العزيز الذي تولى الإمارة الحفصية في سنة ٨٣٨ إلى إخراجها من مكانها الذي كانت فيه إلى مكان آخر «ووقف عليها وقفاً كافياً مؤبداً»(٤٣).

جامع أزبك الأشرفي في القاهرة :

وعمَّر أزبك من ططخ الأشرفي في فترة تعود إلى أواخر القرن التاسع الهجري جامعاً كبيراً وذلك أثناء أتابكيته «وكان مما عمله فيه خزانة لكتب العلم»(٤٤)

الجامع الظافري في زبيد :

وكانت فيه خزانة كتب، يدلل على ذلك ما ذكر من أن كتاب فتح الباري لابن حجر حظيت أول نسخة منه تصل اليمن في عام ٩٠١ باهتمام كبير، وقد حمل هذه النسخة الفقيه جمال الدين محمد بن أحمد العطاب إلى زبيد، فنسخت منها نسخة جيدة بخطوط معتبرة وقوبلت على الأصل ووقفت بالجامع الظافري، والخبر يبين مدى العناية التي كانت تولى بمكتبات المساجد إذ يتضح لنا منه الحرص على توفير أحدث ما يصل إلى البلاد من كتب لتكون ضمن خزانة المسجد عن طريق الوقف(٤٥).

جامع أبي الذهب في القاهرة

أسس هذا الجامع محمد بك أبو الذهب المتوفى سنة ١١٨٩هـ، الذي حكم مصر منذ عام ١١٨٧هـ. وقد وقف بمسجده هذا مكتبة جاء في وثيقتها :

وإن مولانا الأمير محمد بيك الواقف المشار إليه أعلاه وقف أيضاً وحبس وسبل وتصدق لله سبحانه وتعالى بجميع الكتب الشريفة الجليلة المعتبرة التي حوت القرآن وأنواع الفنون من تفسير وحديث وفقه وشروح ومتون وغير ذلك مما يأتي بيانه فيه المشتملة بدلالة الدفتر المكتتب في شأن ذلك...(٤٦)

والكتب التي وقفها يبدوا أنها هي تلك التي كانت في ملكه وحيازته وقد أشار إلى ذلك في وثيقة الوقف، وكان قد عنى بتكوين مكتبته فاشتري لها النادر والحديث من الكتب، وبلغ من اهتمامه أن اشترى من المرتضى الزبيدي شرحه للقاموس المسمى بتاج العروس بمبلغ مائة ألف درهم فضة، وبلغ رصيد المكتبة في القرن الثالث عشر ١٢٩٦ مجلداً عد المصاحف الذهبية القيمة(٤٧).

ويذكر عبد اللطيف إبراهيم في دراسته لمجموعة هذه المكتبة الوقفية أنها كانت تدور حول القرآن وعلومه والحديث والفقه على المذاهب الأربعة والفتاوي والشروح والحواشي المختلفة والتوحيد والفرائض والمنطق وكتب اللغة من معاجم وصرف وبلاغة، وأنها كانت مما يحتاج إليه طلبة العلم حيث وجد أن هناك تكراراً في عدد النسخ بالنسبة للكتب المقررة للدراسة(٤٨).

ولإعطاء نماذج من العناوين التي كانت تضمها المكتبة نورد بعض ما ورد في وثيقة وقفها مما يشير إلى ذلك :

والخازن خمسة نسخ ثلثة عشر جزوا والبغوى نسخة واحدة جزوين... الاتقان للسيوطي نسخة واحدة... وأسيلة القرآن وأجوبتها للرازي نسخة واحدة... ومختصر البخاري لابن أبي جمرة نسخة واحدة... والطريقة المحمدية نسختين... والدراية لقرا النقاية للسيوطي نسخة واحدة... والسندي على النسائي أيضاً نسخة واحدة... وبدايع الصنايع نسخة واحدة... ومجمع الأنهر على ملتقى الأبحر نسخة واحدة... والفيشي على العزية نسخة واحدة... والمفصل للزمخشري نسخة واحدة... والشنواني على الأزهرية نسخة واحدة... ومطالع الأسرار على الشمسية نسخة واحدة... وشرح العقايد لابن قاسم الغزي نسخة واحدة... والسعد على المقاصد نسخة واحدة...(٤٩)

الحرم المكي :

وطالب أحد المؤرخين المتأخرين (أوائل القرن الحادي عشر الهجري) السلطان مراد أن يضيف إلى أعمال البر التي أقامها بمكة المكرمة أن ينشيء مكتبة فيها، مثيلة لتلك الموجودة بالمدينة المنورة، وعمم مطالبته فقال :

«وأنا أسال من فضل من طالع هذا المختصر من العلماء الأعلام والكبراء الفخام أن يسعى في ذلك لجيران بيت الله الحرام فإنهم محتاجون لهذا الإنعام»[٥٠] وهذه المطالبة في ظني لا تعني أن الحرم المكي لم تكن فيه كتب وقفية بقدر ما تعني الحاجة إلى إقامة بناء منظم يحوي ما كان في الحرم من كتب وقفت عليه على مر السنين، مع إضافة مجموعات أخرى عليها لتكون مناسبة لمكانة الحرم المكي، ولعل الفترة التالية لخلافة السلطان مراد شهدت عناية بوقف الكتب على الحرم بشكل جيد، فتكونت مجموعات كبيرة تحتويها حالياً مكتبة الحرم المكي المقامة خارجه، والتي تضم آلاف المخطوطات النفيسة التي كانت وقفت عليه.

والمؤكد أن كثيراً من الحكام والأمراء والعلماء والوزراء وبعض الحجاج قد وقفوا كتباً عليه من مثل الحاج محمد بن محمد القط الذي وقف نسخة ــ من الميزان الشعرانية وكتب عليها ما نصه :

أوقف وتصدق العبد الفقير إلى الله سبحانه وتعالى الواصل إلى هذا الحرم الشريف الحاج محمد بن المرحوم الحاج محمد القط هذا الكتاب المبارك لله ورسوله بأعلا ظهر زمزم لكل من يقرأ فيه من المسلمين بنظر الصالح الزمزمي ابن عبد السلام الزمزمي له النظر فيه، والصلاة على سيد البشر[٥١].

وفي أواخر القرن الثالث عشر الهجري وقف صالح الحريري المتوفى سنة ١٢٩٢هـ «سائر كتبه في حياته، وجعل مقرها قبة كتب خانة العثمانية الكائنة بالمسجد الحرام»[٥٢].

والنص الأخير يدل على أن مطالبة القطبي لم تذهب سدى فأقيمت خزانة كتب هي التي كونت محتويات العثمانية أو المجيدية التي أنشئت حوالي عام ١٢٦٢هـ.

ومن الواضح أن ماذكر في الصفحات السابقة، ماهي إلا نماذج متواضعة تعبر عما كانت تحظى به المساجد والجوامع من عناية الواقفين المهتمين بأمور العلم، الحريصين على إستفادة طلابه من مصادر المعلومات التي تساعدهم وتعينهم على الدرس والتحصيل أثناء ترددهم على حلقات العلم في المساجد والجوامع، كما يتضح لنا منها بشكل جلي أن المساجد عرفت المكتبات قبل القرن الخامس الهجري، وأنها سابقة لمكتبات المدارس وهو على خلاف ما ذهب إليه أحد الباحثين المعاصرين الذي يرى أن مكتبات المساجد لم تكن معروفة قبل القرن الخامس وأن ما كان بها اقتصر على المصاحف وحدها[٥٣]، إذ أن ذلك يخالف الواقع الذي تشهد عليه كتب التراث، حيث كانت الجوامع هي مدارس العلم قبل ظهور فكرة المدارس المنظمة، وهو ما يعني أن مكتباتها أسبق من مكتبات المدارس من حيث النشأة، فإذا عرفت أن جامع آمد قد حوى مكتبة في الربع الثاني من القرن الخامس، فإن في ذلك دلالة على أن من الأولى أن تكون الجوامع الكبيرة في عواصم البلاد الإسلامية قد عرفت المكتبات قبل ذلك، بل لعل جامع آمد نفسه ضم كتباً وقفية قبل أن يوقف المنازي المتوفى سنة ٤٣٧ هـ كتبه على جامعي آمد وميافارقين.

وللتعرف على ضخامة ما كانت تحتوى عليه مكتبات الجوامع والمساجد في أنحاء العالم الإسلامي فإن في إمكان المرء الرجوع إلى كتاب سزكين حين أورد أسماء بعض الجوامع التي تضم مخطوطات، ووضعت لها فهارس تنم عن محتوياتها[٥٤]، وكذلك أطروحة محمد مكي السباعي التي قدمها إلى قسم المكتبات والمعلومات بجامعة أندينا عام ١٩٨٤م وحصل بها على درجة الدكتوراه وهي بعنوان:

An Historical Investigation of Mosque libraries in Islamic life and culture

ثانياً: وقف الكتب والمكتبات على المدارس :

أدرك الأسلاف أن الكتاب أداة ضرورية في العملية التعليمية لا غنى عنه للمعلم والمتعلم، فكان أن واكب إنشاء المدارس الاهتمام بتوفير أكبر قدر من الكتب فيها، منها ما يتصل بالمجال الموضوعي، أو المجالات الموضوعية التي تتخصص فيها المدرسة، ومنها ما يدخل في باب المعارف العامة التي لا يستغني

عنها أي طالب علم يرغب في تكوين ثقافة واسعة راقية.

ومن هنا وجدنا كل من يوقف مدرسة يجعل فيها خزانة كتب وقفية، لها نصيب من الموارد المالية المخصصة لتسير عجلة الوقف بشكل عام، ثم كان أخيار فضلاء من الناس علماء وأثرياء وطلاب علم يضيفون إلى خزانة الكتب عن طريق شراء كتب يوقفونها، أو تضمين وصياهم ما يشير إلى وقف ما يخصهم من كتب على مدرسة محددة، ويمكن للمرء أن يجزم أن مدرسة واحدة في بقاع العالم الإسلامي القديم ما كانت تخلو من مكتبة تابعة لها بغض النظر عن حجمها وموقعها.

وإذا كان من الصعب أن نحدد بشكل دقيق أول مدرسة في تاريخ الإسلام احتوت على مكتبة، إلا أن من الممكن أن نقول: إن من أقدمها ما كان في المدرسة البيهقية في نيسابور.

المدرسة البيهقية في نيسابور :

فهذه المدرسة التي يعود تاريخها التقريبي إلى القرن الرابع الهجري والتي كانت متخصصة في علم الحديث ضمت مكتبة وقفت عليها، عمل فيها أحمد بن عبد الملك أبو صالح المؤذن النيسابوري (٣٨٨ ــ ٤٧٠هـ) حيث كان عليه :

> الاعتماد في الودائع من كتب الحديث المجموعة في الخزائن، الموروثة عن المشائخ الموقوفة على أصحاب الحديث، وكان يصونها، ويتعهد حفظها، ويتولى أوقاف المحدثين من الحبر والكاغد وغير ذلك، ويقوم بتفريقهم عليهم وإيصاله إليهم، وكان يؤذن على منارة المدرسة البيهقية سنين احتساباً[٥٥].

ونستنبط من النص، أن الكتب كانت في المدرسة التي لعلها كانت ملحقة بجامع وليست مستقلة، وهذا الاستنباط نأخذه من قوله: «وكان يؤذن على منارة المدرسة البيهقية»، وعمل أبو صالح في هذه المدرسة كان بمثابة أمين المكتبة بالدرجة الأولى، ويذهب بنا الظن إلى أن هناك علاقة بين هذه المدرسة وجامع نيسابور الذي سبقت الإشارة إليه، وبالتالي فقد تكون المكتبة التي نتحدث عنها هنا هي ذاتها المكتبة التي كانت في ذلك الجامع.

المدرسة النظامية في بغداد :

ولعلها أول مدرسة تقوم على أسس منظمة ويحتفل بافتتاحها على نطاق الدولة، وقد أنشأها مع أخريتين حملتا نفس الاسم في نيسابور وطوس الوزير نظام الملك أبو علي الحسن بن علي بن اسحاق الطوسي الذي توفي مقتولاً في عام ٤٨٥هـ، وقد شرع في عمارتها عام ٤٥٧، واكتمل البناء وافتتحت في عام ٤٥٩.

والمؤكد أنها ضمت مكتبة حافلة منذ افتتاحها ويشير إلى ذلك محمد ماهر حمادة قائلاً :

> فقد ألحق بها مكتبة غنية منظمة زودها بكل غريب ونادر، فقد ذكر أن عبد السلام القزويني أهدى إلى نظام الملك أربعة أشياء فريدة في بابها منها غريب الحديث لإبراهيم الحربي بخط أبي عمر بن حيوة في عشرة مجلدات، فوقفه نظام الملك على طلاب المدرسة النظامية ببغداد[٥٦].

وأضاف أحد الأمراء إلى مكتبتها بعد سنوات من افتتاحها مجموعة من الكتب ففي يوم الاثنين السادس والعشرين من جمادي الآخرة عام ٤٦٢هـ :

> جمع الأمير العميد أبو نصر الوجوه، فأحضر أبا القاسم ابن الوزير فخر الدولة، والنقيبين والأشراف، وقاضي القضاة والشهود إلى المدرسة النظامية، وقرئت كتب وقفتها، ووقف كتب فيها ووقف ضياع وأملاك وسوق أبنيت على بابها عليه وعلى أولاد نظام الملك على شروط شرطت فيها[٥٧].

وأصيبت مكتبة النظامية بأضرار عقب الحريق الذي لحق بالمدرسة في عام ٥١٠هـ، وقد أسهم الفقهاء في ذلك الحين في إنقاذ الكتب بنقلها منها، ولعل بعضها فقد أثناء ذلك، ويبدو أن المكتبة قد عانت أثر ذلك الحريق حتي قام الخليفة العباسي الناصر لدين الله بتجديد عمارة المكتبة في عام ٥٨٩هـ «ونقل إليها ألوفاً من الكتب الحسنة المثمنة»[٥٨] وحدد عدد الكتب التي نقلت إليها في مصدرين ضمن حوادث سنة ٥٨٩هـ فقيل «وفيها بني الخليفة دار الكتب بالمدرسة النظامية ونقل إليها عشرة آلاف مجلدة من الخطوط المنسوبة»[٥٩] ولعل

إشارة ابن الجوزي من أن رصيد المكتبة هو ستة آلاف مجلد كانت لمجموعتها عقب الحريق، وقبل إضافة مجموعة الخليفة الناصر لدين الله.

وظلت مكتبة النظامية تستقطب مجموعات وقفية متتالية حتى أواخر القرن السابع الهجري إذ وقف عليها المؤرخ محمد بن محمد بن هبة الله النجار البغدادي المتوفى سنة ٦٤٣هـ خزانتين من الكتب تساوي ألف دينار وأمضى ذلك الخليفة المستعصم،[٦١] كما «وقف كتبه» عليها تاج الدين أبو طالب على بن أنجب المعروف بابن الساعي المتوفى سنة ٦٧٤هـ[٦٢].

المدرسة الفخرية في بغداد :

وعمر فخر الدولة أبو المظفر الحسن بن هبة الله بن المطلب الكرماني المتوفى عام ٤٩١هـ مدرسة بعقد المصطنع في المأمونية ببغداد «وجعل بها خزانة كتب جامعة لأنواع العلوم»[٦٣] ووقف على المدرسة ورباط قام بتأسيسه وقوفاً جليلة.

مدرسة شرف الملك المستوفي في مرو :

وعمل أبو سعد شرف الملك محمد بن منصور المستوفي، المتوفى سنة ٤٩٤هـ مدرسة في مرو بخراسان «ووقف فيها كتباً نفيسة»[٦٤].

المدرسة النورية في حلب :

وهي من المدارس التي أنشأها الملك العادل نور الدين محمود بن زنكي المتوفى سنة ٥٦٩هـ، ولعله وقف عليها كتباً إذ يشير الذهبي في معرض ترجمته له وتعداد مآثره إلى أنه «وقف كتباً كثيرة مثمنة»[٦٥]ولكنه لم يحدد الأماكن التي وقفت عليه، وقد عمل في مكتبتها أبو عبد الله محمد بن على بن ياسر الأنصاري الجياني المتوفى سنة ٥٦٣هـ، وذكر ذلك المقري حيث يقول في ترجمته للجياني «ثم انتهي إلى حلب فاستوطنها وسلمت إليه خزانة الكتب النورية، وأجريت عليه جراية، وكان فيه عسر في الرواية والإعارة معاً ووقف كتبه على أصحاب الحديث»[٦٦] والجملة الأخيرة فيها بعض الغموض إذ توحى بأن الكتب التي وقفها قد تكون في خزانة هذه المدرسة، ولكن يفسرها قول الذهبي «استوطن حلب ووقف بجامعها كتبه»[٦٧].

مدرسة عبد القادر الجيلي في بغداد :

ولعلها من المدارس التي أنشئت في القرن السادس الهجري، وقد تكون ملحقة بجامع عبد القادر الجيلاني، ومن الذين وقفوا كتباً على هذه المدرسة علي بن عساكر المعروف بالبطائحي، المتوفى سنة ٥٧٢هـ[٦٨].

المدرسة العادلية في دمشق :

وأول من فكر في بناء هذه المدرسة هو نور الدين محمود زنكي، كي يُدرس فيها قطب الدين مسعود بن محمد بن مسعود النيسابوري شيخ الشافعية، ولكن نور الدين توفي قبل أن تتم، فشرع ابنه سيف الدين في إكمالها، غير أنه توفي أيضاً قبل أن يتحقق له هذا الأمر، ثم أقامها من جديد الملك العادل سيف الدين أبو بكر محمد بن الأمير نجم الدين أيوب بن شادي، ولعل ذلك كان في فترة تالية لعام ٥٧٨هـ وهو العام الذي توفي فيه قطب الدين مسعود والذي يبدو أنه انتظر كثيراً فوقف كتبه على طلبة العلم دون تحديد، ثم أن هذه الكتب نقلت إلى المدرسة العادلية بعد أن تم بناؤها[٦٩]، ويؤكد لنا خبر أورده ابن خلكان انتقال كتب قطب الدين إلى هذه المدرسة، إذ يذكر أنه رأى في شوال سنة ٦٦٥ «في خزانة الكتب بالمدرسة العادلية بدمشق المحروسة كتاب التقريب في ست مجلدات، وهو من حساب عشر مجلدات، وكتب عليه أنه من تصنيف أبي الحسن القاسم بن أبي بكر القفال الشاشي، وقد كانت النسخة المذكورة للشيخ قطب الدين مسعود النيسابوري، وعليها خطه بأنه وقفها»[٧٠].

المدرسة الفاضلية بالقاهرة :

وفي عام ٥٨٠ هجرية أقدم أحد المشاهير المهتمين بجمع الكتب هو القاضي الفاضل أبو علي عبد الرحيم بن علي البيساني المتوفى سنة ٥٩٦هـ على إنشاء مدرسة في عام ٥٨٠هـ إلى جانب داره، إضافة إلى مكتب الأيتام «ووقف كتبه جميعها عليها، وكانت كتب عظيمة يقال إنها كانت تزيد على مائة ألف مجلدة»[٧١] ويذكر أحد المؤرخين أن تلك الكتب الموقوفة التي بلغت مائة ألف مجلد كانت «في سائر العلوم»[٧٢]وضمت المكتبة نفائس «كان من بينها مصحف مكتوب بالخط الكوفي تسميه الناس مصحف عثمان بن عفان، وقد دفع

القاضي الفاضل لشرائه أكثر من ثلاثين ألف دينار. وقد أنفق القاضي أموالاً طائلة على كتبه التي كانت في كل فن وكان يجتلبها من كل جهة»[٧٣].

مدرسة نظام الملك في خوارزم :

وكان مما عمله نظام الملك مسعود بن علي وزير خوارزم شاه تكش، والذي قتل عام ٥٩٦هـ مدرسة في خوارزم «جعل فيها خزانة كتب»[٧٤].

مدرسة ابن الجوزي في بغداد :

وصاحبها المؤرخ والعالم الشهير أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي ابن الجوزي المتوفى سنة ٥٩٧هـ وقد أقامها في درب دينار ببغداد ووقف عليها كتبه[٧٥].

المدرسة العمرية في دمشق :

وهي من وقف أبي عمر محمد بن أحمد بن قدامة الحنبلي المتوفى سنة ٦٠٧هـ، وتعرف أيضاً بمدرسة أبي عمر، وبهذه المدرسة عدة خزائن كتب وقفية من أعظمها «كتب السيد الحسيني، ومنها كتب الشيخ قوام الدين الحنفي، ومنها كتب الشمس البانياسي، ومنها كتب المحدث جمال الدين بن عبد الهادي، ومنها كتب شهاب الدين بن منصور، ومنها كتب... البدري ديوان الجيش، وفي هذه المكتبة مصحف الإمام علي ابن أبي طالب»[٧٦] وكان من بين الكتب التي وقفها عبد الوهاب الحسيني الدمشقي نسخة من القاموس المحيط بخطه[٧٧].

المدرسة البهنسية في دمشق :

أنشأها الوزير مجد الدين أبو الأشبال الحارث بن مهلب وزير الملك الأشرف مظفر الدين موسى ابن الملك العادل أيوب، ويبدو أنها كانت قريبة من المقبرة التي دفن فيها، أو لعله دفن في المدرسة ذاتها، فقد ذكر النعيمي أنه أنشأ المدرسة البهنسية ثم أورد نص ابن كثير الذي يقول فيه ضمن وفيات سنة ٦٢٨ «المجد البهنسي وزير الملك الأشرف ولما توفي دفن بتربته التي أنشأها بالسفح، وجعل كتبه بها وقفاً وأجرى عليها أوقافاً جديدة دارة»[٧٨].

المدرسة المستنصرية في بغداد :

وهي المدرسة الشهيرة التي قامت بدور كبير في تاريخ التعليم في الإسلام، وصاحب الفضل في إنشائها الخليفة العباسي المستنصر بالله عبد الله أبو جعفر المتوفى سنة ٦٤٠هـ، وقد أفتتحت عام ٦٣١ هجرية ووقفت على المذاهب الأربعة.

واعتنى الخليفة المستنصر بتوفير مكتبة شاملة كبيرة في هذه المدرسة، وأنفق أموالاً طائلة لجمع أكبر قدر من الكتب فيها، مما أدى إلى وقوع أزمة في سوق الكتاب في عصره عبَّر عنها ابن النجار بقوله: «وبيعت كتب العلم فى أيامه بأغلى الأثمان لرغبته فيها، ولوقفها»[٧٩].

ويبدو أن هذه المكتبة كانت على درجة من الفخامة، فوصفت بأوصاف منها قول ابن كثير: «وقفت خزائن كتب لم يسمع بمثلها في كثرتها وحسن نسخها، وجودة الكتب الموقوفة بها»، وقال عنها في مكان آخر: «ووقف فيها كتب نفيسة ليس في الدنيا مثلها»[٨٠].

وأشار إلى ما وقف فيها آخر فقال: «وأوقف عليها الكتب النفيسة»[٨١]، وذكر ثالث أن ما نقل إليها يصل إلى مائة وستين حملاً من الكتب النفيسة[٨٢].

ويقدم لنا الأشرف الغساني وصفاً جيداً يصور بداية وقف الكتب فيها في عهد المستنصر بالله فيقول :

> وفي يوم الخامس والعشرين من الشهر (جمادى الآخرة) ركب الوزير أبو الأزهر أحمد بن الناقد إليها فقيل عتبتها، وطاف في أرجائها فراعه ما شاهد من وصفها الغريب وترتيبها، وحملت إليها الكتب النفيسة ذوات الخطوط النفيسة والأصول المضبوطة المحتوية على سائر العلوم الدينية على مائة وستين جملاً سوى ما نقل إليها بعد ذلك، وجعلها وقفاً بدار الكتب التي أنشأها بالمدرسة المذكورة[٨٣].

وقد وقف جماعة من العلماء كتباً على هذه المدرسة فكان منهم فخر الدين أبو محمد الحسن بن محمد بن الحسن الطبسيّ المدرس الفقيه بالمستنصرية إذ

أنه «اقتنى كتباً نفيسة أكثرها بخطه ووقفها على خزانة كتب المستنصرية وشرط فيها شرط الإمام المستنصر واستفاد الناس بها»[٨٤].

وقد بقيت هذه المكتبة ضمن المدرسة المستنصرية تؤدي رسالتها بعد سقوط الخلافة العباسية، واجتياح المغول لمدينة بغداد، وقد عمل خازناً بها في الفترة المغولية المؤرخ الشهير ابن الفوطي وأكثر من الحديث عنها في كتابه تلخيص مجمع الآداب، ومن الأخبار ذات الصلة بها والتي أشار إليها: أن قطب جهان أبو المحامد حمد بن عبد الرزاق بن أحمد الخالدي الزنجاني قاض قضاة الممالك المغولية قدم إلى بغداد في صحبة العسكر الايلخانية في سنة ٦٩٦هـ.

وحضر عندنا في خزانة كتب المدرسة المستنصرية في جماعة من علماء قزوين فلما عاين تلك الكتب المنضدة والتي لم يوجد مثلها في العالم لم يطالع فيها شيئاً لكنه سأل هل تحتوي هذه الخزانة على الهياكل السبعة فقد كان لي نسخة مذهبة شذت عني أريد أن أستكتب عوضها[٨٥].

كما أنه يورد أسماء بعض الذين كانوا يكثرون من التردد على المكتبة، فيقول عن قوام الدين أبي بكر بن أبي النجم الدرزي البغدادي «كان من الفقهاء الأعيان.. ورتب معيداً بالمستنصرية، وكان يتردد إلى خزانة الكتب...»[٨٦]، ويقول عن قوام الدين أبي القاسم هبة الله أحمد بن هبة الله بن أبي عيسى الذهلي الأديب المهندس «كان شهي المحاضرة حسن الذاكرة له شعر فصيح، وكان يتردد إلى خزانة الكتب بالمستنصرية»[٨٧].

ومما لاشك فيه أن هذه المدرسة «كانت في القرنين السابع والثامن الهجريين أعظم دور العلم العامة، وأشهرها في العالم ولا سيما في العهد الذي كان ابن الفوطي مشرفاً عليها، وكانت في وقتها مرجعاً عاماً لطلاب المستنصرية ومدرسيها وشيوخها، كما كانت مرجعاً لطلاب العلم والعلماء من خارج المستنصرية»[٨٨].

المدرسة الضيائية بدمشق :

أنشأها الحافظ ضياء الدين محمد بن عبد الواحد بن أحمد المقدسي، المتوفى سنة ٦٤٣، على باب الجامع الظافري، وأعانه عليها أهل الخير، وجعلها

دار حديث(٨٩)، ووقف عليها كتبه(٩٠)، التي يصفها أحدهم بأنها كانت «كثيرة عظيمة»(٩١)، «جملة منها كانت بخطه»(٩٢).

وقد تنامت مجموعة مكتبة هذه المدرسة في مراحل متعددة إذ وقف عليها كتباً مجموعة من العلماء منهم «الموفق والبهاء عبد الرحمن والحافظ عبد العزيز وابن الحاجب وابن سلام، وابن هائل، والشيخ علي الموصلي والحافظ عبدالغني»(٩٣)، ووقف عليها محمد بن عبدالمنعم بن غازي بن هامان بن موهوب الحراني «كتبه وأجزاءه»(٩٤) وشاهد فيها الذهبي نسخة من حديث الخزاعي بخط أبي بكر محمد قاضي المرستان المتوفى سنة ٥٣٥، وقال: «هذا الجزء في وقف الشيخ ضياء وأوله بخطه، حدثنا أبو سعد السمعاني»(٩٥).

وتجمع في مكتبة هذه المدرسة من الكتب الوقفية ما دفع بجمال الدين بن عبد الهادي إلى القول بأنه كان بها «كتب الدنيا والأجزاء الحديثة، حتى يقال إنه كان فيها خط الأئمة الأربعة، حتى يقال إنه كان فيها التوراة والأنجيل»(٩٦).

المدرسة البشيرية في بغداد :

وأسستها حظية الخليفة المستعصم أم ولده أبي نصر المعروفة بباب بشير وجعلتها وقفاً على المذاهب الأربعة، وقد وقفت عليها خزانة كتب، تفرقت بدداً لا يعرف منها غير المجلد الخامس من تفسير القرآن المسمى (العيون والنكت) للماوردي، وهو ضمن خزانة كتب آل باشي أعيان العباسي في البصرة وعلى ظهر أول صحيفة منه وقفية جاء في أولها: «هذا ما وقفه وتصدق به الجهة الشريفة المكرمة المقدسة الزكية المعظمة السيدة الكبيرة الرضية الأمينة... جهة سيدنا ومولانا الإمام المفترض الطاعة على جميع الأنام أبي أحمد عبد الله المستعصم بالله أمير المؤمنين... وأمرت أن تكون بالمدرسة الميمونة التي أمرت بإنشائها...» ويرجح كوركيس عواد رغم عدم الإشارة إلى اسم المدرسة صراحة أن المقصود بها المدرسة البشيرية لأنه لم يذكر عن جهة الخليفة أنها أقامت مدرسة غير هذه(٩٧).

دار الحديث الأشرفية بدمشق :

وحظيت مكتبة هذه المدرسة باهتمام علماء الحديث مثل ابن الصلاح تقي

الدين عثمان بن عبد الرحمن الكردي المتوفى سنة ٦٤٣ الذي «رحل إلى خراسان وأقام بها مدة، وأخذ عن مشائخ كثيرة، ووقف على كتب غريبة وعلق منها أمور مهمة وفوائد جمة في أنواع العلوم بلغت مجلدات كثيرة ووقفها بدار الحديث الأشرفية بدمشق»[٩٨].

كما وقف عليها كتباً كل من القاضي أمين الدين أحمد بن شمس الدين أبي بكر عبد الله الحلبي الأشتري المتوفى سنة ٦٨١هـ[٩٩]، وصفي الدين أبي عبد الله محمد بن عبد الرحيم الهندي الأرموي المتوفى سنة ٧١٥هـ[١٠٠].

دار الحديث الفاضلية بالكلاسة :

ومن الذين وقفوا كتباً في هذه المدرسة تقي الدين عبد الرحمن بن أبي الفهم اليلداني المتوفى سنة ٦٥٥هـ، فقد ذكر أن «أكثر كتبه ومجاميعه التي بخطه موقوفة بخزانة الفاضلية من الكلاسة»[١٠١].

المدرسة البادرائية بدمشق :

ووقف عليها منشؤها نجم الدين أبو محمد عبد الله بن أبي الوفاء الباذرائي البغدادي الفرضي المتوفى في دمشق عام ٦٥٥هـ «أوقافاً حسنة دارة، وجعل بها خزانة كتب نافعة»[١٠٢].

المدرسة المؤيدية في تعز :

وفي سنة ٦٧١هـ أمر السلطان الملك المؤيد الرسولي ببناء مدرسة عرفت بالمؤيدية في مدينة تعز، ووقف عليها من الأراضي والكروم ما يقوم بكفاية الكل منهم، ووقف فيها خزانة من الكتب النفيسة[١٠٣].

المدرسة الظاهرية بالقاهرة :

وأنشأ الملك الظاهر بيبرس البندقداري مدرسة في منطقة القصرين من القاهرة و«وقف بها خزانة كتب حمل إليها الأمهات في سائر العلوم والمذاهب...»[١٠٤].

المدرسة الناصرية بالقاهرة :

وصاحبها السلطان الملك العادل زين الدين كتبغا المنصوري، وأمر بإتمامها

السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون، وكملت في سنة ٧٠٣هـ وقد جعل بها «خزانة كتب جليلة»[١٠٥].

مدرسة ابن بطال الركبي بذي يعمد :

وأنشأ الفقيه اليمني بطال بن أحمد بن محمد بن سليمان بن بطال الركبي المتوفى سنة ٧٠٩ مدرسة في قريته بذي يعمد، ووقف فيها كتبه، وهذه المدرسة ومكتبتها يؤكدان بعد الاهتمام الذي أولاه العرب والمسلمون للثقافة والعلم، فهذه مدرسة في قرية من قرى اليمن حرص الواقف أن تكون مستندة على قاعدة علمية جيدة فوفر لها مكتبة بين جدرانها يرتادها الطلاب[١٠٦].

المدرسة الشهابية بالمدينة المنورة :

وهي من المدارس الكبيرة في القرن الثامن الهجري، درس فيها مجموعة من العلماء الكبار، وحظيت مكتبتها باهتمام ملحوظ من قبل المقيمين بالمدينة والقادمين إليها، فوقفوا عليها كتباً كثيرة، وكان من بينهم :

أبو إسحاق الذي كان يدرس فيها عام ٧٢٦هـ[١٠٧]، أبو عبد الله محمد بن محمد الغرناطي المتوفى سنة ٧٥٤هـ[١٠٨]، وإبراهيم بن رجب بن حماد البرهان أبو إسحاق الرواشي الكلابي المتوفى سنة ٧٥٥هـ «وكانت له كتب نفيسة وأصول معتمدة جليلة في فنون العلم.. وقف بعضها بالمدرسة الشهابية»[١٠٩]، وصفي الدين بن محمد الكازروني المتوفى سنة ٧٥٥هـ الذي «كانت له كتب جليلة في الفقه والأصول والحديث واللغة وغير ذلك أوقف أكثرها بمكة المشرفة، وأوقف بعضها بالمدرسة الشهابية»[١١٠]، ومحيي الدين الحوراني وهو من أهل القرن الثامن الهجري.

وكان له خزانة عظيمة مشتملة على كتب حفيلة مثل الرافعي وابن الرفعة والروضة وغير ذلك من الكتب المنتقاة أوقفها كلها وجعل مقرها بالمدرسة في خزانتها، وكانت أمام بيته الذي هو في الزاوية الملاصقة لديوان الشافعية، وكان يظن أن المدرسة تكون أبداً على حالها في أيامه فشرط أن لا تغير الخزانة من موضعها[١١١].

مدرسة ابن قاضي العسكر في القاهرة :

وأسهم الحسين بن محمد بن الحسين بن محمد العوكلاني الشهير بابن قاضي عسكر المتوفى سنة ٧٦٢هـ في إنشاء المدارس «فبنى مدرسة بحارة بهاء الدين، ووقف عليها وقفاً جيداً، ووقف فيها كتباً جيدة»[١١٢].

المدرسة الحجازية بالقاهرة :

عملت على إنشائها في عام ٧٦١هـ خوندتتر الحجازية ابنة السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون، وكانت فيها «خزانة كتب»[١١٣].

المدرسة الجوزية في دمشق :

وكانت هذه المدرسة تضم مكتبة، من بين كتبها غريب الحديث لأبي إسحاق الحربي، ذكر أحد الباحثين المعاصرين أن المجلد الخامس منه موجود حالياً في دار الكتب الظاهرية بدمشق وعليه وقفية نصها: «الحمد لله على نعمه وقف على سائر المسلمين مقره بالمدرسة الجوزية بدمشق المحروسة ينتفع به من له حاجة ثم يرده إليها، كتبه أحمد... بإذن شهاب الدين بن عبد القوي في سلخ ربيع الأول من سنة سبع وأربعين وسبعمائة والحمد لله وحده»[١١٤].

مدرسة الرضواني في زبيد :

وعمر الرضواني مدرسة وجامعاً في زبيد، ووقف على الجامع بعض كتبه، كما وقف على المدرسة «كتباً جليلة»[١١٥] وذلك في أواسط القرن الثامن الهجري.

المدرسة النصرية اليوسفية في غرناطة :

وهي من الأعمال التي تمت في عهد السلطان الغرناطي أبو الحجاج يوسف الأول المتوفى سنة ٧٥٥ بناء على مبادرة من الحاجب منصور النصري، وقد ألحق.

بالمدرسة مكتبة خاصة بها وتعهد سلاطين غرناطة هذه المكتبة بإمدادها بالكتب، ومن الكتب التي أوقفت على هذه المدرسة في فترات لاحقة كتاب الإحاطة لابن الخطيب، حيث أمر سلطان غرناطة بوقفه على المدرسة في عام ٨٢٩هـ.... وهناك كتب أخرى تم وقفها على المدرسة مثل كتاب الإشارات والتنبيهات، وكتاب ابن معط[١١٦].

المدرسة الصرغتمشية بالقاهرة :

وأقيمت هذه المدرسة بجوار جامع ابن طولون في القاهرة، وصاحبها هو الأمير صرغتمش الناصري وكانت عمارتها قد ابتدأت في عام ٧٥٦ وانتهت في العام التالي، وضمت مكتبة كبيرة في علوم شتى كان من بينها كتاب التكملة والذيل والصلة لكتاب تاج اللغة وصحاح العربية والنسخة حالياً في دار الكتب المصرية برقم (٣ لغة)، كما حوت مجموعة من المصاحف والربعات، منها مصحف صرغتمش المحفوظ حالياً بدار الكتب برقم (١٥ مصاحف)، وربعة صرغتمش في الدار نفسها أيضاً برقم (١٥٠ مصاحف)[١١٧].

المدرسة المحمودية بالقاهرة :

وأسس هذه المدرسة محمود الأستادار المتوفى سنة ٧٩٩هـ، ووقف عليها مجموعة كبيرة من الكتب يقول عنها المقريزي «لا يعرف بديار مصر ولا الشام مثلها.. وبهذه الخزانة كتب الإسلام من كل فن»[١١٨]، وظلت هذه المدرسة باقية حتى عصر المقريزي، وقد أشار هو إلى ذلك حيث قال: «وهي باقية إلى اليوم»[١١٩]، وأورد السخاوي نصاً يوحي بأنها كانت تضم في العشر الثاني من القرن التاسع الهجري «قرابة من أربعة آلاف مجلد»[١٢٠].

مدرسة الجاي بالقاهرة :

وهي مدرسة كانت خارج باب زويلة أنشأها الأمير سيف الدين الجاي في عام ٧٦٨هـ، وقد جعل فيها خزانة كتب[١٢١].

مدرسة الأشرف شعبان في القاهرة

وصاحبها الملك الأشرف شعبان بن حسين ابن الملك الناصر محمد بن قلاوون المتوفى سنة ٧٧٨هـ ووصف بأنه «يحب أهل العلم، كثير البر والصدقات»[١٢٢]، ومن أعمال الخير التي قام بها تأسيس مدرسة وقف عليها مجموعة من الكتب، في أول كل كتاب منها ما ينص على أنها من وقفه على المدرسة، وقد استولى جمال الدين الأستادار على هذه المدرسة، وأقام مكانها مدرسة باسمه في عام ٨١٠هـ[١٢٣].

مدرسة السلطان الأشرف ابن رسول في تعز :

وكان من جملة الأعمال المأثورة التي تنسب إلى السلطان الأشرف اسماعيل بن العباس بن علي بن داود بن يوسف بن عمر بن رسول المتوفى سنة ٨٠٣ هجرية، إنشاء مدرسة في تعز كانت على نظام هندسي متميز، وقد وقف فيها «عدة من الكتب النفائس في كل فن....»[١٢٤].

المدرسة الناصرية في القاهرة :

وأقام هذه المدرسة الملك الناصر فرج برقوق على أنقاض المدرسة الجمالية بعد أن هدمها أخذا برأي بعض المقربين منه الذين زينوا له هدمها لأنها أقيمت على الاغتصاب، ففعل ذلك في سنة ٨١٢هـ فأبطل «ما كان لأولاد جمال الدين من فائض الوقف... ثم نظر في كتبها العلمية الموقوفة بها فأخذ منها جملة كتب بظاهر كل سفر منها فصل يتضمن وقف السلطان له»[١٢٥]، ومن بين الكتب التي احتوت عليه مكتبة هذه المدرسة كتاب المنتهى في اللغة للتميمي البرمكي وهو في نيف وأربعين مجلداً[١٢٦].

وقد دار صراع طويل حول هذه المدرسة ومكتبتها بين آل جمال الدين الأستادار والسلطان الناصر فرج فتغير اسمها مراراً وقد تحدث المقريزي عن ذلك بشيء من التفصيل[١٢٧].

مدرسة أعظم شاه في مكة المكرمة :

وهي من أوقاف سلطان البنجال أعظم شاه بن اسكندر شاه غياث الدين أبي المظفر وقد بدء في التدريس بها عام ٨١٤[١٢٨]، ومن المؤكد أنها كانت تضم مكتبة حافلة، وكان موقعها عند باب أم هاني بجوار الحرم المكي الشريف، يبدو أنها هي ذاتها التي وقف عليها محمد سعيد الشرواني الداغستاني والى الحجاز المتوفى سنة ١٢٩١هـ كتبه، وكانت مجموعة نفيسة[١٢٩]

مدرسة العنتابي في القاهرة :

وعمَّر محمود بن أحمد بن موسى العنتابي نزيل القاهرة المتوفى سنة ٨٥٥هـ، مدرسة بقرب الجامع الأزهر «ووقف بها كتبه»[١٣٠].

المدرسة الشامية البرانية في دمشق :

وهي من المدارس التي كانت موجودة في دمشق في القرن العاشر الهجري، وكانت فيها خزانة كتب وقفية، عمل خازناً لها في إحدى الفترات خليل بن محمد بن أحمد الخازن المقدسي(١٣٠).

مدرسة قايتباي الجركسي في مكة المكرمة :

وأسس السلطان قايتباي الجركسي المتوفى سنة ٩٠١هـ مدرسة كبيرة بجانب المسجد الحرام عند باب السلام وجعل فيها «خزانة للربعات وكتب العلم»(١٣٢).

مدرسة النظارى في إب :

وعمل جمال الدين محمد بن محمد النظاري المتوفى ٩٢١هـ مدرسة في مدينة إب باليمن ووقف عليها «وقفاً جليلاً وجملة من الكتب النفيسة»(١٣٣).

مدرسة أحمد باشا حضربك في بروسة :

وساهم أحمد باشا بن حضربك، وهو من علماء الدولة العثمانية المتوفى سنة ٩٢٧هـ، بإنشاء مدرسة بقرب الجامع الكبير في بروسة، ويذكر أنه قد وقف كتبه على المدارس، وبالتالي فإن من الطبيعي أن تكون مدرسته قد حظيت ببعض تلك الكتب الوقفية(١٣٤).

مدرسة الطبقجلي في بغداد :

وكان محمد بن أحمد الطبقجلي المتوفى سنة ١٢٧٣هـ قد «أوقف كتبه على داره الواقعة في جانب الرصافة قرب جامع العاقولي، وجعلها مدرسة»(١٣٥).

المدرسة الحفظية في عثالف بعسير :

وقد أسس هذه المدرسة إبراهيم الزرمزي بن أحمد الحفظي في بلدة عثالف في عسير المنطقة الجنوبية من المملكة العربية السعودية، وألحق بها مكتبة ضمت كتباً وقفية لمؤسسها ورثها عن والده، وذلك في فترة مبكرة من القرن الثالث عشر الهجري، ونالت مكتبة هذه المدرسة عناية من أمراء عسير في القرن الثالث عشر، وأكثر من اهتم بها الأمير عايض بن مرعي الذي كان يشتري الكتب ويوقفها في

مكتبة هذه المدرسة وغيرها، ويبدو أن مكتبتها كانت كبيرة الحجم إذ وصفها أحدهم بأنها: «تفوق من أن يحصرها العاد»(١٣٦).

المدرسة المرجانية في بغداد :

وفي فترة متأخرة تعود إلى أوائل القرن الرابع عشر الهجري وقف نعمان الألوسي (ت ١٣١٧هـ) مجموعة كبيرة من الكتب على مدرسته، وجعل مقرها المدرسة المرجانية في بغداد، وهي مدرسة قديمة تعود إلى القرن الثامن الهجري. وسجل وقفيتها في عام ١٣٠٤هـ، ثم أعاد وقفها ثانية في سنة ١٣٠٧هـ، وسجل ذلك في سجل الأوقاف الأميرية، وبلغ عدد الكتب الوقفية مخطوطة ومطبوعة حوالي ١٤٠٠ كتاباً، ويقول صك وقفيتها :

أما بعد فقد وقفت وقفاً صحيحاً شرعياً جيمع الكتب التي أسماؤها في هذا الدفتر إلا خمس نسخ من أوقاف الغير دخلت أسماؤها في هذا الدفتر، وقد حكم قاضيان بصحة وقفي المذكور وسجل وشرطت التولية عليها ومحافظتها لأولادي المحروسين وأولادهم ما تناسلوا وأن توضع في المدرسة المرجانية الكائنة في بغداد المحمية ووقفت لأجل محافظتها وتجليدها إن اقتضى، الدكاكين الأربعة الملاصقة الواقفات قرب باب الخان الذي هو وقف مرجان عليه الرحمة المعروف بخان الأورتمة عند الباب الشرقية منه المقابل للخان المعروف بخان بكر الذي اشتراه خضيري زادة، وكذا الدار التي في جانب الكرخ وحصتي أربع في أرض الزبيرية الواقعة في عقر قوف، وحكم أيضاً بذلك وسجل في المحكمة سنة ١٣٠٤هـ وسنة ١٣٠٧هـ وفي سجل الأوقاف الأميرية أيضاً، والآن أقول أيضاً أن كل كتاب اشتريه أو استكتبه فهو أيضاً وقف فيها، والجميع لا يخرج من المدرسة وأسئله ــ كذا ــ سبحانه أن يجعل ذلك خالصاً لوجه الكريم وأن يغفر ذنوبي ويجيرني بمنه من الجحيم ويحلني دار النعيم، وأن يجعلني وأولادي وذريتهم من العلماء العاملين آمين والحمد لله وحده وصلواته وسلامه على من لا نبي بعده وآله وصحبه والتابعين وأنا العبد المذنب الراجي عفو المنان الرحمن نعمان

ابن المفسر الشهير السيد محمود أفندي بن السيد عبد الله أفندي بن السيد محمود الألوسي البغدادي غفر الله تعالى لهم أجمعين. سنة ١٣١٣هـ»[١٣٧].

مدارس أخرى :

وإلى جانب المدارس السابقة، هناك عشرات المدارس الأخرى التي كانت تضم مكتبات وقفية حافلة بقى بعضها حتى عهد قريب، منها مجموعة مدارس بالمدينة المنورة، من بينها.

المدرسة الوفائية والتي أسسها محمد عارف بن مصطفى طوقادي سنة ١٣١٤هـ، وكانت بها مكتبة نقلت إلى مكتبة المدينة المنورة العامة والتي نقلت بأكملها إلى مكتبة الملك عبد العزيز العامة.

والمدرسة الإحسانية التي أسسها مصطفى بن محمد بن عبد الرسول بن سلمان بن عبد الرحمن بن عبد الرحيم سنة ١٢٧٥هـ.

والمدرسة الساقزلية ومؤسسها أحمد بن إبراهيم الساقزلي، وقد وقف عليها الكثير من الأشخاص كتباً.

ومدرسة الشفاء التي أنشأها شيخ الإسلام فيض الله أفندي عام ١١١٢هـ.

ومدرسة ليكي ناظري التي أنشئت عام ١٢٥٤هـ على يد مصطفى أغا ليكي ناظري[١٣٨].

ومن المدارس التي أنشئت في بغداد وظلت قائمة حتى عهد قريب المدرسة السليمانية التي بناها الأمير أبو سعيد سليمان باشا والى بغداد سنة ١٢١٧هـ وجعل فيها خزانة كتب، وقد درس فيها أمجد الزهاوي المتوفى سنة ١٩٦٧م[١٣٩].

ومن مدارس دمشق التي كانت بها مكتبات حتى أواخر القرن الثالث عشر الهجري التاسع عشر الميلادي المدرسة السمرية بالصالحية وكانت تضم مكتبة فيها «كتب نفيسة وكلها خط وأكثرها نادر الوجود»، ومدرسة عبد الله باشا «وكتبها خط منها تاريخ دمشق لابن عساكر في ثمانين مجلداً»، ومدرسة الاشماسية التي كانت بقرب الجامع الأموي وضمت مكتبة «كل كتبها خط»[١٤٠].

ويتبين لنا مما سبق مقدار ما حظيت به المكتبات المدرسية من رعاية واهتمام، بحيث أننا نستطيع أن نقول بأن المكتبة كانت قوام المدرسة تقوم بقيامها وتزول بزوالها، كما أن مجموعات المكتبات المدرسية كانت على درجة كبيرة من ضخامة الحجم فكما أوردنا من قبل فإن الملك الناصر لدين الله أضاف عشرة آلاف مجلد دفعة واحدة لمكتبة المدرسة النظامية، كما تفاوتت الأرقام بالنسبة لمحتويات مكتبة المستنصرية فأوصلها بعضهم إلى ثمانين ألف مجلد[١٤١]، وذكر المقريزي أن ماوقفه القاضي الفاضل على مدرسته الفاضلية مائة ألف مجلد[١٤٢]، وإذا ما تأكد صدق تلك الأرقام فإن ذلك يعني أن قيمة المدرسة كانت تستمد من مكتبتها، وهو الأمر الذي جعل من النظامية والمستنصرية والفاضلية مدارس كبيرة ذات شهرة عريضة في الآفاق.

ويشير أحد الباحثين معقباً على دراسته حول مكتبات المدارس في العصر المملوكي إلى أن ما يستخلص منها هو.

مدى إدارك الواقفين في ذلك العصر لأهمية المكتبات، ولا سيما لطلبة العلم في وقت لم تعرف فيه الطباعة الحديثة، وكانت الوسيلة الوحيدة للحصول على نسخة من كتاب هي إعادة نسخه بخط اليد، مما جعل الكتاب نادر الوجود وإذا وجد فإنه يكون باهظ الثمن ومن هنا تبدو أهمية الأوقاف في تيسير الحصول على الكتاب سواء للاطلاع أو النسخ أو المقابلة، وهذا ما يفسر أيضاً حرص الواقفين الشديد على هذه الكتب لضمان استمرار منفعتها، فضلاً عن أن ريع الأوقاف كان هو المصدر الرئيسي للصرف على خزانات الكتب الملحقة بالمدارس وغيرها من المنشئات الدينية.

وبذلك تكون الأوقاف قد ساهمت مساهمة كاملة في خلق أجيال من العلماء في العصر المملوكي سواء عن طريق توفير المدارس والمدرسين أو عن طريق توفير الكتب والمراجع الأساسية[١٤٣].

والملاحظ أن وقف الكتب على المدارس لم يقتصر على فئة دون أخرى، كما أنه شمل الأوقاف من الكتب دفعة واحدة، إلى جانب وقف كتاب واحد أو جزء من كتاب حسب القدرة المادية للواقف، فعلى سبيل المثال وقف شخص كان

فيما يبدو من عامة الناس اسمه قوالالي إبراهيم بن خليل نسخة من كتاب شرح الخلاصة في علم الحساب على مدرسة محمد علي باشا في تركيا، وكتب نص الوقفية بلغة ركيكة على النحو التالي :

وقف هذا الكتاب وقفاً شرعياً في بلد قوالا في مدرستي محمد علي باشا بشرط لا يباع ولا يوهب ولا يرهن من بدله بعدما سمعه فإنما إثمه على الذين يبدلونه، وقف هذا الكتاب قوالالي إبراهيم ابن خليل رضاء لله تعالى وأغفر لنا ذنوبنا برحمتك يا أرحم الراحمين ولجيمع المؤمين والمؤمنات آمين(١٤٤).

وإذا كنا لا نعرف شيئاً عن شخصية قوالالي إبراهيم واقف الكتاب السابق، فإن ابن الفوطي يخبر بأن السلطان الغوري غياث الدين أبي الفوارس محمد بن سام المتوفى سنة ٥٩٩هـ قد كتب بخطه عدة مصحاف وقفها على المدارس التي أنشأها(١٤٥).

كما شارك أحد أبناء اليهود الذين دخلوا في الإسلام عام ٧٣٤هـ وهو مسعود ابن سديد الدولة في بناء مدرسة وقف عليها أوقافاً كثيرة، منها دار كتب أغلب ما فيها بخط يده(١٤٦).

وتؤكد هذه النظرة الراقية لأهمية وجود مكتبة في كل مدرسة والحرص على وقف الكتب فيها من قبل كافة فئات المجتمع، أسبقية العرب والمسلمين في إدراك العلاقة الوثيقة بين العملية التعليمية وتوفير المكتبة داخل المدرسة لإخراج الطالب من دائرة الاعتماد على ما يسمعه ويتلقاه من مدرسين، إلى عالم أوسع وأرحب يحصل منه على ثقافة أكثر عمقاً عند تردده على المكتبة واستفادته من محتوياتها.

الهوامش

١ ــ السباعي، محمد مكي.

Sibai, Mohamed Makki/An Historical Investigation of Mosque libraries in Islamic life and Culture - Ph.D., Bloomengton: School of library and information Science Indina University, .1984, P251

٢ ــ المقريزي، تقي الدين أبو العباس أحمد بن علي (ت ٨٤٥هـ) / **كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقريزية** ــ طبعة جديدة بالأوفست ــ بيروت: دار صادر ــ دار بيروت، د. ت، ٢ / ٢٤٥ ــ ٢٥٥.

٣ ــ السباعي Sibai, P256.

٤ ــ المقريزي، ٢ / ٢٥٥.

٥ ــ السابق، ٢ / ٢٥٠.

٦ ــ السابق، ٢ / ٢٦٧.

٧ ــ المقري، أحمد بن محمد (ت ١٠٤١هـ) / **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب** تحقيق إحسان عباس. ــ بيروت: دار صادر ــ دار بيروت، ١٣٨٨هـ ــ ١٩٦٨م، ٢ /٥٣.

٨ ــ ابن النجار البغدادي، محب الدين أبو عبد الله محمد بن محمود (ت ٦٤٣هـ) / **ذيل تاريخ بغداد** صحح بمشاركة قيصر فرح. ــ بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٠٢هـ ــ ١٩٨٢م، ٣ /٤٧ (مج ١٧ من مجموعة تاريخ بغداد).

٩ ــ ابن الفوطي، كمال الدين أبو الفضل عبد الرزاق (ت ٧٢٣هـ) / **تلخيص مجمع الآداب في معجم الألقاب**، الجزء الرابع تحقيق مصطفى جواد. ــ دمشق: وزارة الثقافة والإرشاد القومي، ١٩٦٢م، القسم الثاني، ص ٩٠٧.

١٠ ــ السابق، القسم الثالث، ص ص ١٩٢ ــ ١٩٣.

١١ ــ ابن شاكر الكتبي، محمد (ت ٧٦٤هـ) / **فوات الوفيات والذيل عليها**

تحقيق إحسان عباس. ــ بيروت: دار صادر ــ دار بيروت (١٩٧٣م)، ٣ / ٣٩٠.

١٢ ــ ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد (ت ٦٨١هـ) / **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، تحقيق إحسان عباس .ــ بيروت: دار صادر ــ دار بيروت، ١٩٦٩م، ١ / ١٤٣. وابن كثير، عماد الدين اسماعيل ابن عمر (ت ٧٧٤هـ) / **البداية والنهاية**. ــ ط٢. ــ بيروت: مكتبة المعارف، ١٩٧٧م، ١٢ / ٥٤ ــ ٥٥، والذهبي، شمس الدين محمد ابن أحمد بن عثمان (ت ٧٤٨هـ) / **سير أعلام النبلاء** تحقيق شعيب الأرنؤوط ومحمد نعيم العرقسوسي. ــ بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٣هـ ــ ١٩٨٣م، ١٧ /٥٨٤.

١٣ ــ **وفيات الأعيان**، ١ / ١٤٣.

١٤ ــ ابن خلكان، ٦ /٢٦٨، وابن كثير، ١٢ /١٥٩.

١٥ ــ عنان، محمد عبد الله / **تاريخ الجامع الأزهر في العصر الفاطمي مع تكملة له حتى العصر الحاضر**. ــ القاهرة: مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٣٦١هـ ــ ١٩٤٢، (عيد الأزهر الألفي سنة ١٩٦١م) ص ٨٨.

١٦ ــ المقري، ٥ / ١٨٤.

١٧ ــ اللوحة رقم (١) في الملحق.

١٨ ــ ياقوت، ياقوت بن عبد الله الحموي (ت ٦٢٦هـ) / **معجم الأدباء**، راجعته لجنة من وزارة المعارف العمومية. ــ القاهرة: دار المأمون، ١٨ / ٢٠ ــ ٢١.

١٩ ــ الذهبي، ٢٠ /٥٠٩.

٢٠ ــ ابن النجار البغدادي، ٣ / ١٥٨ ــ ١٥٩.

٢١ ــ ابن خلكان، ٦ /١٣٩. والذهبي...، **سير أعلام...**، ٢٢ / ٣١٣. وأشير في مصدر ثالث إلى أنه وقف كتبه ببغداد دون ذكر للجامع انظر: ابن الدمياطي، أحمد ابن أيبك (ت ٧٤٩هـ) / **المستفاد من ذيل تاريخ بغداد** لابن النجار تحقيق قيصر أبو فرح. ــ حيدر أباد الدكن: دائرة المعارف العثمانية، ١٣٩٩هـ ــ ١٩٧٩م، ٢٥٣.

٢٢ ــ ياقوت...، **معجم الأدباء**، ١٣ / ٣٣ ــ ٣٤.

٢٣ ــ ابن جبير، أبو الحسن محمد بن أحمد (ت ٦١٤هـ) / **رسالة اعتبار الناسك في ذكر الآثار الكريمة والمناسك** المعروف برحلة ابن جبير .ــ طبعة جديدة منقحة بإشراف لجنة تحقيق التراث. ــ بيروت: دار مكتبة الهلال، ١٩٨١م، ص ١٥٣.

٢٤ ــ السخاوي، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن (ت ٩٠٢هـ) /**التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة**. ــ (المدينة المنورة): أسعد الطرابزوني الحسيني، ١٣٩٩هـ ــ ١٩٧٩م، ١ / ١١٤.

٢٥ ــ الفاسي، تقي الدين محمد بن أحمد المكي (ت ٨٣٢هـ) / **العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين** تحقيق فؤاد سيد ومحمد محمود الطناحي. ــ ط٢ .ــ بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٦هـ ــ ١٩٨٦م، والسخاوي...، **التحفة اللطيفة...**، ٢ / ٢٠٩.

٢٦ ــ التونسي، حمادي علي /**المكتبات العامة في المدينة المنورة** .ــ رسالة ماجستير بإشراف عباس طاشكندي. ــ جدة: قسم المكتبات والمعلومات بكلية الآداب في جامعة الملك عبد العزيز، ١٤٠١هـ ــ ١٩٨١م، ص ز.

٢٧ ــ السابق، ٢٣ ــ ٢٨.

٢٨ ــ ابن كثير، ١٣ / ٧٢، ١١٦.

٢٩ ــ التميمي الداري، تقي الدين بن عبد القادر الغزي (ت ١٠٠٥هـ) / **الطبقات السنية في تراجم الحنفية** تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو. ــ الرياض: دار الرفاعي، ١٤٠٣هـ ــ ١٩٨٣م، ٣ / ٢٧١.

٣٠ ــ ابن كثير، ١٣ / ١٠١.

٣١ ــ النعيمي الدمشقي، عبد القادر بن محمد (ت ٩٢٧هـ) / **الدارس في تاريخ المدارس** تحقيق جعفر الحسني. ــ دمشق: المجمع العلمي العربي، ١٣٦٧هـ ــ ١٩٤٨م، ١ /٨٢.

٣٢ ــ السابق، ٢ / ١٣٧.

٣٣ ــ ابن حجر العسقلاني، شهاب الدين أحمد بن علي (ت ٨٥٢هـ) / **الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة** تحقيق محمد سيد جاد

الحق. ــ القاهرة: دار الكتب الحديثة د. ت، ٢ /١١٨.

٣٤ ــ المحبي، محمد أمين (ت ١١١١هـ) / **خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر**. ــ بيروت: دار صادر، (نسخة مصورة بالأوفست عن طبعة عام ١٢٨٤هـ) ٣ / ٢٠٠.

٣٥ ــ البوريني، الحسن بن محمد (ت ٩٦٣هـ) / **تراجم الأعيان من أبناء الزمان** تحقيق صلاح الدين المنجد. ــ دمشق: المجمع العلمي العربي، ١٩٦١م، ٢ / ٢٩٨.

٣٦ ــ كتاب **المواعظ والاعتبار**، ٢ /٢٧٨.

٣٧ ــ ابن حجر العسقلاني، ٥ /١٩٧.

٣٨ ــ الدباغ، محمد بن عبد العزيز «خزانة القرويين ودورها الإيجابي في حفظ التراث ونشره» **الناشر العربي**، ع ٨ (فبراير ١٩٨٧م) ص ص ٤٥ ــ ٤٦ وابن الخياط، نزهة «مكتبة جامع القرويين عبر التاريخ» **المجلة المغربية للتوثيق والمعلومات** ع ٣ (مارس ١٩٨٥م) ص ١١.

٣٩ ــ غنيمة، محمد عبد الرحيم / **تاريخ الجامعات الإسلامية الكبرى**. ــ تطوان: معهد مولاى الحسن، ١٩٥٣م، ص ٢٨٥.

٤٠ ــ ابن الخياط، ص ص ١٢ ــ ١٦.

٤١ ــ الفاسي، ٣ / ٤٩٩.

٤٢ ــ ابن طولون الصالحي، محمد (ت ٩٥٣هـ) / **القلائد الجوهرية في تاريخ الصالحية** تحقيق محمد أحمد دهمان .ــ ط٢ .ــ دمشق: مجمع اللغة العربية، ١٤٠١هـ ــ ١٩٨١م، ١ / ١١٠.

٤٣ ــ ابن أبي دينار، أبو عبد الله محمد بن أبي القاسم الرعيني (ت. ق ١٢هـ) / **المؤنس في أخبار أفريقيا وتونس** تحقيق محمد شمام. ــ تونس: المكتبة العتيقة، ١٣٨٧هـ، ص ص ١٥٣ ــ ١٥٤.

٤٤ ــ السخاوي، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن (ت ٩٠٢هـ) / **الضوء اللامع لأهل القرن التاسع**. ــ بيروت: دار مكتبة الحياة، د. ت (نسخة مصورة بالأوفست) ٢ /٢٧٢.

٤٥ ــ ابن الديبع الشيباني، عبد الرحمن بن علي (ت ٩٤٤هـ) / **الفضل المزيد على بغية المستفيد في أخبار زبيد** تحقيق محمد عيسى صالحية. ــ

الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ١٤٠٢هـ ــ ١٩٨٢م، ص ص ٩٥ ــ ٩٦.

٤٦ ــ إبراهيم، عبد اللطيف «مكتبة عثمانية: دارسة نقدية ونشر لرصيد المكتبة» **مجلة كلية الآداب** (جامعة القاهرة) مج ٢٠، جـ٢ (ديسمبر ١٩٥٨م) ص ص ٨ ــ ٩.

٤٧ ــ السابق ص ص ٩ ــ ١٠.

٤٨ ــ السابق، ص ١٣.

٤٩ ــ السابق، ص ص ١٩ ــ ٣٢.

٥٠ ــ القطبي، عبد الكريم (ت ١١١٤هـ) / **إعلام العلماء الأعلام ببناء المسجد الحرام** تحقيق أحمد محمد جمال وعبد العزيز الرفاعي وعبد الله الجبوري. ــ الرياض: دار الرفاعي، ١٤٠٣هـ ــ ١٩٨٣م، (تواريخ مكة ــ ١) ص ١٣٢.

٥١ ــ اللوحة رقم (٢ أ، ب) في الملحق.

٥٢ ــ مرداد، عبد الله أبو الخير (ت ١٣٤٣هـ) / **المختصر من نشر النور والزهر في تراجم أفاضل مكة من القرن العاشر إلى القرن الرابع عشر** اختصار وترتيب محمد سعيد العامودي وأحمد علي. ــ ط٢. ــ جدة: عالم المعرفة، ١٤٠٦هـ ــ ١٩٨٦م، ص ٢١٤.

٥٣ ــ غنيمة، ص ٢٨٣.

٥٤ ــ سزكين، فواد / **تاريخ التراث العربي مجموعات المخطوطات العربية في مكتبات العالم** تعريب محمود فهمي حجازي. ــ الرياض: جامعة الامام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٠٢هـ ــ ١٩٨٢م أنظر الصفحات ٩٦، ٩٨، ١٠٤، ١٣١، ١٣٦، ١٦٢، ١٧٠، ١٨٧، ١٩٤، ١٩٧، ١٩٨، ٢٠٨، ٢١٢، ٢٤٨، ٢٤٩، ٢٥٠، ٢٥١، ٢٥٣، فقد ذكر فيها أسماء جوامع تضم مخطوطات، ولها فهارس.

٥٥ ــ ياقوت...، **معجم الأدباء**، ٣ / ٢٢٤ ــ ٢٢٥. وقال الذهبي في: **سير أعلام النبلاء**، ١٨ / ٢٢: «وكانت تحت يده أوقاف الكتب والأجزاء الحديثية فيتعهد حفظها».

٥٦ ــ **المكتبات في الإسلام نشأتها وتطورها ومصائرها**. ــ ط٢. ــ بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٣٩٨هـ ــ ١٩٧٨م، ص ١٣٦.

٥٧ ـ ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي (ت ٥٩٧هـ) / **المنتظم في تاريخ الملوك والأمم**. ـ حيدر أباد الدكن: دائرة المعارف العثمانية، ١٣٥٩هـ، ٨ /٦٥٦.

٥٨ ـ ابن كثير، ١٣ /٦. والأشرف الغساني، أبو العباس اسماعيل بن العباس ابن رسول (ت ٨٠٣هـ) / **العسجد المسبوك والجوهر المحكوك في طبقات الخلفاء والملوك** تحقيق شاكر محمود عبد المنعم. ـ بيروت : دار التراث الإسلامي، ١٩٧٥م، ص ٢٢٥، وورد النص فيه «ونقل إليها من الكتب النفيسة ألوفاً لا يوجد مثلها».

٥٩ ـ سبط ابن الجوزي، شمس الدين أبو المظفر يوسف (ت ٦٥٤هـ) / **مرآة الزمان في تاريخ الأعيان**. ـ حيدر أباد الدكن: دائرة المعارف العثمانية، ١٣٧٠هـ ـ ١٩٥١م، الجزء الثامن، القسم الأول، ص ص ٤٢١ ـ ٤٢٢. وابن تغري بردي جمال الدين أبو المحاسن يوسف (ت ٨٧٤هـ) / **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة**. ـ القاهرة: دار الكتب المصرية، ١٩٤٣، ٦ / ١٣٢.

٦٠ ـ حمادة، ص ١٣٨.

٦١ ـ ابن كثير، ١٣ / ١٦٩.

٦٢ ـ الأسنوي، جمال الدين عبد الرحيم (ت ٧٧٢هـ) / **طبقات الشافعية** تحقيق عبد الله الجبوري. ـ الرياض: دار العلوم، ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م، ٢ / ٧١.

٦٣ ـ ابن الفوطي، القسم الثالث / ١٥٥ ـ ١٥٦.

٦٤ ـ ابن تغري بردي، ٥ /١٧٦.

٦٥ ـ **سير أعلام النبلاء**، ٢ /٥٣٢.

٦٦ ـ **نفح الطيب**، ٢ /١٥٧.

٦٧ ـ **سير أعلام النبلاء**، ٢ /٥٠٩.

٦٨ ـ ياقوت...، **معجم الأدباء**، ١٤ / ٦٢ وغنيمة، ٢٨٥.

٦٩ ـ النعيمي، ١ /٣٦١ وقال الذهبي بعد أن أورد تاريخ وفاة قطب الدين النيسابوري: «قلت: وبنى مسجداً ووقف كتبه رحمه الله» **سير أعلام النبلاء**، ٢١ / ١٠٩.

٧٠ ــ **وفيات الأعيان**، ٤ / ٢٠٠ ــ ٢٠١.
٧١ ــ الأسنوى، ٢ /٢٨٤. ويشك أحد الباحثين في عدد هذه الكتب، ولا نتفق معه في شكه هذا نظراً لأن هناك مكتبات أخرى من قبل ومن بعد اشتملت على مجموعات تفوق ما كانت تضمه مكتبة هذه المدرسة (انظر: عبد اللطيف حمزة / **الحركة الفكرية في مصر في العصرين الأيوبي والمملوكي الأول**. ــ القاهرة: دار الفكر العربي، [١٩٤٧م] ص ١٦٣).
٧٢ ــ المقريزي، ٢ /٣٦٦.
٧٣ ــ السابق، ٢ / ٣٦٧.
٧٤ ــ ابن الأثير، ١٢ / ١٥٨. والأشرف الغساني ص ص ٢٥٤ ــ ٢٥٥.
٧٥ ــ الذهبي...، **سير أعلام النبلاء**، ٢١ / ٣٨٣ ــ ٣٨٤.
٧٦ ــ ابن طولون الصالحي، ١ / ٢٧٣ ــ ٢٧٤.
٧٧ ــ السخاوي...، **الضوء اللامع لأهل القرن التاسع**، ٥ / ١٠٦.
٧٨ ــ النعيمي، ١ / ٢١٥.
٧٩ ــ الذهبي...، **سير أعلام النبلاء**، ٢٣ /١٥٧.
٨٠ ــ **البداية والنهاية**، ١٣ /١٤٠.
٨١ ــ السابق، ١٣ /١٥٩.
٨٢ ــ العلائي، إبراهيم بن محمد بن أيدمر (ت ٨٠٩هـ) / **الجوهر الثمين في سير الخلفاء والملوك والسلاطين** تحقيق سعيد عبد الفتاح عاشور. ــ مكة المكرمة: مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي بجامعة أم القرى (١٤٠٤)هـ ص ١٧٥.
٨٢ ــ السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن (ت ٩١١هـ) ٪ **تاريخ الخلفاء**. ــ القاهرة: إدارة الطباعة المنيرة، ١٣٥١هـ، ص ٣٠٦.
٨٣ ــ **العسجد المسبوك**، ص ٤٥٨.
٨٤ ــ ابن الفوطي، القسم الثالث / ١٤٩.
٨٥ ــ السابق، القسم الرابع / ٦٣٤.
٨٦ ــ السابق، القسم الرابع / ٧٧٣.
٨٧ ــ السابق، القسم الرابع / ٨٦٦.
٨٨ ــ معروف، ناجي / **تاريخ علماء المستنصرية**. ــ بغداد المؤلف: (ساعدت

جامعة بغداد على طبعه) ١٣٨٤هـ ـــ ١٩٦٥م، ٢ / ٥٩ ـــ ٦٠.

٨٩ ـــ ابن شاكر الكتبي...، **فوات الوفيات**، ٣ / ٤٢٧.

٩٠ ـــ ابن كثير، ١٣ /١٧٠. والقنوجي، صديق بن حسن (ت ١٢٥٣هـ) / **التاج المكلل من جواهر مآثر الطراز الآخر والأول** تحقيق عبد الحكيم شرف الدين. ـــ ط ٢. ـــ بيروت: دار إقرأ، ١٤٠٤هـ ـــ ١٩٨٣م ص ١٧٣.

٩١ ـــ ابن كثر، ١٣ / ١٧٠.

٩٢ ـــ ابن طولون الصالحي، ١ / ١٢١.

٩٣ ـــ ابن شاكر الكتبي...، **فوات الوفيات**، ٣ / ٤٢٧. وابن طولون الصالحي، ١ / ١٣٢.

٩٤ ـــ النعيمي الدمشقي، ٢ / ٩٦.

٩٥ ـــ **سير أعلام النبلاء**، ٢٠ / ٢٧ ـــ ٢٨.

٩٦ ـــ ابن طولون الصالحي، ١ / ١٣٨.

٩٧ ـــ عواد، كوركيس / **خزائن الكتب القديمة في العراق** منذ أقدم العصور حتى سنة ١٠٠٠ للهجرة. ـــ ط٢. ـــ بيروت: دار الرائد العربي، ١٤٠٦هـ ـــ ١٩٨٦، ص ص ١٧٢ ـــ ١٧٤.

٩٨ ـــ الأسنوى، ٢ / ١٣٣.

٩٩ ـــ ابن كثير، ١٣ / ٣٠٠.

١٠٠ـــ السابق، ١٤ / ٧٥

١٠١ـــ ابن كثير، ١٣ / ١٩٧. والنعيمي الدمشقي ١ /٩٣.

١٠٢ـــ السابق، ١٣ /١٩٧، والنعيمي الدمشقي، ١ / ٢٠٧. وعلق عبدالقادر بدران على قول ابن كثير: «وجعل فيها خزانة كتب» فقال «.. وأما كتبها فلقد طارت بها أجنحة الفقدان في الأقطار والبلدان» **منادمة الأطلال ومسامرة الخيال**. ـــ دمشق: المكتب الإسلامي، د. ت، ص ٨٨.

١٠٣ـــ الخزرجي، علي بن الحسن (ت ٨١٢هـ) / **كتاب العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية** تحقيق محمد بسيوني عسل. ـــ القاهرة: أوقاف ذكرى مسترجب (مطبعة الهلال) ١٣٢٩هـ ـــ ١٩١١م، ١ /٤٤١، ٤٤٣، قال في ص ٣٤٣ «عدة من الكتب النفيسة».

١٠٤ـ اليونيني البعلبكي، قطب الدين أبو الفتح موسى بن محمد (ت ٧٢٦هـ) / **ذيل مرآة الزمان**. ـ حيدر أباد الدكن: دائرة المعارف العثمانية، ١٣٧٤هـ ـ ١٩٥٤م، ١ / ٥٥١. والمقريزي، ٢ / ٣٧٨.
١٠٥ـ المقريزي، ٢ / ٣٨٢.
١٠٦ـ الفاسي، ٣ / ٣٧٦.
١٠٧ـ ابن فرحون اليعمري، أبو محمد عبد الله بن محمد (ت ٧٦٩هـ) / **كتاب نصيحة المشاور وتسلية المجاور** (مخطوطة، تم نسخها في سنة ١٠٩٣هـ، محفوظة بدار الكتب المصرية برقم ٤٣٠٤٩) ورقة ١٢٠.
١٠٨ـ السابق، ورقة ٩٣.
١٠٩ـ السخاوي...، **التحفة اللطيفة**، ١ / ١١٥.
١١٠ـ ابن فرحون اليعمري، ورقة ١٠٠.
١١١ـ السابق، ورقة ٥٤.
١١٢ـ ابن حجر العسقلاني، ٢ / ١٥٥. والشوكاني، محمد بن علي (ت ١٢٥٠هـ) / **البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع**. ـ بيروت: دار المعرفة، د. ت، ١ / ٢٢٨.
١١٣ـ المقريزي، ٢ / ٣٨٢.
١١٤ـ الجاسر، حمد / **الامام أبو اسحاق الحربي، وكتابه في المناسك وأماكن طرق الحج ومعالم الجزيرة**. ـ الرياض: دار اليمامة، (١٣٨٩هـ) (نصوص وأبحاث جغرافية وتاريخية عن جزيرة العرب ـ ٩) ص ٢٣٢.
١١٥ـ الفاسي، ٣ / ٤٤٩.
١١٦ـ عيسى، محمد عبد الحميد / **تاريخ التعليم في الأندلس**. ـ القاهرة: دار الفكر العربي، ١٩٨٢م (مكتبة التربية الإسلامية ـ ٤) ص ٤٠.
١١٧ـ إبراهيم، عبد اللطيف «من الوثائق العربية في العصور الوسطى: نصان جديدان من وثيقة الأمير صرغتمش» **مجلة كلية الآداب** جامعة القاهرة، مج ٢٨، ج ١ ـ ٢ (مايو /ديسمبر ١٩٦٦م) ص ١٥٢.
١١٨ـ **كتاب المواعظ والاعتبار**، ٢ / ٣٩٥.
١١٩ـ السابق، ٢ / ٣٩٥.
١٢٠ـ **الضوء اللامع**، ٥ / ١٤٣ ـ ١٤٤.

١٢١ــ المقريزي، ٢ / ٣٩٩.
١٢٢ــ الزركلي، خير الدين (ت١٣٩٦هـ) / **الأعلام: قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين**. ــ ط٥. ــ بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٨٠، ٣/١٦٤.
١٢٣ــ المقريزي، ٢ / ٤٠١.
١٢٤ــ الخزرجي، ٢ / ٣١٧.
١٢٥ــ السابق، ٢ / ٤٠٢.
١٢٦ــ ابن كثير، ١٤ /٢٩٦.
١٢٧ــ **المواعظ والاعتبار**، ٢ / ٤٠١ ــ ٤٠٢.
١٢٨ــ الفاسي، ٣ / ٣٢٠ ــ ٣٢١.
١٢٩ــ مرداد، ص ٤٤٧.
١٣٠ــ ابن فهد الهاشمي، النجم عمر بن محمد بن محمد (ت ٨٨٥هـ) / **معجم الشيوخ** تحقيق محمد الزاهي. ــ الرياض: دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر (١٩٨٢م)، (مؤرخو مكة المكرمة ــ ١)، ص ٢٩٥.
١٣١ــ البوريني، ١ / ٣٠٧.
١٣٢ــ العيدروسي، محيي الدين عبد القادر بن شيخ / **تاريخ النور السافر عن أخبار القرن العاشر** ــ د.م، د.ن، د.ت، ص ١٤، ويذكر حسين عبد الله باسلامة: أنه يبدو أن المدرسة والرباط كانتا مع أعمال أخرى ضمن مجمع كبير مشرف على الحرم والمسعى، وهو يشير إلى أن السلطان قايتباي قد أرسل خزانة كتب وقفها على طلبة العلم وجعل مقرها المدرسة أنظر: **تاريخ المسجد الحرام**. ــ جدة: المؤلف (المطبعة الشرقية)، ص ٧٦.
١٣٣ــ ابن الديبع الشيباني، ص ٢٧٤. والعيدروسي، ص ١٠٥.
١٣٤ــ طاشكبري زاده، أحمد بن مصطفى بن خليل (ت ٩٦٨) / **الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية**. ــ بيروت: دار الكتاب العربي، ١٣٩٥هـ ــ ١٩٧٥م ،ص ١٠٩، والغزي، نجم الدين محمد بن محمد (ت ١٠٦١هـ) / **الكواكب السائرة في أعيان المئة العاشرة** تحقيق جبرائيل سليمان جبور. ــ بيروت: محمد أمين دمج وشركاه، ١٩٤٥م ١ / ١٣٤. وقد ذكر الأول أنه وقف كتبه على المدارس بينما نص الثاني

على أنه كانت له كتب وقفها على المدرسة.

١٣٥ــ الألوسي، محمود شكري (ت ١٣٤٣هـ) / **المسك الأذفر في نشر مزايا القرن الثاني عشر والثالث عشر** تحقيق عبد الله الجبوري. ــ الرياض: دار العلوم، ١٤٠٢هـ ــ ١٩٨٢م، ص ١٦٦.

١٣٦ــ آل زلفة، محمد بن عبد الله «مخطوطات آل الحفظي بين الضياع والحفظ» **عالم الكتب**، مج ٧، ع ٣ (محرم ١٤٠٧هـ ــ سبتمبر ١٩٨٦م)، ص ٣٠١.

١٣٧ــ الجبوري، عبد الله / **مكتبة الأوقاف العامة: تاريخها ونوادر مخطوطاتها**. ــ بغداد: مجلة الرسالة الإسلامية، ١٣٨٩هـ ــ ١٩٦٩م، ص ص ٥٥ ــ ٥٦.

١٣٨ــ التونسي، ص ص ٣٤ ــ ٤١.

١٣٩ــ الجبوري، ص ص ٥٠ ــ ٥١.

١٤٠ــ قساطلي، نعمان (ت ١٣٣٨هـ) / **الروضة الغناء في دمشق الفيحاء**. ــ ط٢. ــ بيروت: دار الرائد العربي، (سلسلة التواريخ والرحلات ــ ٤) (مصورة بالأوفست عن طبعة عام ١٢٩٩هـ ــ ١٨٧٩م) ص ١٣٠.

١٤١ــ أنظر ص ٨٢ من هذا البحث.

١٤٢ــ أنظر ص ٨٠ من هذا البحث.

١٤٣ــ أمين، محمد محمد / **الأوقاف والحياة الاجتماعية في مصر ٦٤٨ ــ ٩٢٣هـ = ١٢٥٠ ــ ١٥١٧م دراسة تاريخية وثايقية**. ــ القاهرة : دار النهضة العربية ١٩٨٠م، ص ٢٥٩.

١٤٤ــ اللوحة رقم (٣) في الملحق.

١٤٥ــ **تلخيص مجمع الآداب في معجم الألقاب**، الجزء الرابع، القسم الثاني / ١٢٠٩.

١٤٦ــ الغياث، عبد الله بن فتح الله البغدادي (ت ق ١٠هـ) / **التاريخ الغياثي الفصل الخامس من سنة ٦٥٦ ــ ٨٩١هـ = ١٢٥٨ ــ ١٤٨٦م** تحقيق طارق نافع الحمداني. ــ بغداد: المحقق (ساعدت جامعة بغداد على نشره) ١٩٧٥م، ص ٩٤.

الفصل الرابع

وقف الكتب والمكتبات على المارستانات والربط والخانقاهات والترب والأشخاص والذرية والوقف غير المحدد

تجاوز وقف الكتب والمكتبات عند العرب والمسلمين دور الكتب العامة والجوامع والمدارس إلى أنماط أخرى تظهر لنا أن الكتاب أصبح جزءاً لا يتجزأ من حياة الإنسان في أصقاع العالم الإسلامي لا يستغني عنه، وهو الأمر الذي دفع بالواقفين إلى التوجه نحو كل منشأة وقفية عامة وبالتالي إيجاد مكتبة بداخلها تلبي احتياجات مجتمعها المحدود، فنتج عن ذلك مكتبات في :

البيمارستانات.

والربط والخانقاهات

ووصل الأمر إلى إنشاء مكتبات وقفية في مقابر بعض الموتى.

وهناك من كان يوقف كتبه على طلبة العمل دون تحديد للمكان، وإن كانت الكتب الموقوفة غالباً تظل في قبضة ورثته وداخل إطار بيته.

أ ــ الوقف على المارستانات :

والمارستان أو البيمارستان كلمة فارسية الأصل تعنى بمفهومنا المعاصر المستشفيات، وكانت معروفة ومنتشرة على مدى قرون طويلة في أرجاء العالم الإسلامي، وكان بعضها مخصص للعلاج والدراسة في الوقت نفسه، وهو ما دفع بأحد الباحثين المعاصرين إلى اعتبارها مدارس طبية.

والعجيب في الأمر أن تكون مكتبات البيمارستانات من أقدم ما عرف في تاريخ المكتبة العربية رغم التخصص الدقيق للمارستان أو البيمارستان، ومن أقدم هذه البيمارستانات وأشهرها :

بيمارستان أحمد بن طولون في القاهرة :

أنشأه أحمد بن طولون الذي حكم مصر والشام والثغور، وذلك في عام ٢٥٩هـ وكان بمثابة مستشفى وكلية طب، وجعل فيه خزانة كتب احتوت على ما يزيد على مائة ألف مجلد، لم تكن في علوم الطب وحدها، بل في تخصصات متنوعة[١]، ورغم أننا نقف موقفاً حذراً من الرقم إلا أننا نستدل من الخبر على قدم العناية بالمكتبات في المستشفيات في التاريخ الإسلامي.

البيمارستان العضدي في بغداد :

وأوجد عضد الدولة البويهي في القرن الرابع الهجري مارستاناً في بغداد سمي باسمه ألحقت به مكتبة كبيرة[٢].

بيمارستان نور الدين زنكي في دمشق :

وهو من الأوقاف التي عملت في عهد السلطان نور الدين محمود بن زنكي، وعمل فيه الطبيب أبو المجد بن أبي الحكم المتوفى سنة ٥٧٠هـ «وكان نور الدين قد أوقف جملة كثيرة من الكتب الطبية، وكانت في الخزانتين اللتين في صدر الإيوان»[٣].

المارستان المنصوري في القاهرة :

وحظي هذا المارستان باهتمام الواقفين، فكان من بينهم علاء الدين علي بن علي بن أبي الحزم القرشي الدمشقي المعروف بابن النفيس المتوفى سنة ٦٨٧هـ «انتهت إليه رئاسة الطب، وكانت وفاته بالقاهرة.. وأوقف داره وكتبه وما يتعلق به على المارستان المنصوري»[٤].

ب ــ الوقف على الربط الخانقاهات :

والربط جمع رباط وهي بشكل عام مأوى للفقراء والغرباء وعابري السبيل، ومثلها الخانقاهات ومفردها خانقاه، كما أنها كانت تستخدم في بعض الأوقات لإيواء الصوفية، ويذكر المقريزي أن الخانقاهات «حدثت في الإسلام في حدود الأربعمائة من سنى الهجرة لتخلي الصوفية فيها لعبادة الله تعالى»[٥]، كما يقول عن الرباط بأنه «هو بيت الصوفية ومنزلهم ولكل قوم دارهم والرباط دارهم»[٦]، ويذكر أحد

الباحثين المعاصرين أن الربط والخانقاهات كانتا «تعمل جنباً إلى جنب مع المدارس على رعاية شؤون الطلبة الفقراء وإيوائهم»[٧].

والملاحظ أن أغلب الربط والخانقاهات كانت تجاور المدارس والجوامع وبالتالي فهي تشبه إلى حد كبير مساكن الطلاب، ولم يكن بعضها يخلو من علماء يسكنون فيها مع طلابهم... ومن هنا فقد أنشئت بداخلها مكتبات كي يلجأ إليها الطلاب عند الرغبة في البحث والمطالعة خارج أوقات الدراسة الرسمية.

ومن أشهر الربط التي كانت تضم مكتبات :

الرباط الطاهري في بغداد:

الذي أنشأه الخليفة العباسي الناصر لدين الله عام ٥٨٩هـ وكان موقعه في الحريم الطاهري غربي بغداد.[٨].

ووصف بأنه من أحسن الربط[٩]، وكعادة الخليفة الناصر لدين الله الذي كان مهتماً بوقف الكتب رغبة منه في إشاعة العلم والمعرفة فقد نقل إليه كتباً كثيرة كانت من أحسن الكتب كما يصفها ابن الأثير[١٠].

ويذهب بنا الظن إلى أن الخليفة الناصر لدين الله ذلك المغرم بالكتب، والمحب للمكتبات أول من أشاع ظاهرة مكتبة الرباط، فاقتدي به فيما بعد حتى عمت هذه الظاهرة، فتكونت مكتبات كبيرة في ربط مختلفة في أرجاء العالم الإسلامي، واشتهر أمرها حتى أصبحت تقصد من قبل العلماء.

رباط المأمونية في بغداد:

ويبدو أن هذا الرباط كان على درجة كبيرة من الأهمية، وأن مجموعات الكتب التي وقفت فيه بلغت حداً جعل منها دار كتب تحفل بالأعمال النادرة وتستقطب العلماء فيقصدونها للبحث والنقاش، ويتولى أمر الإشراف عليها أعلام مشاهير، كل ذلك نستخلصه مما ذكره ياقوت الحموى نقلاً عن محب الدين محمد بن النجار حيث يقول :

حضر الوجيه النحوي بدار الكتب التي برباط المأمونية، وخازنها يومئذ أبو المعالي أحمد بن هبة الله فجرى حديث المعري فذمه الخازن، وقال كان عندي في الخزانة كتاب في تصانيفه فغسلته، فقال له: الوجيه، وأي شيء كان هذا الكتاب قال: كان كتاب نقض القرآن. فقال له: أخطأت غسله فعجب الناس منه وتغامزوا عليه، واستشاط ابن هبة الله وقال: مثلك ينهى عن هذا؟ قال: نعم، لا يخلو أن يكون هذا الكتاب مثل القرآن، أو خير منه، أو دونه فإذا كان مثله أو خيراً منه وحاشى لله أن يكون ذلك فلا يجب أن يفرط في مثله، وإن كان دونه وذلك ما لا شك فيه فتركه معجزة للقرآن فلا يجب التفريط فيه.. فاستحسن الجماعة قوله، ووافقه ابن هبة الله على الحق وسكت(١١).

ويبدو أن هذه الحادثة وقعت في فترة تعود إلى نهاية القرن السادس الهجري أو أوائل القرن السابع نظراً لأن الوجيه النحوى وهو المبارك بن المبارك بن سعيد بن الدهان توفي في عام ٦١٢هـ، وتردد مثل الوجيه على هذه المكتبة يدلل على أنها كانت جليلة القدر في ذلك الزمان. فقد كان من علماء عصره المشاهير، وكان يدرس النحو بالمدرسة النظامية، ويعتبر ياقوت الحموي أحد الذين تتلمذوا عليه.

رباط ربيع في مكة :

وصاحب هذا الرباط هو علي بن يوسف بن أيوب، الملك الأفضل ابن السلطان الملك الناصر صلاح الدين، المتوفى سنة ٦٢٢هـ، وقد عمره في أجياد وعرف برباط ربيع، ووقفه على فقراء المسلمين الغرباء في عام ٥٩٤(١٢)، ووقف فيه كتباً كان من بينها المجمل في اللغة لابن فارس، والاستيعاب لابن عبد البر(١٣).

وتركزت مجموعات وقفية أخرى في هذا الرباط لتكون مع مجموعة الملك الأفضل مكتبة كبيرة استفاد منها سكان الرباط وغيرهم من سكان مكة والقادمين عليها، وكان من الواقفين محمد بن عيسى بن سلمان بن علي اليمني الشريشي ابن خشيش المتوفى سنة ٦٧٤هـ الذي نظم التنبيه لأبي اسحاق الشيرازي، وشرحه في أربعة مجلدات ثم وقفهما في هذا الرباط(١٤).

كما وقف عليه كتباً كثيرة عبد الله بن أبي بكر الكردي المتوفي سنة ٧٨٥هـ[١٥].

ومما يدلل على أهمية هذا الرباط ومكتبته، ما عمله علي بن محمد بن سند المصري الفراش بالمسجد الحرام والمتوفي في سنة ٨٢٧هـ إذ أنه «عانى التجارة بمصر ووقف كتباً اقتناها وجعل مقرها برباط ربيع من مكة»[١٦].

ويبدو من النصوص السابقة أن مكتبة هذا الرباط كانت أهم مكتبة في مكة المكرمة طوال فترة تزيد على مائتي عام.

رباط الشرابي في مكة المكرمة :

ورغب الأمير شرف الدين إقبال بن عبد الله الشرابي المستنصري العباسي المتوفى سنة ٦٣٥هـ ببغداد في إقامة مشاريع خيرية في مكة المكرمة، فعزم على إنشاء رباط فيها، غير أن ذلك لم يتحقق إلا بعد وفاته حيث تولى عمارته في سنة ٦٤١هـ نيابة عنه أبي الشهاب ريحان، وكان موقعه عند باب بني شيبة، ووقفه عن موكله شرف الدين إقبال، ووقف عليه أوقافاً بمكة، «ووقف عليه كتباً في فنون العلم نفيسة..»[١٧].

رباط الزوزني في بغداد :

وكانت فيه مكتبة تولى الإشراف عليها علي بن أحمد بن أبي الحسن المؤدب وقد ذكر ذلك ابن النجار حيث يقول: «سمع منه جماعة من المتصوفة برباط الزوزني ورأيته فيه، وكان يتولى خزانة الكتب به»[١٨].

رباط ابن النيار في بغداد:

ويذكر ابن الفوطي أن عز الدين أبا المكارم الحسين بن أبي منصور البغدادي ابن النيار الأسدي أنشأ رباطاً في سنة تسع وأربعين وستمائة «مجاوراً لداره بقراح ابن أبي الشحم، وأسكن فيه جماعة من الصوفية وأجرى لهم الجرايات من خالص ماله وأنشأ به خزانة الكتب النفيسة والخطوط المنسوبة»[١٩].

رباط السدرة بمكة المكرمة :

ويشير الأسنوى المتوفى سنة ٧٧٢هـ إلى أن أبا خلف الطبري محمد بن عبد

الملك السلمي ألف كتاباً اسمه المعين كانت منه نسخة المصنف وقفاً برباط السدرة بمكة،[٢٠] وهذا يعني أن الرباط كان يضم مجموعة أخرى من الكتب.

رباط الأبرقوهي في مكة :

وصاحب هذا الرباط هو شاه شجاع اليزدي سلطان فارس المتوفى سنة ٧٨٧هـ، وقد أسند عمارته إلى غياث الدين الأبرقوهي فنسب إليه، وقد وقف فيه السلطان مجموعة من الكتب ضمن أعمال خيرية أخرى نفذها بمكة[٢١].

رباط الخوزي في مكة :

وأسسه الأمير قرامر بن محمود الأقدري الفارسي حوالي عام ٦١٧هـ[٢٢] وضم مكتبة تكونت من مجموعات وقفية جعلت فيه على مر السنين، من بينها مجموعة محمود بن جمال الدين أبي طاهر الهروي الناسخ المتوفى سنة ٧٩٦هـ، والذي كان يسكن في هذا الرباط، و«كتب بخطه الكثير، ووقف كتباً في الحديث والفقه وجعل مقرها برباط الخوزة بمكة»[٢٣] ومجموعة أحمد الشهاب المصري التروجي المتوفى سنة ٨١٢هـ، وقد أشار إليها الفاسي فقال: «بلغني أنه وقف عدة كتب وجعل مقرها برباط الخوزي من مكة، وبه كان يسكن»[٢٤] وقد نقل النص السخاوي وأضاف «وفيه توفي»[٢٥].

رباط الموفق في مكة :

وصاحبه القاضي الموفق جمال الدين علي بن عبد الوهاب الأسكندري، وقفه على فقراء العرب الغرباء ذوي الحاجة في سنة ٦٠٤هـ[٢٦].

وقد ذكر العياشي المتوفي سنة ١٠٩٠هـ أنه اطلع على عدة أجزاء من رحلة ابن رشيد بمكة عند شخص يدعى أبو المهدي، وكانت في وقف المغاربة برباط الموفق[٢٧]، والإشارة تدل على وجود مكتبة في هذا الرباط في ذلك التاريخ.

رباط الصفا بمكة المكرمة

وقف فيه إبراهيم بن عيسى بن إبراهيم الشرعبي المتوفى سنة ٨٩٦هـ «كتباً حسنة» وجعل الناظر عليها ابن العراقي[٢٨].

رباط قايتباي في مكة :

وعمل السلطان المملوكي قايتباي مشاريع خيرية معتمدة على الوقف في مكة المكرمة، كان من بينها إنشاء رباط إلى جوار مدرسته التي أقامها بالقرب من الحرم المكي، وقد اطلع العياشي على نسخة من تاريخ الإسلام للذهبي في مكتبة هذا الرباط فقال: «ومما رأيته من الكتب الغريبة بمكة تاريخ الإسلام للحافظ الذهبي وهو عشرة أجزاء كبار على السنين وهو موجود في وقف قايت باي بمكة في رباطه المعروف وقد رأيت منه أجزاء وطالعت بعضها»[٢٩].

رباط قراء باشي بالمدينة :

أسسه عبد الرحمن أفندي في عام ١٠٣١هـ، وكانت فيه مكتبة، أضيفت عليها مجموعات وقفية خلال مراحل متعددة، من بينها مجموعة علي رضا بن إبراهيم أدهم.[٣٠].

رباط عثمان بن عفان بالمدينة :

وهو من أوقاف المغاربة، وكان يضم مكتبة معظم كتبها في الفقه المالكي على بعضها أسماء واقفيها، من مثل حسونة البسطي وعبد الحافظ الحجاجي، وكانت مكتبة هذا الرباط متميزة على مكتبات المدينة المنورة في أوائل القرن الرابع عشر بأنها كانت تسمح بالإعارة الخارجية في مقابل سند يبقى لدى المكتبي إلى حين إعادة الكتاب[٣١].

رباط الجبرت بالمدينة :

وفيه مكتبة صغيرة تكونت من مجموعات وقفية عديدة[٣٢].

رباط مظهر الفاروقي بالمدينة :

وكانت مكتبة هذا الرباط مشهورة حتى فترة قريبة يتردد عليها الراغبون في الاطلاع على بعض النفائس التي تحتويها، والتي كان من بينها تاريخ المدينة لعمر ابن شبة، وقد صورت منها مخطوطات محفوظة حالياً في قسم المخطوطات بمكتبة جامعة الملك سعود.

ويعود تاريخ هذه المكتبة إلى عام ١٢٩١هـ وهو العام الذي أنشيء فيه الرباط

على يد محمد مظهر الفاروقي، وكان هذا الرباط أهم ربط المدينة في أوائل القرن الرابع عشر حتى وصفه أحدهم قائلاً «ولا أعظم منه رباطاً بالمدينة المنورة»[٣٣].

* * *

ولا يختلف الخانقاه كثيراً من حيث الوظيفة عن الرباط، وإن كان يرتبط بشكل أوضح بالصوفية، كما أن سكانه عادة لهم صلة بالعلم أكبر من سكان الرباط، ورغم ذلك فلم يشتهر أي من الخوانق بوجود مكتبة فيه إلا خانقاه السميساطية في دمشق الذي يشار إليه أحياناً برباط الصوفية المعروفة بالسميساطي[٣٤].

خانقة السميساطية في دمشق :

وأقدم من وقف كتباً في الخانقاه السميساطية أبو سعيد محمد بن عبد الرحمن البندهي المتوفى سنة ٥٤٨هـ، الذي حصل على مجموعة كبيرة من الكتب، أكثرها من خزائن حلب عندما سمح له صلاح الدين الأيوبي بأن يأخذ منها ما يريد، فحصل على كتب كثيرة وقفها في السميساطية[٣٥].

ويبدو أن مجموعة البندهي هذا جعلت لمكتبة السميساطية قيمة كبيرة فقصدها العلماء ووقف عليها آخرون كتباً كثيرة، كان من بينهم أبو البقاء التفليسي ثابت بن تاوان المتوفى سنة ٦٣١هـ الذي وقف كتبه عليها[٣٦]، وصفي الدين محمود بن محمد بن حامد القرافي المتوفى سنة ٧٢٣هـ[٣٧]، وأبو سعيد صلاح الدين خليل بن كليكيدي بن عبد الله العلائي الدمشقي سبط البرهان الذهبي المتوفى سنة ٧٦١ حيث وقف أجزاءه فيها[٣٨]، وعلاء الدين علي بن المظفر بن إبراهيم بن عمر الوادعي الكندي الاسكندري الدمشقي المتوفى سنة ٧١٦هـ، الذي جمع تذكرة في نحو من خمسين مجلداً في علوم مختلفة أطلق عليها (التذكرة الكندية) ثم وقفها في مكتبة السميساطية[٣٩].

ولعل شمس الدين أبا العلاء محمد بن أبي بكر البخاري الحنفي المتوفى سنة ٧٥٦ في ماردين والذي كان من شيوخ المذهب وقف كتبه فيها رغم عدم النص على اسمها واكتفاء المصدر بالقول: «ووقف أجزاءه بالخانقاه»[٤٠].

جـ ــ الوقف على المقابر والترب :

وعمد بعض واقفي الكتب إلى إنشاء مكتبات في المقابر والترب، ووقف كتبهم عليها، ولا شك أن هذه المكتبات كانت تستخدم، وإن كنا نعتقد أن استخدامها كان أقل من الأنواع السابقة من المكتبات الوقفية.

ومن هذه المقابر والترب :

تربة أم الخليفة في بغداد :

ويبدو أنها السيدة سلجوقي خاتون بنت الملك قليج أرسلان السلجوقي زوجة الملك الناصر لدين الله التي توفيت في عام ٥٨٤هـ، وأنشأ الخليفة عليها تربة ووقف «فيها خزانة كتب نفيسة وكانت على شاطيء دجلة بالجانب الغربي من بغداد»[٤١].

ثم وقف عليها خمسمائة مجلداً نجم الدين أبو اليمن نجاح بن عبد الله الشرابي الملقب بالملك الرحيم، والذي كانت له خزانة كتب وقفت بعد موته في سنة ٦١٥هـ. وهذه التربة هي التي يشير إليها ابن الفوطي عند حديثه عن عز الدين المتوفى سنة ٦٢٣ فذكر أنه خازن الكتب الخلاطية، وعلق المحقق بأن المقصود بها تربة السيدة سلجوقي[٤٣].

ولعل هذه المكتبة هي التي يقصدها ياقوت الحموي في ترجمته لعلي بن فضال المجاشعي حيث أشار إلى أنه رأى في الوقف السلجوقي ببغداد نسخة من كتابه الدول في التاريخ في ثلاثين مجلداً ويعوزه شيء آخر[٤٤].

تربة ابن البزوري في الصالحية بدمشق :

وكان عز الدين أبو بكر محفوظ بن معتوق ابن البزوري البغدادي، قد استوطن دمشق «وحصل الكتب النفيسة... ووقف كتبه على تربة أنشأها بالصالحية ودفن هناك سنة ٦٩٤»[٤٥].

التربة العزية االبدرانية الحمزية بالصالحية بدمشق :

أنشأها حمزة بن موسى بن أحمد بن الحسين بن بدران عز الدين أبي يعلي

المعروف بابن شيخ السلامية المتوفى سنة ٧٦٩ «ووقف درساً.. وكتباً وعين لذلك الشيخ زين الدين بن رجب»[٤٦].

القبة المنصورية في القاهرة :

وكانت مقابلة للمدرسة المنصورية.

وهي من أعظم المباني الملوكية وبها قبر تضمن الملك المنصور سيف الدين قلاوون وابنه الملك الناصر محمد قلاوون والملك الصالح عماد الدين اسماعيل بن محمد قلاوون.. وفي هذه القبة دروس للفقهاء على المذاهب الأربعة وبهذه القبة خزانة جليلة كان فيها عدة أحمال من الكتب في أنواع العلوم مما وقفه الملك المنصور وغيره[٤٧].

تربة قرا أوغلي في استنابول :

ويبدو أنها كانت تضم مكتبة، فقد وقف عليها أحمد بن عبد الله قرا أوغلي المتوفى سنة ٩٤١هـ جميع كتبه[٤٨].

تربة أحمد باشا الكوبري في استنابول :

وكان أحمد باشا بن محمد باشا الوزير الأعظم المعروف بالفاضل أحمد باشا الكوبري أحد وزراء الدولة العثمانية والمتوفى في سنة ١٠٨٧هـ قد ملك نفائس الكتب فوقفها قبل وفاته: «في خزانة بالتربة المذكورة ورتب لها أربعة حفاظ، وفيها من نفائس الكتب ما لا يوجد في مكان وأخبرني بعض من أثق به أنها ضمنت بأربعين ألف قرش»[٤٩].

د ـ نماذج أخرى :

وشاع أمر المكتبات حتى وصل الخلاوي والتي كان الأصل فيها الانقطاع للعلم والعبادة، فقد كانت **خلوة الكماخي** بالقاهرة تضم مكتبة، فقد أشار السخاوي أن أحمد الشهاب الحجازي نزيل القاهرة المتوفى سنة ٨٩٣هـ «سكن بخلوة الكماخي.. وتكلم في خزانة كتبها»[٥٠]والنص يشير إلى وجود المكتبة وإلى استخدامها مركزاً للتعليم أيضاً.

هـ ـ الوقف غير المحدد :

وترد في كتب التراث مئات النصوص التي تشير إلى قضايا تتعلق بوقف الكتب ولكن دون تحديد للمكان، مع وقوع إشكالات في تحديد الفئات التي جعل الوقف عليها، وغالباً ما تأتي هذه النصوص بصيغة عمومية من مثل... أن فلاناً كتب نسخة من الكتاب الفلاني ووقفها، أو وقف كتبه على المسلمين... أو وقف كتبه على طلبة العلم، أو بعث بكتاب ووقفه على المدينة الفلانية.

ولكن مثل هذه النصوص توضح مدى انتشار وقف الكتب بين كافة فئات المجتمع وعلى امتداد القرون، وهي في نفس الوقت قد لا تكون دقيقة إذ من الممكن أن تكون بعض الكتب التي وقفت وأشير إليها في هذه النصوص قد جعلت في أماكن بعينها مثل المدارس أو المساجد أو الربط أو دور الكتب، ولكن ناقل الخبر اكتفى بالجزء الخاص بوقفها وتجاوز تحديد مكانها، أو أنه عرف بالوقف دون المكان الذي وقفت عليه.

وأكثر ما تردد هذه النصوص عند التعرض لوفيات أشخاص أو الترجمة لهم في كتب التاريخ والتراجم.

ويبدو أن مثل هذه الكتب الوقفية تتعرض للإهمال، خاصة إذا استبقيت في الملك الخاص وجعلت بين يدي الورثة، إذ يصبح مصيرها البيع، أو الحجر، ونادراً ما يستفاد منها الفائدة التي أرادها منها الواقف.

وسنورد هنا جملة من النصوص ذات العلاقة بهذا الموضوع، معتمدين في ترتيبها على تاريخ الوقف إن وجد أو تاريخ وفاة الواقف.

فاسماعيل بن علي بن الحسين أبو سعد السمان المتوفى سنة ٤٤٥هـ، وهو من أئمة المذهب الحنفي من أبرز وأقدم الذين وقفوا كتبهم دون أن تحدد المصادر مكان وقفها فقد قيل بأنه «خلف ما جمعه طول عمره من الكتب وقفاً على المسلمين»[٥١].

ومنهم المؤرخ المحدث أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي المتوفي سنة ٤٦٣هـ فقد قيل بأنه «وقف جميع كتبه على المسلمين»[٥٢] والمرجح أن

شخصاً مثل الخطيب البغدادي لديه من الحصافة ما يدفع به إلى أن يوقف كتبه في مكان عام حتى يتمكن من يرغب في الاستفادة من اللجوء إليه في سهولة، ومن هنا فإنه على الأغلب قد وقف كتبه في جامع أو مدرسة أو إحدى دور الكتب التي كانت معروفة في بغداد.

وورد النص المتعلق بوقف أبي عبد الله الحميدي الأندلسي المتوفى سنة ٤٨٨هـ بصفة غريبة فلم يحدد المكان فقيل «وقف كتبه»(٥٣).

وعند حديث الذهبي على أبي المعالي عبد الله بن أحمد بن محمد بن حمدويه الحلواني المروزي البزاز المتوفى سنة ٥٣٩هـ ذكر أنه «سكن غزنة مدة واشترى كتباً كثيرة وقفها وأنشأ رباطاً للمحدثين بمرو»(٥٤) وصيغة النص توحي بأن الوقف لم يكن في مكان محدد، ولكن قد نذهب إلى أنه جعله في الرباط الذي أنشأه للمحدثين، وهو رأي له وجه من القبول.

وذكر أن أبا الفضل محمد بن ناصر السلامي أحد الحفاظ الكبار والذي توفي في سنة ٥٥٠هـ «وقف كتبه وخلف ثياباً خليقاً وثلاثة دنانير»(٥٥)،وأشار مصدر آخر إلى ما فعله السلامي فقال: «وقف كتباً كثيرة»(٥٦) ولكن كلا المصدرين لم يحدد المكان، وإن كان الثاني وهو الأقدم قد وصفها بالكثرة.

وكان عمرو بن حمير بن عبد الحميد التباعي السحولى المخادري المتوفى آخر المائة السادسة تقريباً بمكة المكرمة، من أعيان فقهاء اليمن، كثير الحج، وكانت له كتب وقفية «منها البيان، عليه سماعه على المصنف وإجازته منه»(٥٧) والجملة توحي بأن ناقل الخبر قد شاهد الكتاب، وعليه فإن الوقف كان في إحدى دور الكتب بمكة المكرمة ولكن لا نعرف أيها.

وينقل أحد المؤرخين في معرض ترجمته لعبد الله بن على آل زرقان اليمني وهو من أهل القرن الرابع الهجري أنه.

سمع في ذمار من أبي زيد المروزي الجامع الصحيح للبخاري، قال القاضي طاهر بن يحيي بن أبي الخير العمران، ورأيت أصله في ذلك مخالفاً في الترتيب لسماع أبي ذر الهروي، وهذا الأصل مع غيره من

كتبه في الكتب الموقوفة بذي أشرف يسر الله للراغبين من المسلمين خلاصها من يد من غلها وتملكها.[٥٨]

ولا يحدد النص لنا تاريخ الوقف أو المكان المحدد ولكن لعل ذلك كان في فترة من القرن الخامس أو أوائل السادس لأن الجعدي وهو الذي أورده كان من أهل القرن السادس الهجري.

ويذكر الفاسي أن عبد الله بن أحمد بن محمد بن قفل الزيادي الحضرمي المكني بأبي قفل المتوفى سنة ٦٣١هـ «كتب الكثير بخطه... وقف كتبه بمكة»[٥٩].

أما الكمال اسحاق بن أحمد المغربي المقدسي المتوفى سنة ٦٥٠ هـ فكان «ينسخ في كل شهر رمضان ختمة ويوقفها»[٦٠] ولعله كان يوقفها على المساجد فهي المكان الأنسب لها.

ودفع حب الخير والرغبة في المساهمة في تطوير المجتمع، الفقيه اليمني أحمد محمد الشكيل بن سليمان ابن أبي السعود إلى نسخ كتب بيده وشراء أخرى ومن ثم وقفها على طلبة العلم ببلده من ذريته وغيرهم[٦١].

وكان رئيس الدين أبو الحسين يحيي بن علي بن عبد الله بن علي بن مفرج القرشي النابلسي المتوفى سنة ٦٦٢هـ في مصر «حافظاً ثبتاً انتهت إليه رئاسة الحديث بالديار المصرية» قد وقف كتبه كما يشير الذهبي الذي لم يحدد مكاناً لها[٦٢]، وقد ذكر خبر وقفه لكتبه ابن شاكر الكتبي بيد أنه أيضاً لم يحدد مكاناً لها[٦٣].

واعتنى أحد أمراء بني رسول باليمن بالثقافة والعلم، فكان أن «نسخ عدة من الكتب والمصاحف والمقدمات ووقفها في عدة من الأماكن»[٦٤].

ويشير طاشكبري زاده إلى أن أحمد بن يوسف بن حسن بن رافع موفق الدين الكواشي الموصلي المتوفى سنة ٦٨٠هـ ألف «التفسير الكبير والصغير جود فيه الإعراب وحرر أنواع الوقوف وأرسل منه نسخة إلى مكة والمدينة والقدس»[٦٥]

والإشارة هنا مبهمة لا تمكن من تحديد مكان نظراً لكثرة المكتبات الوقفية في المدن المشار إليها، فقد يكون أرسلها كي توقف على مدارس أو جوامع أو ربط فيها.

وأكب عبد الواحد الجزولي المتوفى سنة ٧١٧هـ على نسخ العلم في رباط دوكالة بالمدينة، «ووقف كثيراً مما كتبه... وفرقه قبل موته بيسير»(٦٦).

وكان محمد بن داود بن محمد شمس الدين الموصلي المتوفى سنة ٧٢٨هـ أحد تجار القطن، وقد وجد هذا التاجر في وقف الكتب طريقاً من طرق الإسهام في خدمة مجتمعه فوقف «كتباً كباراً بدمشق وبغداد»(٦٧).

وإذا كان الموصلي تاجراً قادراً، فإن رشيد بن عبد الله شهاب الدين السعدي المتوفى بعد العشرين وسبعمائة، كان خادماً في المسجد الحرام، وكان يصحب العلماء «ويشتري كتب العلم، ويوقفها عليهم، وله خزانة جيدة كان منها كتب غريبة»(٦٨).

ووقف الملك المؤيد صاحب حماة اسماعيل بن علي أبو الفداء ابن الأفضل المتوفى سنة ٧٣٢ جملة من كتبه وفرق أخرى على أصحابه عقب موت ابنه(٦٩)، ويبدو أن ذلك كان نوعاً من الصدقة على روح الميت.

وساهم المحدث الشهير علم الدين البرزالي الذي تولى مشيخة الحديث النورية ومشيخة النفيسية في هذا الميدان، فوقف كتبه وعقاراً جيداً على الصدقات وكانت وفاته بخليص عام ٧٣٩(٧٠)، ومن الصعب أن يكون قد وقفها بخليص إذ أنها كانت طريقاً مر به وهو في رحلة الحج، ولكن لعله وقفها في إحدى مدارس الحديث خاصة النورية.

وحصل عماد الدين أبو اسحاق إبراهيم بن أبي بكر بن يعقوب ابن الملك العادل أبي بكر بن أيوب المتوفى سنة ٧٤٦ «أجزاء كثيرة وأوقفها»(٧١).

كما وقف علي بن الحسين بن علي المصري الدمشقي الشهير بابن البناء وهو مصري مات بدمشق سنة ٧٤٨هـ «كتبه على طلبة العلم وأكثرها بخطه منها المجتبى للنسائي والسنن لابن ماجة»(٧٢).

ورأى السخاوي نسخة من تفسير القرطبي بخط أحمد بن يحي بن الحسين ابن سالم الأنصاري الحنفي وقفها بالمدينة سنة ٧٥٠هـ وجعل النظر لعبد السلام ابن سعيد القيرواني[٧٣].

وجعل أحمد بن سعد بن عبد الله العسكري الأندرشي المتوفى سنة ٧٥٠هـ «كتبه وقفاً على أهل العلم»[٧٤].

ويشير الفاسي إلى أن أبا العباس أحمد بن علي بن أبي بكر العبدري الميورقي المؤرخ، المتوفى سنة ٦٧٨هـ «كتب بخطه تعاليق مشتملة على فوائد جمة ووقفها مع كتبه بوج الطائف، وكان سكنه مدة سنيين»[٧٥].

ولعل المكان الذي جعلت فيه هذه الكتب الموقوفة هو مسجد ابن عباس إذ أنه كان أشهر مكان في مدينة الطائف في عصر الميورقي.

وكان محمد بن أحمد بن حسن العينتابي وهو من أهل القرن التاسع، خطاطاً مجيداً كتب لنفسه ولغيره. وقد وقف مجموعة من المصاحف بخطه[٧٦].

ووقف إبراهيم بن محمد بن حسين برهان الدين المعروف بالموصلي المالكي نزيل مكة المتوفى سنة ٨١٥هـ «كتبا بخطه منها شرح ابن الحاجب وغيره»[٧٧].

ويذكر السخاوي أن علي بن محمد العلاء بن الشمس الكردي الشرابي، وهو من أفاضل القرن التاسع الهجري كانت له مساهمات في المصالح العامة مثل بناء المساجد ووقف كتب العلم على طلبته[٧٨].

وحظي عالم المدينة في القرن التاسع الهجري على بن عبد الله السمهودي بإعجاب كبراء عصره، وكان من ثمار ذلك الإعجاب أن وقف سلطان مصر وغيره على المدينة كتباً من أجله، كما اشترى الأمير داود بن عمر حين حج كتباً من أجله ووقفها[٧٩]. منها فتح الباري، وقد جعل مردها إليه.[٨٠].

وشارك بشير الحبشي المتوفى سنة ٨٦٤هـ وكان مولى للخواجا يعقوب كرت فأوقف كبتاً والمرجح أن وقفها كان في مدينة القاهرة، [٨١] وفعل مثله نزيل الأزهر عيسى الزواوي المغربي المتوفي سنة ٨٧٨ إذ يقال: إنه وقف كتبه[٨٢].

وقام عبد السلام بن محمد بن محمد الإمام العز بن الشمس محمد الخشبي المدني بكتابة نسخة من تحقيق النصرة بتلخيص معالم دار الهجرة انتهت في جمادي الثانية سنة ست عشر وثمانمائة، وذلك في حياة مؤلفها الذي وقفها وشهد الناسخ على الوقفية[٨٣].

وكان من ضمن ما خلفه سراج الدين عمر بن حسين بن حسين العبادي الشافعي المتوفى سنة ٨٧٧هـ بعض الكتب الموقوفة[٨٤].

كما أوقف مهندس معماري يدعى بهادر عاش في القرن العاشر أو قبل ذلك كتباً بالمدينة من بينها الصحيحان[٨٥].

وساهم مجموعة من علماء الدولة العثمانية في القرن العاشر الهجري في هذا المجال، فوقفوا كتبهم، وكان من بينهم بالي الأيديني الذي «كانت له كتب كثيرة وقف كلها على العلماء والصالحين»[٨٧] وعبد الواسع بن خضر المتوفى سنة ٩٤٥هـ «وقف جميع كتبه على العلماء بمدينة أدرنة» حيث كان يدرس في إحدى مدارسها[٨٨].

وشارك خطاب الضرير المتوفى بدمشق سنة ٩٦٨هـ، والذي كان أحد الفقراء المهتمين بالعلم بوقف المصاحف، فكان «إذا حصل له شيء من الدراهم اشترى به مصحفاً ووقفه»[٨٩].

وجمع عبد الرحمن بن شهاب الدين أحمد بن عبد الرحمن السقاف المتوفي سنة ١٠١٤ من الكتب النفسية « ما لم يجمعه أحد من أهل عصره ووقفها على طلبة العلم الشريف بمدينة تريم»[٩٠].

وذكر بعض أحفاد نور الدين علي بن سلطان الشهير بملا علي القاري المتوفي سنة ١٠١٤هـ أنه كان لجدهم ثلاثمائة من المؤلفات «وأنه أوقفها وشرط بأن لا يمنع من استنتساخها»[٩١].

وكتب عبد اللطيف بن محمد محب الدين بن أبي بكر تقي الدين المتوفى سنة ١٠٢٣هـ وهو أحد فضلاء عصره كتباً كثيرة بخطه وضبطها، وقد وقفها

وغيرها كما يورد المحبي حيث يقول : «ورأيت من ممتلكاته التي وقف أكثرها آخر أمره ما يقارب مائة وخمسين كتاباً وغالبها بخطه، فما وجدت كتاباً منها خالياً من تصحيح وتحرير له»[٩٢].

وشبيه بالسابق، ما أورده المحبي في معرض حديثه عن الحسن الكردي العمادي نزيل دمشق، والذي توفي في عام ١٠٤٨ حيث يقول «كتب بخطه الكثير من الكتب.. ووقف جميع كتبه على طلبة العلم بدمشق، قلت، وهذه الكتب موضوعة عند بني السعسعاني هي وكتب الدفتري وهي محتوية على نفائس الكتب»[٩٣].

وجمع علي بن حسين بن عمر بن حسين المتوفى سنة ١٠٦٩هـ «كتباً عظيمة ووقفها على طلبة العلم الشريف»[٩٤].

ومن الذين وقفوا كتبهم في مكة المكرمة دون تحديد لمكان وقفها أخوند جان البخاري ابن المفتي محمد هادي بن محمد مراد الميرغيناني المتوفى سنة ١٣٢٠هـ[٩٥].

ويذكر محمد صالح بن علي باعشن أن المكتبة التي خلفها والده، وكانت في صندوقين كبيرين جميعها موقوفة على عبد الله بن..العطاس[٩٦].

* * *

ويصعب على المرء أن يضمن كل ما ورد من نصوص حول الكتب التي أشير إلى وقفها دون تحديد دقيق للمكان الذي وقفت فيه نظراً لكثرتها، وتناثرها في بطون كتب التراث المنشورة والمخطوطة، ولعل فيما أوردناه هنا ما يعطي دلالة على انتشار هذا النمط من الوقف انتشاراً واسعاً بين أفراد المجتمع في العالم العربي والإسلامي، ونلاحظ من النصوص أن بعض ما وقف كان عبارة عن نسخة من كتاب، بينما كان البعض الآخر كتباً لم يحدد عددها، فقد تكون عشرات، وقد تصل إلى المئات، ونخلص بنتيجة من خلال تتبع هذا النمط من الوقف، وهو أن عدم ذكر المكان الذي وقفت عليه قد يكون لأحد الأسباب التالية :

١ ــ قلة عددها.

٢ ــ ضعف مادتها العلمية.

٣ ــ عدم تأكد الذين أشاروا إليها من الأماكن التي وقفت عليها على الوجه الصحيح.

الهوامش

١ ـــ ابن تغري بردي، جمال الدين أبو المحاسن يوسف (ت ٨٧٤هـ) / **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة**. ـــ القاهرة: دار الكتب، ١٩٤٣م، ٤ / ١٠١. وعيسى، أحمد / **تاريخ البيمارستانات في الإسلام**. ـــ ط٢. ـــ بيروت: دار الرائد العربي، ١٤٠١هـ ـــ ١٩٨١م، ص ٧١، وغنيمة ، محمد عبد الرحيم / **تاريخ الجامعات الإسلامية الكبرى**. ـــ تطوان: معهد مولاى الحسن، (دار الطباعة المغربية) ١٩٥٣م، ص ٢٨٤.

٢ ـــ حمادة، محمد ماهر / **المكتبات في الإسلام، نشأتها وتطورها ومصائرها**. ـــ ط ٢. ـــ بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٣٩٨هـ ـــ ١٩٧٨م، ص ١٤٥.

٣ ـــ النعيمي الدمشقي، عبد القادر بن محمد (ت ٩٢٧هـ) / **الدارس في تاريخ المدارس** تحقيق جعفر الحسني. ـــ دمشق: المجمع العلمي العربي، ١٣٦٧هـ ـــ ١٩٤٨م، ٢ /١٣٨.

٤ ـــ ابن شاكر الكتبي، محمد (ت ٧٦٤) / **عيون التواريخ تحقيق** نبيلة عبد المنعم داود وفيصل السامر. ـــ بغداد: وزارة الثقافة والاعلام، ١٩٨٤م، (سلسلة كتب التراث ـــ ١٢٢)، ٢١ / ٤٢٩ ـــ ٤٣٠.

٥ ـــ **كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقريزية** ـــ طبعة جديدة بالاوفست. ـــ بيروت: دار صادر، دار بيروت، د. ت، ٢ / ٤١٤.

٦ ـــ السابق، ٢ / ٤٢٧.

٧ ـــ غنيمة، ص ٢٨١.

٨ ـــ الأشرف الغساني، عماد الدين أبو العباس اسماعيل بن العباس بن رسول (ت ٨٠٣هـ) / **العسجد المسبوك والجوهر المحكوك في طبقات الخلفاء والملوك**، تحقيق شاكر محمود عبد المنعم. ـــ بيروت: دار التراث العربي، ١٣٩٥هـ ـــ ١٩٧٥م، ص ٢٢٤.

٩ ـــ ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن على بن أبي الكرم (ت ٦٣٠) / **الكامل في التاريخ** .ـــ بيروت: دار صادر، دار بيروت، ١٤٠٢هـ ـــ ١٩٨٢م، ١٢ /١٠٤ والأشرف الغساني، ص ٢٢٤.

١٠ــ **الكامل في التاريخ**، ١٢ / ١٠٤، والأشرف الغساني، ص ٢٢٤.

١١ــ ياقوت، ياقوت بن عبد الله الحموي (ت ٦٢٦هـ) / **معجم الأدباء**، راجعته وزارة المعارف العمومية. ــ القاهرة: دار المأمون، (١٣٥٧هـ ١٩٣٨م)، ١٧ / ٦٥ ــ ٦٦.

١٢ــ الفاسي، تقي الدين محمد بن أحمد المكي (ت ٨٣٢هـ) / **شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام**. ــ بيروت: دار الكتب العلمية، د. ت، ١ / ٣٣٥.

١٣ــ الفاسي، تقي الدين محمد بن أحمد المكي (٨٣٢هـ) / **العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين** تحقيق فؤاد سيد ومحمود الطناحي .ــ ط٢ .ــ بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٥هـ ــ ١٩٨٥م، ٦ / ٢٧٦. وابن فهد، النجم عمر بن محمد بن محمد (ت ٨٨٥هـ) / **اتحاف الورى بأخبار أم القرى** تحقيق فهيم محمد شلتوت .ــ مكة المكرمة: مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي بجامعة أم القرى، ١٤٠٤هـ ــ ١٩٨٤م، ٢ / ٥٦٤.

١٤ــ الفاسي...، **العقد الثمين**، ٢ / ٢٤٦.

١٥ــ السابق، ٥ / ١١٦.

١٦ــ السخاوي، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن (ت ٩٠٢هـ) / **الضوء اللامع لأهل القرن التاسع**. ــ بيروت: دار مكتبة الحياة، د. ت، ٥ / ٣٠٧.

١٧ــ الفاسي...، **العقد الثمين** ٣ / ٣٢٥. وقال في **شفاء الغرام** ١ / ٣٣١ «وللشرابي عليه أوقاف كثيرة من الكتب والمياه وغير ذلك بوادي مرونخلة» وابن فهد، ٣ / ٦٠.

١٨ــ **ذيل تاريخ بغداد**، صحح بمشاركة قيصر فرح. ــ بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٠٢هـ ــ ١٩٨٢م، ٣ / ٤٢.

١٩ــ **تلخيص مجمع الآداب في معجم الألقاب**، الجزء الرابع تحقيق مصطفى جواد. ــ دمشق: وزارة الثقافة والارشاد القومى، ١٩٦٢م، القسم الأول/١٣٣.

٢٠ــ **طبقات الشافعية** تحقيق عبدالله الجبوري.ــ الرياض: دار العلوم، ١٤٠١هـ ــ ١٩٨١م، ١٥٩/٢.

٢١ــ الفاسى...، **العقد الثمين**، ٤/٥.

٢٢ـ الفاسي ...، **شفاء الغرام**، ٣٣٢/١.

٢٣ـ الفاسي ...، **العقد الثمين**، ١٣٧/٧.

٢٤ـ السابق، ٤٤/٣.

٢٥ـ السخاوي، شمس الدين محمد بن عبدالرحمن (ت ٩٠٢هـ)/ **التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة** .ـ (المدينة المنورة) أسعد طرابزوني الحسيني، ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م، ١٨١/١.

٢٦ـ الفاسي...، **شفاء الغرام**، ٣٣٥/١.

٢٧ـ الجاسر، حمد/ **مقتطفات من رحلة العياشي** (ماء الموائد) .ـ الرياض: دار الرفاعي، ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م (في رحاب الحرمين، أشهر رحلات الحج ـ ٢) ص ١٩٦.

٢٨ـ السخاوي ...، **الضوء اللامع**، ١١٥/١ ـ ١١٦.

٢٩ـ الجاسر ...، **مقتطفات من رحلة** ...، ص١٩٦.

٣٠ـ التونسي، حمادي علي / **المكتبات العامة بالمدينة المنورة، ماضيها وحاضرها** .ـ رسالة ماجستير باشراف عباس طاشكندي .ـ جدة: قسم المكتبات والمعلومات بكلية الآداب بجامعة الملك عبدالعزيز، ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م، ص ٤٥.

٣١ـ السابق، ص ص ٤٣ ـ ٤٤.

٣٢ـ السابق، ص ٤٢.

٣٣ـ ابن موسى، علي (ت. بعد ١٣٢٠هـ)/ «وصف المدينة المنورة في سنة ١٣٠٣هـ (١٩٨٨٥م)» في : **رسائل في تاريخ المدينة** تحقيق حمد الجاسر .ـ الرياض: دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، ١٣٩٢هـ ـ ١٩٧٢م (نصوص وأبحاث جغرافية وتاريخية عن جزيرة العرب) ص ٤٦.

٣٤ـ ابن الدبيثي، أبو عبدالله محمد بن سعيد (ت ٦٣٧)/ **ذيل تاريخ مدينة السلام بغداد** تحقيق بشار عواد معروف .ـ بغداد: وزارة الثقافة والإعلام، ١٩٧٩م (سلسلة كتب التراث ـ ٨٤)، ٤١/٢.

٣٥ـ ياقوت...، **معجم الأدباء**، ٢١٥/١٨ ـ ٢١٦. وابن الدبيثي، ٤١/٢. والذهبي... **سير أعلام النبلاء**، ٢١/ط١٧٥. وغنيمة، ٢٨٤.

٣٦ـ ابن شاكر الكتبي... **فوات الوفيات** ، ٢٧٠/١.

٣٧ــ السابق، ٤/٩٨.

٣٨ــ ابن الحسن الحسيني، شمس الدين أبو المحاسن محمد بن علي (ت ٧٦٥هـ)/ **ذيل تذكرة الحفاظ** .ــ بيروت: دار إحياء التراث العربي، د. ت، ص ٤٦.

٣٩ــ ابن كثير، عماد الدين اسماعيل بن عمر (ت ٧٧٤)/ **البداية والنهاية** .ــ ط٢ .ــ بيروت: مكتبة المعارف، ١٩٧٧م ــ ، ١٤/٧٨. وابن حجر العسقلاني، شهاب الدين أحمد (ت ٨٥٢هـ)/ **الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة** تحقيق محمد سيد جادالحق .ــ القاهرة: دار الكتب الحديثة، د. ت ، ٣/٢٠٥. والنعيمي ١/١١٤.

٤٠ــ الذهبي، أبو عبدالله شمس الدين محمد بن أحمد (ت ٧٤٨)/ **كتاب تذكرة الحفاظ** .ــ ط ٤ .ــ بيروت، دار إحياء التراث العربي (مصورة بالأوفست عن نسخة دائرة المعارف العثمانية في حيد أباد الدكن بالهند عام ١٣٧٧هـ ــ ١٩٥٨م)، ٤/١٥٠٢.

٤١ــ ابن الفوطى، القسم الأول /٢٩٣.

٤٢ــ السابق، ٣٧٤. وذكر ابن كثير أنه كان مولى للخليفة الناصر وأنه تصدق عنه واعتق مماليكه ووقف عنه خمسمائة مجلد (البداية والنهاية، ١٣/٨٢).

٤٣ــ السابق، ٢٩٣.

٤٤ــ **معجم الأدباء**، ١٤/٩٢. تخدث عن هذه المكتبة كوركيس عواد فذكر أن الذي وقفها الخليفة الناصر لدين الله العباسي في تربة زوجته سلجوقة خاتون بباب البصرة من الجانب الذي في بغداد ونقل عن مصطفى جواد قوله: وقد هورت دجلة قبرها ودار كتبها وآثارها بعد أن رأها نيهر الرحالة الدنماركي قبل نصف قرن وشهدها المعمرون من أهل القرن التاسع عشر (ص ص٥٧).

٤٥ــ ابن الفوطى، القسم الأول /٢٨٧.

٤٦ــ ابن طولون الصالحي، محمد (ت ٩٥٣هـ)/ **القلائد الجوهرية في تاريخ الصالحية** تحقيق محمد أحمد دهمان .ــ ط٢ .ــ دمشق: مجمع اللغة العربية، ١٤٠١هـ ــ ١٩٨٠م، ١/٣٢٥.

٤٧ــ المقريزى، ٢/٣٨٠.

٤٨ــ الغزى، نجم الدين محمد بن محمد (ت ١٠٦١هـ)/ **الكواكب السائرة**

بأعيان المئة العاشرة تحقيق جبرائيل سليمان جبور .ـــ بيروت: محمد أمين دمج وشركاه، ١٩٤٥، ٢/١١٠.

٤٩ـــ المحبي، محمد أمين (ت١١١١هـ)/ **خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر** .ـــ بيروت، دار صادر، (مصورة عن طبعة عام ١٢٨٤) ١/٣٥٢ـــ٣٥٦.

٥٠ـــ السخاوي...، **الضوء اللامع**، ٢/٢٥٦.

٥١ـــ ابن أبي الوفاء القرشي، محي الدين عبدالقادر بن محمد (ت ٧٧٥هـ)/ **الجواهر المضيئة في طبقات الحنفية** تحقيق عبدالفتاح الحلو .ـــ الرياض: دار العلوم، ١٣٩٨هـ ـــ ١٩٧٨م، ١/٤٢٦.

٥٢ـــ ابن الدمياطي، أحمد بن ايبك (ت٧٤٩هـ)/ **المستفاد من ذيل تاريخ بغداد** لابن النجار تحقيق قيصر أبو فرح .ـــ حيدر أباد الدكن: دائرة المعارف العثمانية ١٣٩٩هـ ـــ ١٩٧٩م) ص ٦٠.

٥٣ـــ الذهبي ...، **تذكرة الحفاظ**، ٤/١٢٢١.

٥٤ـــ **سير أعلام النبلاء** ، ٢٠/١١٥.

٥٥ـــ الذهبي ...، **تذكرة الحفاظ** ، ٤/١٢٩٠.

٥٦ـــ ابن كثير، ١٤/١٤٢.

٥٧ـــ الفاسي...، **العقد الثمين**، ٦/٣٧٣.

٥٨ـــ الجعدي، عمر بن علي بن سمرة (ت ق ٦ هـ)/ **طبقات فقهاء اليمن** تحقيق فؤاد سيد .ـــ القاهرة: المحقق (مطبعة السنة المحمدية) ١٩٥٧م (المكتبة اليمنية ـــ ١) ص ص ٨١ ـــ ٨٢.

٥٩ـــ **العقد الثمين**، ٦ / ٣٧٣.

٦٠ـــ الأسنوى، ١ / ١٤٢.

٦١ـــ الخزرجي، علي بن الحسن (ت ٨١٢هـ) / **كتاب العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية** تحقيق محمد بسيوني عسل. ـــ (لندن): أوقاف ذكرى مستر جب (القاهرة: مطبعة الهلال) ١٣٢٩هـ ـــ ١٩١١م، ١ / ١٢٢.

٦٢ـــ **تذكرة الحفاظ**، ٤ / ١٤٤٢.

٦٣ **فوات الوفيات**، ٤ / ٢٩٦.

٦٤ــ الخزرجي، ١ / ٢٠٤.
٦٥ــ **مفتاح السعادة ومصباح السيادة** تحقيق كامل البكري وعبد الوهاب أبو النور. ــ القاهرة: دار الكتب الحديثة، ٢ / ١٠٣.
٦٦ــ السخاوي، **التحفة اللطيفة**، ٣ / ١٠٤.
٦٧ــ ابن حجر العسقلاني، ٤ / ٥٧.
٦٨ــ السخاوي، **التحفة اللطيفة**، ٢ / ٦٤.
٦٩ــ ابن شاكر الكتبي، **فوات الوفيات**، ١ / ١٨٥.
٧٠ــ السابق، ٣ / ١٩٨. والنعيمي الدمشقي، ١ / ١١٢. واليافعي، أبو محمد عبد الله بن أسعد (ت ٧٦٨) / **مرآة الجنان وعبرة اليقظان**. ــ ط٢. ــ بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ١٣٩٠هـ، (مصورة عن طبعة دائرة المعارف العثمانة في حيدر أباد ١٣٣٩هـ) ٤ / ٣٠٣.
٧١ــ السلامي، تقي الدين أبو المعالي محمد بن رافع (ت ٧٧٤هـ) / **الوفيات** تحقيق صالح مهدي عباس. ــ بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٢هـ ــ ١٩٨٢م، ٢ / ٢١.
٧٢ــ ابن حجر العسقلاني، ٣ / ١١٢.
٧٣ــ **التحفة اللطيفة**، ١ / ٢٧٠.
٧٤ــ ابن حجر العسقلاني، ١ / ١٤٥.
٧٥ــ **العقد الثمين**، ٣ / ١٠٢.
٧٦ــ السخاوي...، **الضوء اللامع**، ٦ / ٣٠٣.
٧٧ــ الفاسي...، **العقد الثمين**، ٣ / ٢٥٠.
٧٨ــ **الضوء اللامع**، ٦ / ٢٩.
٧٩ــ السابق، ٥ / ٢٤٦.
٨٠ــ السخاوي، **التحفة اللطيفة**، ٣ / ٢٣٤.
٨١ــ السخاوي، **الضوء اللامع**، ٣ / ١٧.
٨٢ــ السابق، ٦ / ١٥٩.
٨٣ــ السخاوي، **التحفة اللطيفة**، ٣ / ١٧.
٨٤ــ الجوهري الصيرفي، علي بن داود (ت ٨٧٩هـ) / **انباء الهصر بأنباء العصر** تحقيق حسن حبشي. ــ القاهرة: دار الفكر العربي، ١٩٧٠م، ص ٤٨٦.

٨٥ـ السخاوي، **التحفة اللطيفة**، ١ / ٣٨٥.

٨٦ـ طاشكبري زاده، أحمد بن مصطفى (ت ٩٦٨هـ) / **الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية**. ـ بيروت: دار الكتاب العربي، ١٣٩٥هـ ـ ١٩٧٥م، ص ١٨٣. وأشار الغزي، ١ /١٦٤ إلى أنه اقتنى كتباً كثيرة ولكنه لم يذكر أنه وقفها.

٨٧ـ السابق ص ١٦٧.

٨٨ـ السابق، ص ٢٣٤.

٨٩ـ الغزي، ٣ / ١٤٨.

٩٠ـ المحبي، ٢ /٣٥٩.

٩١ـ مرداد، عبد الله أبو الخير (ت ١٣٤٣هـ) / **المختصر من كتاب نشر النور والزهر في تراجم أفاضل مكة من القرن العاشر إلى القرن الرابع عشر** اختصار وترتيب وتحقيق محمد سعيد العامودي وأحمد علي. ـ ط٢ متقنة ومجودة. ـ جدة: عالم المعرفة ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م، ص ٣٦٨.

٩٢ـ **خلاصة الأثر**، ٣ / ١٩.

٩٣ـ السابق، ٢ / ٧٨.

٩٤ـ مرداد، ص ٣٥٥.

٩٥ـ السابق، ص ١٢٥.

٩٦ـ الأنصاري، عبد القدوس / **موسوعة تاريخ مدينة جدة**. ط٢. ـ جدة: المؤلف (مطابع الروضة) ١٤٠١هـ ـ ١٩٨٠م، ص ص ٥٢٤ ـ ٥٢٥.

الفصل الخامس

التنظيم والادارة

بعد أن عرضنا في الفصول الثلاثة السابقة لأنماط المكتبات، وبيَّنا كيف كان الوقف سبباً في قيامها، وبالتالي كيف أن المكتبة العربية حتى أوائل القرن الرابع عشر الهجري ما هي إلا نتيجة لهذا الوقف وإفرازاً لأريحية أفراد أو جماعات رأت فيه سبيلاً لبناء قاعدة ثقافية تكفل توفير احتياج الفرد العادي إلى الكتاب، فتشيع بذلك المعرفة في ظل ظروف صعبة كان الحصول على الكتاب فيها يعد أمراً شاقاً يتطلب مالاً ويتطلب رحلة، ويستغرق عمراً.

نأتي إلى قضية لا تقل أهمية عن قيام المكتبات وظهورها كياناً شامخاً، ألا وهي تنظيم تلك المكتبات وإدارتها، بل تنظيم النسخة الموقوفة أحياناً وتقيد استخدامها، وهنا نصل إلى قناعة أشد بأن الوقف كان أساس بنية المكتبة العربية، فهو إن كان سبباً في قيامها، فقد كان منطلق تنظيمها وإدارتها على ركائز وقواعد محددة في الغالب بغض النظر عن صلاحية الركائز والقواعد المقننة والمنظمة له.

وأول ما يجب أن نتحدث عنه هنا هو كيفية إثبات الوقف والإعلان عنه، إذ أن ذلك هو المدخل وهو المستند التنظيمي الذي يفترض أن يعتمد عليه ما بقي الكتاب الموقوف صالحاً للاستخدام.

طرق إثبات الوقف :

وهناك ثلاثة طرق استخدمت في إثبات الوقف والإعلان عنه وهي :

(أ) كتابة نص الوقفية على الكتاب نفسه.

(ب) كتابة وثيقة وقف شاملة تبين الحدود والأهداف العامة وتسجل أمام القضاء الشرعي.

(جـ) ختم صفحة العنوان وصفحات غيرها أحياناً بخاتم يدلل على الوقف.

وليس هناك نص أو نصوص مثالية يمكن القول أنها استخدمت من قبل الواقفين بشكل عام، بل ما نجده هو تفاوت واضح في الصيغ الوقفية سواء كانت مسجلة على الكتاب الموقوف، أو جاءت في وثيقة شرعية مستقلة، أو أشير إليها بخاتم فيه أقل قدر ممكن من المعلومات.

أ ــ كتابة نص الوقف على الكتاب نفسه :

ويبدو أن هذا النمط هو أقدم ما استخدم لإثبات الوقف والإعلان عنه، وهو أمر طبيعي مرده أن الوقف بدأ بنسخ مفردة من المصاحف كانت تكتب عليها نصوص وقفية قصيرة يشار فيها إلى اسم الواقف والتاريخ الذي تم فيه الوقف، كما هو الحال بالنسبة للجزء من المصحف الذي وقفه عبد المنعم بن أحمد في عام ٢٩٨هـ[١]، وكذلك ما كتب على المصحف الذي جلبه أحد العراقيين إلى مصر ووقفه بجامع عمرو بن العاص في عام ٣٤٧هـ،[٢] وقد درج كافة الواقفين الذين أثبتوا وقفهم على الكتاب نفسه على استخدام صفحة العنوان مكاناً لذلك، وإن كان هناك من استخدم آخره لإثبات نص الوقفية، كما أن صيغ الوقف تتفاوت لغة وأسلوباً وقصراً وتضمينا للمعلومات.

فمن بين أقدم النصوص الوقفية النص الذي رآه المقري على المجلد الرابع من الإحاطة الذي وقف لسان الدين ابن الخطيب نسخة منه في حياته على أهل العلم بمصر، وجعل مقرها بخانقاه سعيد السعداء وأوكل إلى أبي عمرو بن عبد الله ابن الحاج الأندلسي القيام بذلك نيابة عنه. وكان النص على النحو التالي :

> الحمد لله وحده، وقف الفقير إلى رحمة الله تعالى الشيخ أبو عمرو ابن عبد الله بن الحاج الأندلسي ــ نفع الله تعالى به ــ عن موكله مصنّفه الشيخ الإمام العلامة بركة الأندلس ــ لسان الدين أبي عبد الله محمد ابن الشيخ أبي محمد عبد الله بن الخطيب الأندلسي السّلماني ــ فسح الله تعالى في مدتّه، وفتح لنا وله أبواب رحمته، ومنحنا وإيّاه من رفده وعطيته، وأسكننا وإياه أعالي جنته ــ جميع هذا الكتاب «تاريخ غرناطة» وهو ثمانية أجزاء، هذا رابعها، عن مصنّفه المذكور بمقتضى التفويض الذي أحضره، وهو أنّه فوض إليه النيابة عنه في جميع أموره المالية كلّها، وشؤونه جميعها، والنظر في أحواله على اختلافها

وتباين أجناسها، تفويضاً تامّاً على العموم والاطلاق، والشمول والاستغراق، لم يستثن شيئاً مما تجوز النيابة فيه إلا أسنده إليه، وهو ثابت على سيدنا ومولانا قاضي القضاه يومئذ بثغر الاسكندرية المحروسة ــ أدام الله تعالى أيامه ــ كمال الدين خالصة أمير المؤمنين أبي عبد الله محمد بن الربعي المالكي ثبوته مؤرخ بثالث ذي الحجة عام سبعة وستين وسبعمائة، وقفاً شرعياً على جميع المسلمين ينتفعون به قراءة ونسخاً ومطالعة، وجعل مقره بالخانقاه الصالحية سعيد السعداء، رحم الله تعالى واقفها، وجعل النظر في ذلك للشيخ العلامة شهاب الدين أبى العباس أحمد بن حجلة، حرسه الله تعالى، ثم من بعده لناظر أوقاف الخانقاه المذكورة، فلا يحل لأحد، يؤمن بالله العظيم، ويعلم أنّه صائر إلى ربّه الكريم أن يبطله ولا شيئاً منه، فمن فعل ذلك أو أعان عليه فإنّما إثمه على الذين يبدلونه إن الله سميع عليم، ومن أعان على إبقائه على حكم الوقف المذكور جعله الله تعالى من الفائزين المطمئنين الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، وأشهد الواقف الوكيل عليه في ذلك في الثاني والعشرين لشهر الله تعالى المحرم عام ثمانية وستين وسبعمائة، انتهى[٣].

وكما يلاحظ فإن هذا النص فيه شيء من الطول إلى جانب سلامة لغته وجودة أسلوبه، وهو ما يميز أيضاً الوقفية الآتية والتي أثبتت في آخر كتاب الإحاطة بتاريخ غرناطة للسان الدين ابن الخطيب في النسخة التي وقفها السلطان الغرناطي أبو عبد الله محمد النصري في المدرسة اليوسفية وكتب نصها القاضي والوزير أبو يحيى بن عاصم ويعد النص من أطول النصوص الوقفية أما صيغته فهي التالية :

الحمد لله الجاعل الاستدلال بالأثر على المؤثر مما سلمه الأعلام، وشهدت به العقول الراجحة والأحلام، وهو الحجّة المعتمدة حين تفاضل الألباب وتقاصر الأفهام، وبه الاستمساك إن طرقت الشكوك أو عرضت الأوهام، وحسبك بما يسلم في هذا المقام العالي من الأدلة، وما يعتمد في هذا المجال المتضايق من البراهين المستقلّة، فحقيق أن يتلقى هذا النوع من الاستدلال فيما دون الفن المشار إليه بالقبول، ويستنبل المهتدى لاستنباطه لما فيه من التبادر للأفهام والتسابق للعقول،

وإذا ثبت أن المستدل بهذه الأدلّة سالك على سواء سبيل، ومنتم من صحة النظر إلى أكرم قبيل، فلا خفاء أن كتاب «الإحاطة» للشيخ الرئيس ذي الوزارتين أبي عبدالله ابن الخطيب ـــ رحمه الله تعالى ـــ من أثر هذه الدولة النصرية أدامها الله تعالى بكل اعتبار، ومآثرها التي هي عبرة لأولى الألباب وذكرى لذوي الأبصار، أما الأول خلاف الأنباء التي أظهرت بهجتها، وأوضحت حجتّها، وشرفت مقصدها، وكرمت مصعدها، إنّما هي مناقب ملوكها الكرام، ومكارم خلفائها الأعلام، أو أخبار من اشتملت عليه دولتهم الشريفة من صدور حملة السيوف والأقلام، وأفذاذ حفظة الديّن والدنيا، والشرف والعليا، والملك والإسلام، أو ما يرجع إلى مفاخر حضرة الملك، وينتظم نظم الجمان في ذلك السلك، من حصانة قلعتها، وأصالة منعتها، وقديم اختطاطها، وكريم جهادها ورباطها، وحسن ترتيبها ووضعها، وما اشتمل عليه من مقاصد الأنس أهل ربعها، وما سوى هذه الأقسام الثلاثة فمن قبيل القليل، ومما يرجع إلى شرف الحضرة ممنّ انتابها من أهل الفضل الواضح والمجد الأثيل، وأما ثانياً فإن راسم آياتها المتلوة ومبدع محاسنها المجلوة، وناقل صورتها من الفعل إلى القوّة، إنما هو حسنة من حسنات هذه الدولة النصرية الكريمة، ونشأة من نشآت جودها الشامل النعمة الهامل الديّمة، فما ظهر عليه من كمالات الأوصاف، على الإنصاف، فأخلاف هذه المكارم النصرية أرضعته، وعناياتها الجميلة أسمته فوق الكواكب ورفعته، وإليها ينسب إحسانه إن انتسب، ومن كريم تشريفها اكتسب، والحضرة هي منشؤه الذي عظم فيه قدره، بل أفقه الذي أشرق فيه بدره، والتشريفات السلطانية التي فتقت اللهّا باللّها، وأحلّت من مراقي العز فوق السها، وأمكنت الأيدي من الذخائر والأعلاق، وطوقت المنن كالقلائد في الأعناق، وقلدت الرياسة والأقلام أقلام، وثنت الوزارة والأعلام أعلام، فبهرت أنواع المحاسن، وورد معين البلاغة غير المطروق ولا الآسن، وبرعت التواليف في الفنون المتعددة واشتهرت التصانيف ومنها هذا التصنيف المشار إليه لما له من الأذمة المتأكدّة، إذ أظهر هذا الاستدلال، وأوضح البيان ما كتمه الإجمال، فلنفصح الآن بما قصد، ولنحقق من أنجم السعادة ما رصد، وذلك أن لمولانا أمير المسلمين،

المجاهد في سبيل رب العالمين، الغالب بالله المؤيد بنصره أبي عبد الله محمد ابن الخلفاء النصريين، أيده الله ونصره، وسنى له الفتح المبين ويسره، مآثر لم يسبق إليها، ومكارم لم يجر أحد من وسم بالكرم عليها، لجلالة قدرها، وضخامة أمرها، من ذلك هذا المقصد الذي أثر لها كالكتاب المذكور وسواه، مما هو واحد في فنه وفذ في معناه، عقد في جميعها التحبيس على أهل العلم والطلبة بحضرته العليا هنالك ليشمل به الامتاع، ويعم به الانتفاع، والله تعالى ينفع بهذا القصد الكريم، ويتولى المثوبة على هذا العقد الجسيم، وهذه النسخة في اثنى عشر سفراً متفقة الخط والعمل، اكتتب هذا على ظهر الأول منها، وبتاريخ رجب الفرد من عام تسعة وعشرين وثمانمائة، عرف الله تعالى بركته بمنه، انتهى.[٤].

وإذا كان النصان السابقان فيهما اهتمام باللغة وعناية بالأسلوب واستغراق يتجاوز قضية الوقف إلى إطالة وإسهاب قد لا يكون من ورائهما أي طائل، فإن النصوص الوقفية التي كتبت في فترات تالية للقرن العاشر الهجري تفتقر إلى العناية باللغة والأسلوب مع التركيز على مسألة الوقف وشروطه، وطلب المثوبة والغفران من الله.

وسنورد فيما يأتي بعضاً من هذه النصوص :
فقد ورد نص وقفيه على كتاب في المنطق على النحو التالي :

وقفت هذا الكتاب المستطاب ابتغاء لمرضاة الله الملك الوهاب وامتثالاً بحديث سيد السادات عليه أفضل التحيات الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت وقفاً صحيحاً مؤبداً وحبساً صريحاً مخلداً وشرطت التولية بالاستعمال لابني محمد مسعود أفندي والحاج خليل أفندي، وبعدهما لأولادهما الذكور نعوذ بالله تعالى بعد الانقراض لذكور أولادنا من الإناث وبعد انقراضهم لعلماء آمد في مكان محفوظ وأن لا يخرج إلا بالرهن فمن بدله بعد ما سمعه فإنما إثمه على الذين يبدلونه وأنا الفقير إليه عز شأنه وتعالى الحاج صبغة الله المفتي بآمد كوجك أحمد زاده غفر لهما[٥].

وقد كتب على هامش الجانب الأيمن في نهاية النص ما صيغته «وأليق ماأراد هذا الفاضل من مكان محفوظ، دار الكتب التي في مدرستي الراغبية..».

وورد النص التالي على حاشية الأمير في التوحيد.

أوقفت هذه الحاشية على من ينتفع بها من طلبة العلم بسائر وجوه الانتفاع مطالعة ومراجعة وغيرهما ابتغاء لوجه الله تعالى الكريم وطمعاً في التخلص من عذاب الجحيم ورجاء لفضله العظيم إنه غفور رحيم جواد كريم، وجعلت النظر لنفسي ثم من بعد لأرشد ذريتي وعلى الله الكريم الاعتماد نسأله التوفيق والسداد (فمن بدله بعدما سمعه فإنما إثمه على الذين يبدلونه إن الله سميع عليم) وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم كلما ذكره الذاكرون وغفل عن ذكره الغافلون، ورضي الله تعالى عن أصحاب رسول الله (ﷺ) أجمعين وعن التابعين وتابعيهم إلى يوم الدين، وعن الأئمة المجتهدين ومقلديهم، وغفر الله لي ولوالدي ولمشايخي ولجميع المسلمين والمسلمات الأحياء منهم والأموات آمين. كتبه بيده الفانية محمد الإمام الطاهري، وقاله وهو بحال صحته غفر الله له وتقبل منه آمين[٦].

وجاء نص الوقفية على نسخة من صحيح مسلم كما يأتي :

الحمد لواقف نيات أعمال العباد والصلاة والسلام على سيدنا محمد الشافع المشفع يوم الفناء وعلى آله وأصحابه أصحاب السداد، وبعد: قد وقفت هذا الكتاب المستطاب وقفاً صحيحاً مؤبداً وحبسته حبساً شرعياً مخلداً ابتغاء لمرضاة الله الملك الغفار، وامتثالاً لحديث سيد السادات والأبرار الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت أو كما قال الحديث، وشرطت التولية بالإستعمال مادمت حيا ثم لا بنى صبغة الله حفظه الله ووقاه، ثم لأولاده الذكور نعوذ بالله تعالى بعد الأنقراض لذكور أولادنا من الأناث، وبعد انقراضهم لعلماء آمد في مكان محفوظ إن لم أعين مكاناً في حياتي وإلا فيها ونعمت، وأن لا يخرج إلا بالرهن الغال (فمن بدله بعد ما سمعه فإنما أثمه على الذين يبدلونه) وأنا الفقير السيد محمد راغب بن مسعود أفندى العريف بكوجك أحمد زاده[٧].

وورد على الجزء الثالث من صحيح البخاري، الذي كان وقفاً في المدرسة الراغبية مانصه :

الحمد لله الذي وقف أسرار أعمال عباده والصلاة على رسوله وآله صلاة دائمة دوام الأبد وأباده، وبعد: فقد وقفت هذه النسخة الشريفة مع ثلاثين أجزاء وقفاً صحيحاً ووضعتها في دار الكتب التي في مدرستي، وشرطت أن لا تخرج إلا بالرهن الغالي فمن بدله الآية وأنا الفقير الحاج محمد راغب مسعود أفندي غفر الله لهما(٨).

وكتب على صفحة العنوان في نسخة مخطوطة من شرح هداية الحكمة نص الوقفية التالي :

قد وقفت هذا الكتاب وقفاً صحيحاً مؤبداً وحبسته حبساً شرعياً مخلداً ووضعته دار الكتب التي في مدرستي الراغبية وشرطت أن لا يخرج إلا بالرهن الغالي وأنا الفقير الحاج محمد راغب بن محمد مسعود أفندي غفر لهما(٩).

ومن النصوص الطريفة التي نجدها، نص وقفية على الفوائد الضيائية يقول فيها الموقف :

الحمد لله الواقف سرائر ضمائر عباده الذي أوجدهم من العدم وسيعيدهم إلى معاده، والصلاة والسلام على من أعلن الحق بين أهل الباطل بإسناده، وعلى آله وأصحابه الذين هم رواس الدين وأوتاده.

وبعد فلما ارتحل أخي وقرة عيني الأعز الأمجد واختار الآخرة على الأولى، اخترت ما هو الأنسب والأجزى لشيد ذكره عند خموله واستمرار الحسنات الجارية عند انقطاع عمله من التصرف في مخلفاته، فوقفت هذه النسخة الشريفة التي هي من كتبه في دار الكتب التي بناها جدي المحدث الأوحد المعنونة باسمه أعني الراغبية على وفق شرائط وقف ما جمعه فيها من الكتب الشريفة طلباً لمرضاة الله تعالى وآملاً أن يكون سبباً لإقالة عثراته ومغفرة منه تعالى لسيئاته، وأنا المفتقر إليه عز شأنه ذو العجز والتقصير السيد بكر صدقي العريف بنقيب زاده منحهم الله بالحسنى والزيادة(١٠).

وتحمل بعض الوقفيات المدونة على صفحات العناوين بالمخطوطات نماذج من الخلاف بين الموقف والناظر، أو تراجع الواقف عن الوقف والحكم في ذلك قضائياً، وقد رأينا نصاً من هذه النماذج على مجموعة من المخطوطات التي وقفها محمد بن علي الفارسي في مكة ثم تراجع عن ذلك ويتضمن النص ما يأتي :

الحمد وحده حضر إلى المجلس الشرعي بمحكمة مكة المشرفة لخمس أيام بقين من شهر الحجة عام السادس والأربعين بعد المائتين الشيخ محمد بن الشيخ علي الفارسي وأوقف كتابه هذه على طلبة العلم بالمسجد الحرام ممن ينتفع به من المسلمين، وجعل مقره ببيته، وسلمه لناظره السيد أحمد البخاري فحضر المحكمة شارطاً عزله بعد التسجيل وأن لا يخرج إلا بتذكرة، ثم في ثاني يوم من محضره رجع في وقفيته، فنازعة الناظر المذكور فترافعا لمولانا الحاكم الشرعي فحكم بوقفيته حكماً صحيحاً شرعياً وأقام الواقف عليه ناظراً ثم من بعده يكون للأرشد من أولاده، ثم لمفتي الشافعية جرا ذلك والله خير الشاهدين حرر في ٢٥ الحجة سنة ١٢٤٦.

وختم النص بخاتم القاضي عبد المنعم[١١].

وورد نص الوقفية الآتية على السدس الثالث من جمع الجوامع للسيوطي وهو الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله محمد وآله وصحبه أجمعين وبعد فإن المكرم المحترم الموقف الحاج سعيد بن وجيه باقديم مالك هذا المجلد من جمع الجوامع للحافظ السيوطي وما قبله وما بعده من المجلدات قد وقفها جميعاً عن نفسه ووالديه وأصوله وفروعه .وأمواته ابتغاء مرضاة الله سائلاً من الله أن يجعل ثواب ذلك إليه وإليهم وإلى رسول الله قبل ذلك وذريته وصحابته على طلبة العلم المشتغلين به المنتفعين ما داموا وما بقوا إلى آخر الدهر، وجعل النظر عليه للفقير عمر بن عبد الكريم عبد الرسول، ثم لمن فيه أهلية من أولاده ينتفعون به ويعيرونه لمن ينتفع به ويحفظونه لديهم وقفاً صحيحاً شرعياً لا يباع ولا يوهب ولا يرهن ولا يؤجر ولا يستبدل به ولا يملك بوجه من الوجه (فمن بدله بعد ما سمعه فإنما إثمه على الذين يبدلونه إن الله سميع عليم) قبل الله منه ذلك وأثابه عليه الثواب الجزيل آمين، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم حرر في محرم الحرام ١٢٤٧هـ[١٢].

وجاء النص التالي على وقفيته مدونة في عام ١١٧٦هـ.

هذا الكتاب مما وقفه وقفاً لازماً بأن علقه بالموت وجعله مخرجاً مخرج الوصية أفقر البرية إلى رحمة الله تعالى السيد حاجي حازم ابن المرحوم السيد حاجي عبد الرحمن الروحي الشهير بجلبي أفندي مدرساً بالمدرسة الكبرى لحضرة الصدر المرحوم إبراهيم باشا، ووضعه في بيت الكتب لذلك المرحوم وجعل توليته لمدرس تلك المدرسة وشرط أن لايخرج من بيت الكتب إلا برهن يساوي ضعف قيمته (فمن بدله بعد ما سمعه فإنما أثمه على الذين يبدلونه إن الله سميع عليم) وأجر الواقف على الحي الكريم، وكان ذلك في اليوم السادس والعشرين من شوال سنة ست وسبعين ومائة وألف[١٣].

ووقفنا على النص التالي في مخطوطة لم يذكر عليها عنوانها أو مؤلفها وهو كما يأتي :

قد اشترى هذا الكتاب من ثلث شعيبه رحمها الله تعالى أبوها اسماعيل المفتي بعرض أرض روم عفى الله تعالى عنه ليكون وقفاً للقادرين على استعماله وشرط أن يكون هو متوليه ثم أولاده الذكور بطناً بعد بطن ثم أكبر أولاد أبيه الذكور كذلك اللهم تقبله منها بحرمة حبيبك محمد (ﷺ) في شعبان سنة أربع ومائتين وألف[١٤].

وورد على نسخة من القرآن الكريم وقفت على الجامع الكبير بصنعاء ثم أخذت منه فيما بعد وبيعت في أوربا النص التالي :

وقف وحبس وسبل هذا الجزء وما قبله وما بعده من الأجزاء إلى تمام خمسة عشر جزء: الأخوان أبو المغيث وهادي ابني على الكناني للقراءة فيها بالجامع الكبير بمدينة صنعاء المحروسة لا يباع ولا يرهن إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، تقبل الله ذلك منهما ثالث عشر محرم الحرام عام خمس وأربعين وألف من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام (فمن بدله بعد ما سمعه فإنما اثمه على الذين يبدلونه) والله سميع عليم وذلك بوصية من أخيهما حسن بن على الكناني[١٥].

وكتب على نسخة بخط المؤلف من كتاب منتهى الارادات في جمع المقنع من التنقيح وزيادات وقفية نصها «وقف وحبس وسبل جميع هذا الكتاب فقير رحمة ربه العلي أحمد بن أحمد بن عوض المقدسي الحنبلي على عامة طلبة العلم وجعل مقره بزاوية الشيخ أحمد السحيمي (فمن بدله بعد ما سمعه فإنما إثمه على الذين يبدلونه)»[١٦].

ودون على نسخة من مصابيح السنة للبغوي ما نصه :

> قد وقف وحبس هذا الكتاب المسمى بحديث مصابيح للإمام البغوي الشافعي المشهور بمحيي السنة رضاء لله العليم وهرباً من عقابه الأليم، يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم، وجعل الواقف توليته وقراءته للعبد الفقير إلى رحمة الله ربه اللطيف عبد اللطيف ابن الحاجي شيخ موسى من قضاء قرة عيسالو في لواء بلدة آدنة المحروسة عفاها الله تعالى، وشرط أن لا يخرج من يده ما دام في حياته ثم لولده ثم لعصبته القادرين لمطالعته والمستفيدين من أهل ناحيته وبلده وقفاً صحيحاً شرعياً وحبساً صريحاً مرعياً بحيث لا يباع ولا يوهب ولا يؤجر ولا يرهن ولا يبدل (فمن بدله بعد ما سمعه فإنما إثمه على الذين يبدلونه إن الله سميع عليم) ثم، ثبت وقفه وقرر من سنة ثمان وثمانين وألف من الهجرة النبوية عليه أفضل الصلاة والتحية[١٧].

وقد يرد نص الوقفية مختصراً على النحو التالي «وقفت لأولادي الذكور ولأولاد أولاد الذكور وقفاً صحيحاً لا يباع ولا يرهن (فمن بدله بعد ما سمعه فإنما إثمه على الذين يبدلونه إن الله سميع عليم) الحاج على»[١٨].

ونص آخر ورد على نسخة من كتاب شرح فرائض السجاوندي جاء فيه «قد وقفت هذا الكتاب لمرضاة الله تعالى وقفاً صحيحاً لا يباع ولا يشترى لأولادي الذكور ولارباب العلوم سنة ١٢٩١ جمادي الآخر وأنا الفقير...»[١٩].

وحملت نسخة من مخطوطة لم نتعرف على عنوانها أو مؤلفها ما نصه «قد وقف وأبد وخلد هذا الكتاب على المستحقين من طلبة العلوم العبد الضعيف يوسف ابن الحاج على الشهير بالفاشوخ عفى عنه سنة ١٢٢٥»[٢٠].

وتحمل الكثير من المخطوطات الموقوفة في الفترة المتأخرة نصوصاً سقيمة تغلب عليها العجمة فقد ورد على واحد منها ما نصه :

«وقفت هذه النسخة الشريفة لروح مريم بنت يوسف لمرضاة الله تعالى لا يباع ولا يشترى ولا يرهن ولا يرتهن ولا يعطى إلى غير أهله ووقفت لأهل الحق من العلماء العاملين لعن الله بايعها واشترائها بعد علمهما»[٢١].

وتحدد بعض الوقفيات أماكن الوقف كما نجد في النص التالي :
«قد وقف وحبس هذا الكتاب أمير اللواء السلطاني محمد بيك الألفي وجعل مقره خان الصفارين القديم»[٢٢].

ووردت نصوص وقفية بغير العربية على بعض المخطوطات العربية التي وقفت في مناطق من العالم الإسلامي مثل تركيا، تؤكد أن الاهتمام بوقف الكتاب حظي بإنتشار في كافة المناطق العربية والإسلامية.

ب ـــ وثائق الوقف الشاملة :

وكانت عبارة عن صكوك شرعية تسجل في المحاكم ويشهد عليها الشهود وتتضمن أن فلاناً قد وقف مجموعة الكتب في دار مستقلة أو مدرسة أو مسجد أو رباط، وتحمل مجموعة من الشروط التي يجب أن تتبع في إدارة الوقف، وتبين ما تم وقفه في سبيل استمرار الاستفادة منه على المدى الطويل، وأقدم نماذج هذا النمط كانت ترد ضمن وثائق تشير إلى ما تم وقفه من أوقاف متنوعة على مجموعة متباينة منها المسجد والرباط والمدرسة والمكتبة، ومن أمثلة ذلك وثيقة وقف الحاكم بأمر الله الفاطمي المدونة في عام ٤٠٠هـ والتي تضمنت ما وقفه على الجامع الأزهر والجامع براشدة والجامع بالمقس ودار الحكمة[٢٣]، وهناك مجموعة من وثائق الوقف من العصر المملوكي تضمنت قضايا تنظيمية تتعلق بمكتبات المدارس، مثل وثيقة وقف السلطان الغوري، ووثيقة وقف السلطان فرج برقوق، ووثيقة وقف جمال الاستادار، ووثيقة وقف الأمير صرغتمش[٢٤].

وقد تضم وثيقة الوقف عند الإشارة إلى ما يخص المكتبة: عناوين الكتب الواقفية، وفي هذه الحالة تأتي الوثيقة في شكل كتاب مجلد، كما هو الحال بالنسبة لوثيقة وقف مسجد محمد بك أبي الذهب في القاهرة والتي جاءت في

كتاب صفحاته ١١٦ صفحة، اعتنى باخراجه عناية كبيرة من حيث التجليد والورق وجعلت الصفحات في أطر مذهبة[٢٥]، والنص المتعلق بوقف المكتبة يبتدأ من الصفحة الثالثة والسبعين وبدايته «.. وان مولانا الأمير محمد بيك الواقف المشار إليه أعلاه وقف أيضاً وحبس وسبل وتصدق لله سبحانه وتعالى بجميع الكتب الشريفة الجليلة المقيدة التي حوت القرآن وأنواع الفنون من تفسير وحديث وفقه وشروح ومتون وغير ذلك مما يأتي بيانه فيه المشتملة بدلالة الدفتر المكتتب في شأن ذلك على مصحفين..»[٢٦] وبعد تعداد وذكر العناوين التي وقفت، تذكر الوثيقة بعض النقاط المتعلقة بتنظيم الاستخدام والاستفادة منها، وما يتطلبه الحفاظ عليها من عقوبات تنزل على خازنها عند التفريط..[٢٧].

وجاء صك وقفية مكتبة نعمان الألوسي في كتاب يقع في ٣٣ ورقة قياسها ٢٦ × ٢٠ سم ذكرت فيه عناوين الكتب التي وقفت، وقد أشرنا إلى نص الوقفية عند الحديث عن المدرسة الألوسية في بغداد[٢٨] وهناك وقفية آل الحفظى[٢٩]

وإضافة إلى وثيقة الوقف كانت الكتب نفسها تحمل نصوصاً مطولة أو مختصرة تفيد بوقفها.

جـ الختم على صفحة العنوان وغيرها بخاتم يحدد الوقف :

وهناك طريقة ثالثة استخدمت لاشهار الوقف عن طريق ختم صفحة العنوان وصفحات أخرى غيرها بخاتم يحمل اسم الواقف، أو اسم المكان الذي جعلت فيه، وتختلف الأختام في شكلها وحجمها، فمنها المستدير ومنها البيضاوي ومنها المربع، وبعضها صغير الحجم، وأخرى ذات أحجام كبيرة، وأغلب هذه الأختام تكون بحروف مفرغة على أرضية سوداء أو بحروف سوداء مفرغة على أرضية بيضاء، كما أن بعضها بألوان أخرى خضراء وزرقاء أو بلون وردي، ونجد في بعضها اسم الموقف والمكان وبعض الشروط وتاريخ الوقف، بينما تقتصر أخرى على ذكر اسم الواقف أو اسم المكان الذي وقفت عليه، وقد نجد الختم مضافاً إلى نص الوقفية، وقد نجده عوضاً عنها في أحيان أخرى. وقد ختمت أغلب كتب المدرسة الفيضية في استانبول بخاتم شبه دائرى فيه «وقف شيخ الإسلام السيد فيض الله غفر الله له ولوالديه بشرط أن لا يخرج من المدرسة التي أنشأها بقسطنطينية سنة ١١١٣هـ».

كما استخدم على الكتب التي وقفها الوزير الشهيد علي، خاتم دائرى حمل العبارة التالية «مما وقفه الوزير الشهيد علي باشا رحمه الله تعالى بشرط أن لا يخرج من خزانته».

واستخدم لاثبات الوقف على كتب المدرسة الخاطونية خاتم كبير الحجم يحتوى على النص التالي: في شكل بيضاوي: «قد وقف هذا الكتاب المشير المفخم السيد عثمان باشا خزينة دار زادة وقفاً صحيحاً عاماً... وموضعه في كتبخانة التي بناها في المدرسة الخاطونية بشرط أن لا يخرج منها.. ١٢٥٩هـ»[٣٠] وقد ختمت بها جوانب صفحات كثيرة في المخطوط الواحد.

وكان لمكتبة عارف حكمة ختم دائري كتب عليه: «وقفه العبد الفقير إلى ربه أحمد عارف حكمة الله بن عصمة الله الحسيني في مدينة الرسول الكريم عليه وعلى آله الصلاة والتسليم بشرط أن لا يخرج عن خزانته والمؤمن محمول على أمانته ١٢٦٦هـ»، كما كان لها ختم آخر كتب عليه «وقف حكمة الله بن عصمة الله الحسيني ١٢٦٧هـ»، وختم ثالث كتب عليه بالتركية «مرحوم شيخ الإسلام عارف حكمت بك كتبخانة سنك وقفية ملحقات ١٣٣٣»[٣١].

ومن أكبر الاختام التي وقفنا عليها ختم وجدناه على بعض المخطوطات وهو دائري الشكل، قطره ٣٠ر٧ × ٣٠ر٧ سم وقد جاء النص الذي كتب عليه وهو أطول نص داخل ختم رأيناه على النحو التالي:

وقفت هذا الكتاب وقف صحيحاً وحبساً منيفا لمرضاة الله تعالى شرط أن لا يخرج من بيت الكتب في دارى إلا لعلماء هذه البلدة بكفيل أو رهن مرعى بتولية نفسي الذي هو الحاج حافظ علي أفندي بن الحاج محمد غفر الله له ولوالديه، وأحسن إليهما وإليه لقوله تعالى: (فمن بدله بعد ماسمعه فإنما اثمه على الذين يبدلونه إن الله سميع عليم) الوقف حبس المال على ملك الله تعالى فلا يجوز ابطاله ولا يورث عنه، وعليه الفتوى من در المختار سنة خمسة وسبعين ومائة وألف من هجرة من له العزة والشرف سنة ١١٧٥[٣٤].

ومن الأختام التي تضمنت نصاً مطولاً وهو من أكثرها غرابة من حيث الشكل ذلك الذي ختمت به الكتب التي وقفها أحمد الكريدي، وقد احتوى على النص التالي:

حسبي الله ونعم الوكيل وقفه لله الملك الأحد الصمد الحاج أحمد ابن حسن بن أحمد الكريدى القاضي بمصر المحروسة في الزمان الأسعد لمطالعة الطالبيين المستفيدين ونفع الراغبين المحصلين وشرط أن لا ينقل من المحل المعين المتصل بالجامع الدفتري في محمية قندية فمن بدله بعد ما سمعه فإنما اثمه على الذين يبدلونه غفر الله له ولأبائه وأمهاته ولجميع اقرانه وكافة أهل بلده ومن سعى في حفظه أمين[٣٣].

ويتضح لنا مما سبق أن نصوص الوقف المدونة على الكتب أو الاختام كان يقصد منها اشهار الوقف لمنع العبث به أو بيعه أو التهاون في حفظه، وأغلبها كان يختم بالآية (فمن بدله بعد ما سمعه ..) وغالبية هذه النصوص توضح مسائل تتعلق بالتصرف في أمر الكتاب الوقفي، وطرق استخدامه، وحفظه، والناظر عليه، واسم الواقف، وأحياناً الأسباب التي دفعت إلى هذا الوقف.

كما أن بعض الوثائق الوقفية، والنصوص المثبتة على الكتب، كانت تضم في بعض الأحيان أسماء الشهود ضمن النص، كما نجد في وقفية الأمير أمور بك[٣٤] في حين تكون الأسماء مثبتة في نهاية الوقفية بشكل منفصل تسبقها عبارة شهود الحال[٣٥].

أبنية المكتبات الوقفية :

كما رأينا في الفصول السابقة فإن مجموعات الكتب كانت توضح في أماكن تتناسب والهدف من المكتبة، فإذا كانت مقامة في الأصل لتكون مستقلة بذاتها تؤدى رسالتها لعامة القراء، فإنها تجعل عادة في بناء مستقل، فالوزير سابور بن أردشير عندما أسس مكتبة دار العلم في بغداد ابتاع داراً في منطقة بين السورين لتكون مقراً لهذه المكتبة، ويبدو أن أبا الحسن محمد بن هلال الصابىء فعل مثله وأن كان النص يقول «وقف... دار كتب.. وهي دار بشارع ابن أبي عوف

في غربي بغداد» ... ولكن المؤكد أنها كانت دار مستقلة، ولنا أن نتوقع مثل ذلك بالنسبة لكافة دور الكتب الوقفية مثل: دار العلم في الموصل، وخزانة الكتب في فيروزآباد، وخزانة المالكية في مكة، ودار الكتب في ساوه، وبيت الكتب في الرى...

أما المكتبات التابعة للمساجد والمدارس والربط والخانقاهات فكانت توضع في أبنية ملحقة بالجهة التي تتبعها، تضيق مساحتها أو تتسع حسب حجم المجموعة الأساسية، وكان بعضها يعرف بدار الكتب أو خزانة الكتب، فجامع أصفهان كانت فيه في القرن السادس دار كتب ملحقة به، والخليفة الناصر كما مر بنا من قبل بني دار كتب بالمدرسة النظامية، وكانت بالمستنصرية بناية خاصة للكتب، وجامع الحاكم عمل فيه ركن الدين بيبرس خزانة كتب عندما أعاد ترميمه واصلاحه عقب الزلازل.

ويذكر السخاوى أن السلطان عثمان بن محمد بن عبدالعزيز الحفصي المتوفى سنة ٨٩٣ «أنشأ الأبنية الهائلة والخزانة الشرقية بجامع الزيتونة وجعل بها كتبا نفيسة»[٣٦].

وقد لا يتعدى حجم المكان غرفة صغيرة في مسجد أو مدرسة تجعل فيها الكتب، وقد يصل الأمر إلى أن تكون المكتبة أو خزانة الكتب مجرد دولاب واحد، ويوحي بذلك في بعض الأحيان استخدام مصطلح خزانة إذ يقال «وجعل بها خزانتين للكتب».

سبل الاختيار والتزويد للكتب الوقفية :

وكان اختيار الكتب لوقفها مسألة في غاية الأهمية، يوحي بذلك ما قيل من أن الخليفة الناصر لدين الله قد أسند هذه العملية إلى شخصية علمية بارزة وهو مبشر ابن أحمد بن على أبو الرشيد الحاسب الملقب بالبرهان:

> وكان أوحد زمانه فاضلاً كثير المعرفة بالحساب وخواص الأعداد والجبر والمقابلة، وعلم الهندسة والهيئة، وقسمة التركات وحوى من سائر العلوم طرفا وكان يقرأ عليه ويؤخذ عنه... وتميز في أيام الناصر لدين الله أبي العباس أحمد وقرب منه، واعتمد عليه في اختيار الكتب التي وقفها

بالرباط الخاتوني السلجوقي، وبالمدرسة النظامية... فإنه أدخله إلى خزائن الكتب بالدار الخليفية وأفرده لاختيارها..[٣٧].

ولعل هذا الخليفة أسند إلى البرهان الحاسب وغيره من العلماء مهمة اختيار الكتب المناسبة للمكتبات التي وقفها، وذلك بالبحث عنها في سوق الكتب ومن ثم شرائها، وهو ما دفع بأثمان الكتب إلى الارتفاع في عصره[٣٨].

وكان من مصادر الوقف **ما كان ينسخه بعض العلماء** من كتب خلال حياتهم وبالتالي وقفها قبل وفاتهم أو بعدها، وتشير إلى ذلك مصادر عديدة عند الحديث عن الواقفين مثل: علي بن أحمد الزيدى وصديقه صبيح النصرى، إذ وقفا ما كتباه بخطيهما وما حصلا عليه عن طريق الاستكتاب أو الشراء[٣٩].

وكانت الكتب التي وقفها فخر الدين الطبسي بالمدرسة المستنصرية أكثرها بخطه[٤٠].

وقد يكون الكتاب على درجة كبيرة من الجودة والأهمية في زمن من الأزمان، وهنا نجده ينسخ ويوقف مع غيره من الكتب في أشهر وأبرز مكتبة في المنطقة، كما حصل لنسخة فتح الباري لابن حجر والتي احتفى بها احتفاء كبيراً عند وصولها إلى اليمن في سنة ٩٠١هـ، فكان أن نسخت منه نسخة أخرى وقوبلت على الأصل ووقفت بالجامع الظافرى في زبيد[٤١].

ومن مصادر تزويد المكتبات الوقفية **وضع اليد على وقف سابق**، كما فعل محمد بن عبدالرحمن البندهي الذي أباح له صلاح الدين الأيوبي أن يأخذ ما يشاء من الكتب من خزانة حلب، فحصل كتباً لم تحصل لغيره ثم وقفها بخانقاه السميساطي في دمشق[٤٢].

أو **شراء الوقف من الورثة**، ومن قبيل هذا ما ذكر من أن جمال الدين الاستادار اشترى مجموعة كبيرة من الكتب التي وقفها الملك الأشرف شعبان من ابنه الملك الصالح المنصور حاجي ابن الأشرف بمبلغ ستمائة دينار، من بينها مصاحف طوال كل مصحف منها أربعة أشبار إلى خمسة في عرض يقرب من ذلك أحدها بخط ياقوت وآخر بخط ابن البواب.. جميعها مكتوب في أوله

الاشهاد على الملك الأشرف بوقف ذلك ومقره في مدرسته[٤٣]، وقد جعلت الكتب وقفا من جديد في المدرسة الجمالية.

ولم يكن أثرياء الواقفين يترددون في دفع أعلى الأسعار في سبيل شراء كتاب له أهمية خاصة، كما فعل القاضي الفاضل عندما اشترى مصحفاً قيل إنه مصحف عثمان بن عفان بمبلغ يصل إلى أكثر من ثلاثين ألف دينار[٤٤]، ودفع شيخ الإسلام عارف حكمة أربعمائة جنيه عثماني ذهبي لشراء كتاب واحد، واشتهر بأنه كان يبذل أموالا طائلة لاقتناء الكتب[٤٥].

واشترى محمد بك أبو الذهب وهو يكون مكتبته التي وقفها فيما بعد، نسخة من تاج العروس بمبلغ مائة ألف درهم فضة[٤٦].

وكان بين المؤلفين من يحرص على وقف نسخة من أعماله في احدى المكتبات الوقفية مثل لسان الدين ابن الخطيب الذي بعث نسخة من كتابه الإحاطة لوقفها في خانقاه الصالحية بالقاهرة[٤٧].

الإشراف على الوقف وإدارته :

وكانت مهمة الإشراف على الكتب الوقفية وتيسير أمر الاستفادة منها تناط في حالة المجموعات المفردة إلى ناظر يكون مسؤولا عن حفظها، وإليه يعود الأمر في إتاحة استخدامها لأحد الراغبين أو منعه من ذلك، وفي الغالب يتولى النظارة الواقف نفسه طيلة حياته، ثم تنتقل النظارة من بعده لأحد أبنائه.. ثم لأحفاده وهكذا...، وإن كنا نجد نماذج أسندت النظارة فيها إلى شخص لا يرتبط بصلة نسب بالواقف، ولكن يكون عالماً أو على الأقل له اشتغال بالعلم، ويمكن أن نعتبر النمط الأول أدخل في الوقف الأسري إذ أن إتاحته للغير تتوقف على أريحية الورثة ومدى صدقهم وإخلاصهم للعلم، كما أن النمط الثاني يدخل الكتب الوقفية في دائرة صراع بين أسرة الواقف وأسرة الناظر، وهناك أمثلة تؤكد قصور الفائدة من هذين النمطين نتيجة لسوء التصرف الذي يصل إلى حد بيع الكتب نفسها رغبة في الحصول على المقابل المادي، ورغم المآخذ على هذا النوع من الوقف إلا أننا نجد فيه تنظيما يتمثل في تعيين الناظر وتمكينه من التصرف فيه حسب الرغبة الأولية للواقف، والتي يعلن عنها في نص وقفيته من مثل قوله..

«اوقفتها على طلبة العلم..» «لا يجوز إخراجه من مكانه».. «لا يرهن ولا يستبدل..» إلى غير ذلك من شروط تحفل بها النصوص الوقفية.

ولكن حقيقة التنظيم الإداري نجده في المكتبات الوقفية، حيث تكون مجموعات كبيرة من الكتب في بناء خاص بها، سواء كان بناء مستقلا لذات الكتب، أو ملحقا بجامع أو مدرسة أو رباط أو مقبرة، وبما أن هذه الكتب جعلت في مكانها هذا كي تستخدم ويستفاد منها، فإن نصوص الوثائق الوقفية تشتمل عادة على ما ينظم أمرها، خاصة من يتولى شؤون إدارتها وحفظها وخدمة المترددين عليها، وهو خازن الكتب أو شاهد خزانة الكتب أي أمين المكتبة حسب مصطلحنا المعاصر.

وقد حددت وثائق الوقف مهمة أمين المكتبة في العصر المملوكي بالتفصيل وتبدأ هذه المهمة بأن يقوم الناظر بتسليم الكتب إلى أمين المكتبة ويشهد عليه بتسليمها، ثم يتولى خازن الكتب بعد ذلك حسب ما جاء بوثائق الوقف إحراز الكتب المذكورة ونفضها من الغبار وتعهدها... أو كما جاء في وثيقة السلطان فرج حفظها ونفضها، ويتفقد أحوالها بالاصلاح ووضعها بالخزانة المرصدة لها[٤٨].

وكانت هناك ميزات يشترط توفرها في أمين المكتبة تنص عليها الوثائق الوقفية من مثل أن يكون:

- أميناً.
- نزيهاً.
- قادراً على القيام بخدمة الكتب.
- عارفاً بترتيبها.

وتوضح لنا حجة وقف السلطان فرج بن برقوق بعض صفات خازن الكتب ومهامه فتقول:

.. ويصرف لرجل يكون ثقة خيراً أميناً يقظاً قادراً على القيام بخدمة الكتب، عارفاً بترتيبها يقيمه خازناً لها بالجامع المذكور مع الختمات الشريفة والربعات العظيمة وكتب العلم الشريف على أن يتولى حفظها

ونفضها ويتفقد أحوالها بالاصلاح ووضعها بموضعها بالخزانة المرصدة لها وعلى أنه من حضر إليه يطلب شيئاً من ذلك فإن كان أهلا لمطالعة ذلك والاشتغال به، وكان من أهل المكان وممن يوثق به دفعه إليه، وأخذ خطه منه فإذا أعاده إليه دفع إليه خطه ولا يمكنه من التأخير مدة بعيدة يخشا منها حصول النسيان بل يتعهده بالسؤال وأخذ ما أخذه منه، فإذا طلب غيره أجابه لذلك وفعل كما فعل أولا، وإن كان الطالب من خارج المكان لا يعطيه شيئاً من ذلك ولا يمكنه من إخراج شيء إلى خارج المكان ويفعل الخازن في ذلك ما يفعله أمثاله من الخزنة من حفظ ذلك وحفظ ما يسلم إليه من حواصل الجامع أسوة أمثاله على العادة ويصرف له على ذلك في كل شهر من الفلوس المذكورة عشرون درهماً(٤٩).

وقد يشترط فيه أحياناً أن يكون منتمياً إلى مذهب محدد فيكون حنفياً أو شافعياً أو حنبلياً أو مالكياً، وورد ما يشير إلى ذلك في نص وقفية المدرسة الصرغتمشية حيث ذكر فيها أن على الناظر أن يعين على الوقف «شخصاً حنفي المذهب ثقة أميناً دينا يكون خازناً للكتب الختمات والربعات وغير ذلك بالمدرسة المذكورة...»(٥٠) وتجعل بعض الوثائق الوقفية مهمة الإشراف على المكتبة إلى مجموعة أشخاص، فقد جاء في وثيقة وقف مكتبة عارف حكمة أنه يعين لإدارتها أربعة أشخاص لحفظها على أن يكونوا من العلماء الصالحين ذوى الخصال الحميدة وممن يتميزون بالإستقامة وتكون مسؤوليتهم رعاية الكتب وحفظها حسب الشروط، وأن يقوموا بخدمتها قياماً تاماً بأنفسهم تناوباً الأول مع الثالث يوماً والثاني مع الرابع يوماً آخر، ويعمل معهم شخص خامس يشترط فيه أن يكون مستحقاً ومستعداً وفياً للخدمة ليعمل بمثابة بواب وفراش وسقا للمكتبة(٥١).

ومن تتبع أسماء أمناء المكتبات، الوقفية نجد أنه كان هناك حرص من قبل الواقف أو الناظر من بعده على إسناد وظيفة أمين المكتبة إلى شخصية علمية معروفة، ومن هنا فقد تولى هذا المنصب مجموعة من المشاهير نذكر من بينهم:

أبو صالح المؤذن أحمد بن عبدالملك النيسابوري المتوفى سنة ٣٨٨هـ وقد

وصف بـ «الحافظ الأمين الفقيه المفسر..» وبـ «الامام الحافظ المسند محدث خراسان»[٥٢] ويبدو أنه كان المسؤول عن كتب الوقف بالمدرسة البيهقية في نيسابور.

ومحمد بن نصر القيسراني المتوفى سنة ٥٤٨هـ والذي وصفه الذهبي بـ «سيد الشعراء»[٥٣] عمل خازناً للكتب في خزانة الكتب بحلب.

وكان أبو عبدالله الطليطلي وهو أحد أشهر علماء النحو في عصره يعمل مشرفاً على مكتبة دار العلم بطرابلس، وكان في تلك المكتبة عندما احتل الصليبيون طرابلس، فكان أن استخلصه والد أسامة بن منقذ مع يانس الناسخ الذي كان يعمل في نفس المكتبة[٥٤].

وأبو عبدالله محمد بن علي بن ياسر الأنصاري الجياني المتوفى سنة ٥٦٣هـ وكان عالماً محدثاً «سلمت إليه خزانة الكتب النورية»[٥٥] في حلب.

وتعاقب على منصب أمين المكتبة بالمدرسة النظامية أعلام مشاهير منهم:

يعقوب بن سليمان الاسفراييني، المتوفى سنة ٤٨٨هـ، وكان فقيهاً أصولياً نحوياً لغوياً له مؤلفات[٥٦].

وعين بعد وفاته محمد بن أحمد الأبيوردي المتوفى سنة ٥٠٧هـ، وهو شاعر وأديب له مؤلفات وأخبار[٥٧].

ثم علي بن أحمد بن بكرى المتوفى سنة ٥٧٥، وكان من أهل العلم[٥٨].

وكان من أمنائها في فترة تالية علاء الدين أبو الحارث أرسلان بن داود بن علي الأتراري، وكان فقيهاً أديباً درس بالنظامية وتولى خزانة الكتب فيها[٥٩].

وفخر الدين أبو محمد جعفر بن مكي بن علي بن سعيد البغدادي وهو من أرباب البلاغة والبيان[٦٠].

وعمل في مكتبة المدرسة المستنصرية أعلام منهم:

شمس الدين علي ابن الكتبي وكان أول خازن لها عند افتتاحها في سنة ٦٣١هـ[٦١].

وعبدالعزيز بن دلف بن أبي طالب البغدادي الشهر بأبي دلف «وكان عدلا ثقة إماماً صالحاً خيراً متعبداً له صدرة كبيرة وجلالة عجيبة وفيه نفع للناس»(٦٢) وكان قبل مجيئه إلى المستنصرية قد عمل خازناً لمكتبة مسجد الزيدى، ثم تولى خزانة كتب التربة السلجوقية(٦٣).

كما تولى خزانتها أحمد بن عبدالعزيز بن دلف(٦٤)، ويبدو أن ذلك كان بعد وفاة أبيه.

أما أهم من شغل منصب أمين مكتبة المدرسة المستنصرية فكانا كل من تاج الدين أبي طالب على بن أنجب بن عثمان البغدادي المعروف بابن الساعي وهو مؤرخ معروف توفى سنة ٦٧٤هـ(٦٥).

وابن الفوطي كمال الدين أبي الفضل عبدالرازق بن أحمد بن محمد المتوفى سنة ٧٢٣هـ الذي قال عنه الذهبي «العالم البارع المتفنن المحدث المفيد مؤرخ الآفاق فخر أهل العراق»(٦٦) ويحفل كتابه تلخيص مجمع الآداب بإشارات كثيرة حول عمله بهذه المكتبة ومن كان يتردد عليها وما كان يدور بينه وبينهم من نقاش وحوار، وكان قبل مجئه إلى مكتبة المستنصرية أميناً لمكتبة خزانة الرصد في مراغة(٦٧).

ومن أمناء المكتبات الذين عملوا في مكتبات وقفية وكانت لهم شهرة علمية:

فخر الدين أبو الربيع سليمان بن أحمد بن نقادة السلمي الأديب الكاتب الذي قدم إلى بغداد في سنة ٦٤٦هـ واستوطنها وتولى خزانة الكتب برباط المستجد(٦٨).

والحسين بن علي بن بشارة شرف الدين الشبلي المتوفى سنة ٧٣٧هـ وكان من فقهاء الحنفية ورجال الحديث، وكان خازناً للكتب بدار الحديث الأشرفية بدمشق(٦٩).

وصدر الدين ابن الأدمي المتوفى سنة ٨١٦هـ وكان قاضي القضاة بالقاهرة وعمل قبل ذلك في التدريس وتولى خزانة كتب الأشرفية(٧٠).

والحافظ ابن حجر العسقلاني شيخ الإسلام وقاضي القضاة المتوفى سنة ٨٥٢هـ، درس في مدارس كثيرة «وخزن الكتب بالمحمودية»[٧١].

وأبو عبدالله محمد بن إبراهيم الشمس المقدسي السيلى الحنبلي المتوفى حوالي ٦٨٠هـ، وكان إماماً في الفرائض والحساب والوصايا، وقد عمل خازناً لمكتبة المدرسة الضيائية[٧٢].

وعبيد بن محمد بن إبراهيم الزين اليماني الهيتي المتوفى سنة ٨٩٢هـ، وتميز في الفرائض وأم بمدرسة أم السلطان مع خزن كتبها[٣].

وخضر النوروزي القاهري المتوفى سنة ٨٩٥هـ، وكان من علماء الحنفية تولى خزانة الكتب بالصرغتمشية[٧٤].

ومصلح الدين موسى الأماسي، من علماء الدولة العثمانية، عاش في القرن العاشر، وكان حافظ الكتب في جامع السلطان بايزيد ببلدة أماسية ولهذا اشتهر بين الأنام بحافظ الكتب[٧٥].

ومن المشاهير الذين عملوا في مناصب ثانوية في المكتبات الوقفية:

فخر الدين أبو بكر محمد بن عبدالله بن محمد بن إبراهيم التفتازاني القاضي المدرس، عمل في خزانة الكتب بالمدرسة المستنصرية تحت اشراف ابن الفوطى[٧٦].

وياقوت المستعصمي، الخطاط المعروف الذي كان يعمل خازناً بالمستنصرية تحت اشراف ابن الفوطى أيضاً[٧٧].

والأسماء السابقة تدلل على خطورة هذا المنصب وأهميته، فجل من ذكرناهم هنا كانوا من العلماء الأعلام الذين كانت لديهم خبرة ودراية واسعة بالكتب من خلال اشتغالهم الدائم بالعلم.

ولم يكن هذا المنصب تشريفاً، بل كان يتطلب دقة في العمل ويقظة وقدرة على أدائه، مع مراعاة متطلبات المترددين على المكتبة من مختلف فئات المجتمع، وقد حمّلت وثائق وقف المكتبات الخازن أو أمين المكتبة مسؤوليات

حفظ المجموعة، وأناطت به تبعة وقوع أي تقصير يؤدي إلى خلل في بناء المجموعة.

ومن هنا وجدنا من الواقفين من ينص على ضرورة عزل خازن الكتب إن بدا منه أي تقصير أو خيانة في الكتب واستبداله بناظر آخر.

وجاء في وثيقة وقف محمد بك أبي الذهب الخاصة بالمسجد والمكتبة «أنه إذا ضاع شيء من الكتب الموقوفة المذكورة فيكون على من يكون خازناً بالكتب المذكورة القيام بنظيره من ماله وليس على جهة الوقف المذكور القيام بشيء من ذلك»[٧٨].

ولم تكن قضية الحرص على المجموعة وسلامتها من كل ما يؤدى إلى العبث بها مجرد كلام نظري، بل نجد في وثائق الوقف ما يؤكد على عمل جرد للمكتبة، فقد أكد عارف حكمة على أن «يجيء قاضي المدينة المنورة في شهر محرم مرة كل ثلاث سنوات ويجمع حفاظ المكتبة وخدامها ويعد الكتب الموقوفة فيها واحداً بعد واحد في مواجهتهم»[٧٩].

وكان بعض الواقفين والنظار يقومون بجرد المجموعة للتأكد من سلامتها بين فينة وأخرى بشكل فجائي، ومن ثم يتقرر مصير أمين المكتبة عقب النتيجة، فإما أن يستمر إذا كانت سليمة غير ناقصة، أو يعاقب إذا وجد أي خرم فيها، ولعل من الطريف أن ننقل هنا ما تم في مكتبة المدرسة المحمودية بشأن اثنين من أمنائها عقب جرد مجموعة المكتبة، ويروى هذه الحادثة السخاوي شمس الدين محمد بن عبدالرحمن في ترجمة عثمان فخر الدين البكري التلاوي ثم القاهري خازن الكتب بالمدرسة المحمودية بالموازيين من الشارع ظاهر القاهرة والمتوفى سنة ٨٢٩هـ فيقول إنه:

> استقر فيها بعد عزل السراج عمر أمام واقفها بتفريطه، ثم عزل هو أيضاً عنها بتفريطه، بعد أن عزر بالضرب بين يدى السلطان، واستقر عوضه شيخنا، وحكى قصته في حوادث سنة ست وعشرين من الثمانمائة، وأفاد أن الكتب التي بها من أنفس الكتب الموجودة الآن بالقاهرة، وهي من جمع البرهان ابن جماعة في طول عمره فاشتراها

محمود الأستادار من تركة ولده، ووقفها وشرط أن لا يخرج منها شيء من مدرسته، واستحفظ لها أمامه سراج الدين ثم انتقل ذلك لصاحب الترجمة بعد أن رفع على السراج أنه ضيع كثيراً منها، واختبرت فنقصت نحو مائة وثلاثين مجلدة، واستمر الفخر يباشرها بقوة وصرامة وجلادة وعدم التفات إلى رسالة لكبير أو صغير حتى أن أكابر الدولة وأركان المملكة كان الواحد منهم يحاوله على عارية واحدة، وربما بذلوا المال الجزيل فيصمم على الامتناع بحيث اشتهر ذلك، إلى أن رفع فيه شخص أنه يرتشي في السر فاختبرت الكتب وفهرست فنقصت العشر سواء لأنها كانت أربعة آلاف مجلدة فنقصت أربع مائة فألزم بقيمتها فقومت بأربعمائة دينار فباع فيها موجوده وداره، وتألم أكثر الناس له. قال شيخنا ولم يكن عتبه سوى كثرة الجنف على فقراء الطلبة وإكرام ذوي الجاه، وقال عنه حين أرخ وفاته من الإنباء إنه كان شديد الضبط لها، ثم حصل له من تسلط عليه بالخديعة إلى أن وقع في التفريط فذهب أكثر نفائس الكتب(٨٠).

وهذه الحادثة تدلل على أن العقوبة على الأمين المقصر، كانت قاسية فقد عزل الأمين الأول وهو السراج عمر في حين عوقب الأمين الثاني وهو عثمان فخر الدين البكرى بأن ضرب أمام السلطان وغرم بدفع قيمة ما ضاع من كتب فاضطر إلى بيع كتبه وداره. أما الذي تولى أمرها عقب السابقين فكان ابن حجر العسقلاني الذي يشير إليه السخاوي هنا بـ«شيخنا».

ونسب إلى محمد بن إبراهيم بن خلف الشمسي القمني القاهرة المتوفى سنة ٨٨٣هـ خازن كتب المؤيدية تفريط في بعض كتبها: «فطلبه الداودار الكبير قبل موته بيسير في حال انقطاعه وأقام ببابه موسما عليه أياماً حتى شفع فيه بعد جمع ما كان عوده كالمعذر بل المستحيل»(٨١).

التنظيم الداخلي للمكتبات الموقوفة :

وكانت الكتب داخل هذه المكتبات الوقفية ترتب بشكل يسهل استخدامها، إذ كان الترتيب على درجة من الدقة والنظام: فالوزير أحمد ابن الناقد راعه الترتيب الذي كانت عليه كتب مكتبة المستنصرية(٨٢)، وابن الفوطي يعجب من عدم

اهتمام قطب جهان الخالدى الزنجاني عندما دخل مكتبة المستنصرية فعاين تلك الكتب المنضدة «فاكتفى بالسؤال عن كتاب بعينه»[٨٣]، وكان التنظيم يتم حسب الموضوعات بحيث توضع كتب كل علم بجوار بعضها، ولكل مكتبة فهرس خاص بها ينم عن محتوياتها يستخدمه القاصد للتعرف على الكتب التي تضمها فيطلب ما يحتاج إليه، وهو أمر مؤكد إذ لا نستطيع أن نتخيل مكتبة بحجم مكتبة المدرسة الفاضلية التي كانت تضم مائة ألف مجلد يدخلها طالب علم فيبحث بنفسه بين أرففها وخزائنها عن عنوان يحتاجه لدراسة أو بحث.

ومن الإشارات الخاصة بوجود فهارس للمكتبات ما ذكره ابن الجوزى من أنه من خلال اطلاعه على ثبت الكتب الموقوفة في المدرسة النظامية وجد أنها تضم ستة آلاف مجلد[٨٤].

كما أن خزانة المحمودية التي اضطرب أمرها نتيجة سوء إدارة بعض المشرفين عليها فهرست أثناء عملية جردها لمحاسبة أحد أولئك المشرفين[٨٥].

وكان للمدرسة البشيرية في بغداد فهرس خاص، يشير إلى ذلك النص الذي أورده ابن الفوطى حيث يقول في معرض حديثه عن فخر الدين أبي اسحاق ابراهيم بن حسين بن عبدالله البغدادي الأديب «وهو الذي تولى كتابة فهرست المدرسة البشيرية على طريقة حسنة وذلك في سنة أربع عشرة وسبعمائة[٨٦]».

وإذا كنا لم نقف على نص يشير إلى طرق تنظيم المكتبات الوقفية بشكل صريح، فإن هناك نصاً يساعدنا على تلمس ذلك، فقد تحسر العماد الأصفهاني على ما حل بكتب القصر في القاهرة بعد دخول صلاح الدين الأيوبي إليها إذا عمد بهاء الدين قراقوش بإيعاز من بعض دلالي الكتب إلى اخراج الكتب من خزانتها.

> فاخرجت وهي أكثر من مائة ألف من أماكنها وغربت عن مساكنها وخربت أوكارها، وذهبت أنوارها، وشتت شملها فاخلط أدبيها بنجوميها، وشرعيها بمنطقيها، وطبيها بهندسيها، وتواريخها بتفاسيرها، ومجاهيلها بمشاهيرها...[٨٧].

وفي مكان آخر يقول بأن «خزائنها مشتملة على قريب من مائة وعشرين ألف مجلدة مؤبدة من العهد القديم مخلدة»[٨٨] وهي إشارة توحي بالوقف وتدفع بنا إلى الإعتقاد بأنها خزانة دار الحكمة التي أنشأها الحاكم.

وفي النص الأول إشارة واضحة إلى أن تلك المكتبة كانت منظمة حسب موضوعاتها بشكل دقيق، وأنها فقدت هذا التنظيم عندما أخرجت من أماكنها، ولنا أن نتصور أن كافة المكتبات الوقفية، خاصة الكبيرة منها كانت منظمة على هذا المنوال.

تنظيم الاستفادة من الكتب الوقفية :

تضمنت نصوص الوقف سواء كانت مثبتة على الكتب، أو مدونة في وثائق مستقلة، مجموعة من القواعد التي وضعت لتنظيم سبل الإستفادة منها، تتركز هذه القواعد في نقطتين هما:

١ ــ تحديد المستفيدين
٢ ــ تحديد طريقة الاستفادة.

فبالنسبة للنقطة الأولى نجد أن أكثر النصوص تشير إلى أن القصد من وراء الوقف إفادة كافة طلاب العلم، وعليه فإن لهم حق استخدام المادة الوقفية والإستفادة منها وفق الشروط التي وضعها الواقف، ومن التعابير التي يكثر ترددها.

وقف... على من ينتفع به من طلبة العلم ...
وقف على طلبة العلم بالمدرسة ...
وقف على من ينتفع به من المسلمين...
وقف على رباط ..

وورد في وثيقة وقف مكتبة شيخ الإسلام عارف حكمة بالمدينة أن «لا يمنع ولا يصرف أي شخص كان من مريدى الإستفادة بالمطالعة والاستكتاب والمقابلة، أو عن الانتفاع بالكتب بأى حال كان»

ولكن إلى جانب اتاحة الفرصة للإطلاع لكل راغب، فإن غالبية النصوص الوقفية حددت شروطاً ووضعت قواعد تنظم أمر استخدام الكتب، الهدف منها بالدرجة الأولى الحفاظ عليها من الضياع وحمايتها من العبث.

ولعل أهم شرط يتعلق بقضية الاستخدام هو الربط بين الكتب والمكان الذي وقفت فيه، إذ يجب أن يكون مقرها بشكل دائم وأبدي وحتى بالنسبة لنص لا يقيد الاستخدام فيقول أن الاستفادة من الكتاب الوقفي تكون «بسائر وجوه الانتفاع مطالعة ومراجعة وغيرهما» فإن ذلك يجب أن يتم في إطار المكان وضمن الوقت المحدد للاطلاع مع احتمال إتاحة المجال للإعارة المؤقتة.

ومن الواضح أن استخدام المكتبة يكون بوجه من الأوجه الثلاث الآتية:

١ ــ القراءة داخلها.
٢ ــ الاستعارة لقراءة بعض ما يحتاج إليه الفرد في مكان خارج المكتبة.
٣ ــ استنساخ كتاب أو مجموعة كتب يشعر ناسخها بأنها ذات قيمة علمية خاصة بالنسبة لمجال تخصصه.

وبالنسبة **للقراءة** فليس هناك أي خطر منه، وبالتالي لم تكن هناك شروط مقيدة له، فقد أجازت أغلب النصوص الوقفية ذلك، ونصت بأن للفرد الحق في القراءة والمطالعة والمراجعة والمقابلة.

أما بالنسبة **للاعارة الخارجية** فقد كان الأمر منها متفاوت بين الواقفين، وقد حظيت هذه المسألة بأكثر قدر من الخلاف، وبالتالي ناقش قضيتها جملة من الدارسين لتاريخ المكتبات في الإسلام إضافة إلى أن هناك عشرات النصوص الوقفية التي تقدم مادة توضح الموقف المتباين للواقفين حول هذه المسألة، فقد نص بعض الفضلاء والصلحاء الذين أنشأوا مكتباتهم في وقفياتهم على منع الإعارة الخارجية منعاً باتاً مثل القاضي ابن حيان الذي أنشأ في مدينة نيسابور دار العلم وألحق بها خزانة كتب ومساكن للطلاب الغرباء الذين يفدون لطلب العلم وأجرى لهم الأرزاق، ولكنه اشترط عدم إعارة الكتب إعارة خارجية وإنما يقتصر استعمالها على مبنى الخزانة(٨٩).

ونصت وقفية الابشادى على منع اخراج الكتب من الجامع الأزهر بأي وسيلة كانت، مع زيادة في الحرص على الكتب فاشترط الواقف أن يقوم الخازن بكتابة أسماء طالبي الكتب داخل المكتبة على أن يمسح الاسم بعد اعادة الكتاب(٩٠).

واشترطت وثيقة السلطان الغوري على أن من يطلب كتاباً، يدفع له لينتفع به في المدرسة «ولا يمكنه من الخروج من المدرسة، ولو دفع إليه شيئاً يساوي أضعاف قيمته فإذا انتفع كل منهم بما طلبه في نسخ منه أو مطالعة فيه أو مقابلة عليه بالمدرسة، رده الخازن إلى الخزانة»(٩١).

وحددت حجة وقف جامع السلطان فرج برقوق عمل خازن المكتبة، ومما أشارت إليه أنه من «حضر إليه يطلب شيئاً من ذلك فإن كان أهلاً لمطالعة ذلك والاشتغال به، وكان من أهل المكان وممن يوثق به دفعه إليه وأخذ خطه منه فإذا أعاده إليه دفع إليه خطه ولا يمكنه من التأخير مدة بعيدة يخشى منها حصول النسيان بل يتعهد بالسؤال»(٩٢) أما إذا كان الطالب من خارج المكان «لا يعطيه شيئاً من ذلك ولا يمكنه من اخراج شيء إلى خارج المكان»(٩٣).

وقد تشدد بعض الواقفين في منع اعارة الكتاب الوقفى، وكانت الاشارة إلى ذلك بالنص على منع رهنه، كما هو في نص وقفية الصادي الذي ورد فيها قوله: «لا يوهب ولا يباع ولا يرهن»(٩٤).

واشترط مصطفى المأذون في وقفيته ألا يخرج الكتاب من الخزانة(٩٥).

وشدد عارف حكمة على منع إخراج الكتب من المكتبة لا عن طريق الاستنساخ ولا عن طريق الإعارة، وأن يقتصر الانتفاع من الكتاب داخل المكتبة(٩٦).

ومنع الألوسي أيضاً إعارة الكتب التي وقفها في المدرسة المرجانية حيث أشار إلى أن جميع ما وقفه لا يخرج عن المدرسة(٩٧).

ومن أغرب الشروط التي وضعت من قبل بعض الواقفين ما شرطه تقي الدين الفاسي بألاتعار الكتب التي وقفها لأى شخص مكي، وقد تعدى المنع من قبل الناظر فيما بعد فشمل غيرهم خوفاً منهم وهو الأمر الذي أدى إلى ضياع أكثرها(٩٨).

وفي مقابل الاتجاه المتشدد السابق، كانت هناك فئة متساهلة أجازت الإعارة، بعضها دون قيد أو شرط والآخر بموجب شروط محددة.

فعندما وقف ابن خلدون نسخة من تاريخه العبر في خزانة جامع القيروان أجاز إعارته، ولكنه اشترط أن يكون المستفيد ذا سمعة جيدة أميناً، وأن يدفع رهنا مناسباً وأن يرد الكتاب في مدة لا تزيد على شهرين[٩٩].

ومن الواقفين من سمح لطلبة العلم من أهل الخانقاه استعارة الكتب لمدة شهر على الأكثر، ومكنهم من أخذها إلى مساكنهم داخل الخانقاه، ولكنه منع إخراجها إلى أي مكان آخر[١٠٠].

ومنهم من أجاز إعارة الكتاب وأخذه، ولكن لثقة، أو برهن، وقد ورد ما ينص على ذلك في وقفية كتاب نفحات الصفا، والذي كان من بين ما وقفه أبو الأنوار محمد بن وفاء[١٠١].

كما أجاز محمد بن أحمد إعارة كتاب نفحات الأنس الذي وقفه، لمن يرغب وشرط أن يكون ذلك برهن وكفيل[١٠٢].

ومنهم من أباح الاعارة دون قيد أو شرط كما فعل سعيد وجيه باقديم ونص على ذلك في وقفيته المدونة على كتاب جمع الجوامع[١٠٣].

وشكلت مسألة إباحة الإعارة أو منعها قضية بالنسبة لقراء القرون الماضية الذين كانوا يترددون على المكتبات الوقفية، ولكل وجهة نظره التي يدافع عنها، وقد درس هذه القضية جلال الدين السيوطي بتفصيل وإسهاب في رسالة جعل عنوانها (بذل المجهود في خزانة محمود)، كتبها سنة ٨٦٧ هـ نثبت نصها فيما يأتي:

> وقف محمود الاستادار كتبا، وجعل مقرها بمدرسته، وشرط ألا تخرج من المدرسة. وقد رأيت شيخنا شيخ الإسلام علم الدين البلقيني، وشيخنا شيخ الإسلام شرف الدين المناوي، يستعيران منها ويخرجان منها الكتب إلى منزلهما، وتمكث عندهما الأيام الكثيرة، وهما الإمامان يقتدى بهما. فإنهما كانا من الفقه بالمحل الأعلى، بحيث بلغا رتبة الاجتهاد في المذهب، وكان المناوى صوفيا له أحوال وكرامات، فلولا رأيا ذلك جائزاً ما فعلاه، فإن قيل ما وجه الجواز مع مخالفته لشرط الواقف؟ قلت له أربعة أوجه، وجهان ضعيفان، ووجه حسن ووجه قوى صحيح.

الوجه الأول: أن هذا الشرط باطل جنح إليه بعضهم، لكن رده السبكي وقال: إنه شرط صحيح، لأن للواقف فيه غرضاً صحيحاً لأن إخراجها مظنة ضياعها.

الوجه الثاني: أن يحمل قول الواقف: لا يخرج منه على نقلها من مقرها بالمدرسة، إلى محل يجعل مقرها فيه، فيمتنع، وإن رأى الناظر ذلك لا لأن الاخراج لمستعير ينتفع به ثم يعيده، وهذا التأويل وإن كان بعيداً، إلا أنه قد يقربه أن عبارة الواقف وشرطه أن لا يخرج ذلك ولا شيء منه من المدرسة المذكورة، فجعل نفي الإخراج، منصباً أولا على مجموع الكتب فهذا يقرب أن المراد بالإخراج نقل الكتب بأسرها من هذا المقر إلى مقر آخر، لا الاخراج لمستعير، فإنه لم تجر العادة في الخزائن، بإعارة جميع ما فيها دفعة واحدة، وبالجملة فهذا الوجه، والذي قبله ضعيفان.

الوجه الثالث: أن بعض الأئمة، جوز مخالفة شرط الواقف إذا اقتضت المصلحة ذلك، ويعزى هذا المذهب إلى الإمام أحمد، فإن كان هو المشهور عندهم، فهو وجه حسن يصلح الإستناد إليه.

الوجه الرابع: وهو القوى، أن من قواعد الشرع، أنه يجوز أن يستنبط من النص معنى يخصصه، وذلك معلوم. فإذا كان هذا في نص الشارع، ففي نص الواقف أولى، فيقال: إن مقصود الواقف تمام النفع وتمام الحفظ. فإذا وجد من يحتاج إلى الانتفاع بها في تصنيف، وذلك لا يمكنه على الاوجه الاتم في المدرسة، ووثق بتمام حفظه وصونه، جاز الاخراج له ويستثنى من المنع، ويخص عموم لفظ الواقف بهذا المعنى المستنبط، كما خصص عموم قوله تعالى: (أو لامستم النساء) واستثنى منه المحارم بالمعنى المستنبط، وهو الشهوة ولا دليل لا ستثناء المحارم من آية أو حديث، سوى هذا الاستنباط، فكذلك هذا، وقد ذكر الحافظ عماد الدين بن كثير في تاريخه:

أن في بعض السنين ببغداد، منع معلموا الأطفال من تعليمهم في

المساجد، إلا رجلاً واحداً كان موصوفاً بالخير، فاستثنوه من المنع، وأنهم استفتوا الماوردي صاحب الحاوى من أئمتنا، والقدورى من أئمة الحنيفة وغيرهما، فأفتوا باستثنائه، واستدلوا بأنه ﷺ أمر بسد كل خوخة في المسجد، إلا خوخة أبي بكر، وقاسوا استثناءهم هذا الرجل، على استثناء خوخة أبي بكر وهذا استنباط دقيق، لا يدركه إلا الأئمة المجتهدون كالماوردي والقدوري ونحوهما، وقد استندت إلى قولهم هذا قديماً حين استفتيت في أبنية القرافة فأفتيت بهدمها، كما هو المنقول، إلا مشاهد الصالحين، فاستندت في هذا الاستثناء إلى ما صنع الماوردي والقدوري، ثم إن هنا أمرين لابد من التنبيه عليهما.

أحدهما: أنه ينبغي ألا يستعار من هذه الخزانة، إلا ما لا يتيسر وجوده في غيرها.

والثاني: أنه لا يمكث عند المستعير إلا بقدر ما يقضي حاجته منه في العادة.

ومدرك الأمرين، أن ما جاز للضرورة يتقدر بقدرها[١٠٤].

ويدل موقف السيوطي هنا على وعي وفهم واقعي، فهو لم يطلق الإستعارة من هذه المكتبة، وفي نفس الوقت لم يمنعها، ولعله بني موقفه هذا على نفاسه مجموعة المكتبة، وبالتالي إمكان ضياع ما تحتويه في حال الإطلاق، فأجاز ذلك بشرط أن يكون مايستعار منها غير متوفر في غيرها، وأن لا يمكث عند المستعير إلا بقدر ما يقضي حاجته منه في العادة. وقد وفق السيوطي في رفضه للوجه الثاني الذي ذهب أهله إلى القول بأن منع النقل يعني نقل أو إعارة المجموعة بأكملها. إذ أن هناك مئات النصوص الوقفية المثبتة على مخطوطات بعينها نصت صراحة على منع الإعارة والإخراج من المكان للكتاب الذي يحمل النص.

أما فيما يتعلق بنسخ ما قد يحتاج إليه الفرد من كتب وقفية إذا واجه صعوبة في مطالعتها داخل المكتبة، ولا تسمح أنظمتها بإعارتها له، فإن الغالب هنا، الإباحة وإن كان هناك من منع نسخ الكتب من مكتبته كما فعل عارف حكمة عندما نص في وقفيته على منع الاستنساخ منها[١٠٥]، في حين سمح بها ملا على القارىء عندما وقف مجموعة مصنفاته التي بلغت ثلاثمائة كتاب[١٠٦].

ويبدو أن هذه المسألة قد أثيرت في القرن الثامن الهجري على الأقل فناقشها أحد العلماء قائلاً:

فإن كان الكتاب وقفاً على من ينتفع به غير معين فلا بأس بالنسخ منه مع الاحتياط ولا بإصلاحه ممن هو أهل لذلك، وحسن أن يستأذن الناظر فيه، وإذا نسخ منه بإذن صاحبه أو ناظره فلا يكتب منه والقرطاس في بطنه أو على كتابته، ولا يضع المحبرة عليه ولا يمر بالقلم المحدود فوق كتابته(١٠٧).

ورغم اجازته لذلك إلا أنه قيد الأمر بالاحتياط والمحافظة على الكتاب من أي شيء يسيء إليه، كما أنه يستحسن استئذان الناظر قبل الشروع في النسخ.

مواعيد فتح المكتبات :

من المؤكد أن دور الكتب العامة ومكتبات المدارس والمساجد الكبيرة كانت تفتح أبوابها للرواد طوال أيام الأسبوع صباحاً ومساء، والأخبار التي تروى عن النقاشات التي كانت تدور في تلك المكتبات توحي بأنها لم تكن تغلق في وقت محدد، ولكن حسبما تمليه ظروف اليوم، وبما أن الخازن أو أمين المكتبة كان هو نفسه من العلماء، فإن بقاءه في المكتبة كان شبه دائم ليقرأ ويبحث، وبالتالي فإن الفرصة كانت متاحة لغيره من الرواد للبقاء طوال فترة بقائه داخل المكتبة، ولكن لنا أن نذهب إلى أن استغلال المكتبة كان في فترات ما قبل الغروب بشكل عام، وهي الفترة التي حددتها وقفية مكتبة عارف حكمة، عندما أشير فيها إلى أن تفتح المكتبة كل يوم بعد طلوع الشمس بساعة واحدة حتى قبيل ساعة من الغروب ولو لم يجيء أي فرد إليها(١٠٨).

التنظيم المالي للمكتبات الوقفية :

راعى كافة المسهمين في وقف المكتبات إيجاد ما يكفل لوقفهم الاستمرار في تقديم الخدمات للمستفدين منه بشكل دائم، ومن هنا وقف كل منهم أوقافا دارة تتمثل في منازل وحوانيت وبساتين وخلافها تؤجر ويستغل ريعها في الصرف والانفاق على شؤون المكتبة.

ونجد ما يدل على ذلك منذ وقفية الحاكم بأمر الله إذ خصص جانباً من أوقافه ليصرف من ريعها على دار الحكمة، وكانت أوقاف مكتبة عارف حكمة في استانبول تدر دخلاً سنوياً يصل إلى خمسة عشر ألف جنيه ذهبي عثماني، كما وقف لها خمسة منازل في المدينة المنورة[١٠٩].

وكان الريع يصرف على أوجه منها.

١ ــ صيانة وترميم بناء المكتبة والكتب،وقد أشير إلى ذلك في وقفية دار الحكمة، وفي وقفية مكتبة عارف حكمة التي ورد النص فيها على أن «تعمر وتجدد المكتبة المذكورة لدى الحاجة برأى المتولى من وقفي.. تعمر وتجدد الكتب الممزقة، والرسائل المقطعة، وإن مست الحاجة إلى الترميم والتجليد والتخييط حسب الاقتضاء، من غلات وقفي المذكور..»[١١٠].

٢ ــ تخصيص راتب شهري لأمين المكتبة والعاملين فيها فقد ورد في وقفية المستنصرية بأن يكون:

«لخازن الخزانة في كل يوم عشرة أرطال خبزا وأربعة أرطال لحما بحوائجها وخضرها وحطبها، وفي كل شهر ثلاثة دنانير وأن يكون للمناول بهذه الخزانة في كل يوم أربعة أرطال خبزاً أو عرق طبيخا وفي كل شهر ديناران»[١١١].

كما ورد في وقفية عارف حكمة بأن :

يعطى من غلة الوقف عشرة ريالات فرنسية للحافظ الأول، وثمانية ريالات للحافظ الثاني، وسبعة ريالات للثالث، وستة ريالات للرابع في كل شهر، نظراً لكثرة اشتغالهم على المنوال المشروح بالتلاوة والقراءة، وبحفظ الكتب من آثار الغبار والرطوبة بدقة تامة ووفاء لأجور أمثالهم وكفاية لرفاههم ومعاشهم، وهذه كلها بشرط مراعاتهم للشروط المحررة، ويعطى كل منهم عند دخول شهر رمضان شهر الغفران اثنى عشر ريالاً فرنسية عيناً، أجرة القدم[١١٢].

وتظهر وثائق الوقف المملوكية تفاوت مرتبات أمناء المكتبات وفقاً للعمل الموكل إلى كل واحد منهم، إضافة إلى مركزه وسمعته، وتبعاً لمقدار ريع الوقف السنوي، وقد استخلص أحد الباحثين من وثائق الوقف بياناً بالمرتب الشهرى لأمناء بعض

مكتبات المدارس المملوكية على النحو التالي:

١ ــ أمين مكتبة السلطان المنصور بن قلاوون ٤٠ درهم
٢ ــ أمين مكتبة السلطان محمد بن قلاوون ٣٠ درهم
٣ ــ أمين مكتبة الأمير صرغتمش ٥٠ درهم
٤ ــ أمين مكتبة السلطان حسن بن قلاوون ١٠ دراهم
٥ ــ أمين مكتبة السلطان فرج بن برقوق ٢٠ درهم
٦ ــ أمين مكتبة الأمير جمال الدين الأستادار ١٠ دراهم من الفلوس الجدد
٧ ــ أمين مكتبة السلطان برسباى الدقماق ٣٠٠ درهم + ثلاثة أرطال من الخبز في اليوم
٨ ــ أمين مكتبة السلطان قايتباى المحمودي ٢٠٠ درهم + رطلان من الخبز في اليوم
٩ ــ أمين مكتبة أزبك من ططخ ٣٠٠ درهم
١٠ ــ أمين مكتبة السلطان قانصوه الغوري ١٥٠٠ درهم (وهذا المرتب للأمين والفراش)
١١ ــ أمين مكتبة الأمير قاني باى قرا الرماح ١٦ درهم
١٢ ــ أمين مكتبة الشيخ على الابشادى المالكي ٥ أنصاف فضة[١١٣].

وقد خلف الواقفون أملاكاً وعيناً تكفي لسد حاجة المكتبة المادية من كل جوانبها، غير أنه أسيء استغلالها فيما يبدو مما أدى إلى تقلص قيمة المكتبات الوقفية مع مرور السنين، وسقوطها في شراك الاهمال والنسيان، فاندثرت مئات منها وأصبحت نهباً للناهبين وتجارة للمستغلين، فذهب تراث ضخم، وقضي على سنة رائدة في تاريخ الفكر الإنساني بدأها العرب والمسلمون يوم كان الجهل والتوحش سمة شعوب كثيرة على المعمورة.

وفي ظني أن حصر أوقاف المكتبات، ومحاولة الاستفادة مما يمكن أن يتوصل إليه منها سوف يعين على تشييد وإقامة عشرات منها في أرجاء الوطن العربي، وذلك عن طريق حسن استغلال ريعها والانفاق منه على هذا المجال.

الهوامش

١ ــ السباعي، محمد مكي

Sibai, Mohamed Makki/ An Historical Investigation of Mosque libraries in Islamic life and culture.- Ph. D.- Bloomengton: school of library and Informtian science, Indiana university, 1984, P 25.

٢ ــ انظر ص ٦٥ من هذا البحث.

٣ ــ المقرى، أحمد بن محمد (ت ١٠٤١هـ)/ **نفخ الطيب من غصن الأندلس الرطيب** تحقيق إحسان عباس. ــ بيروت: دار صادر، دار بيروت، ١٣٨٨هـ ــ ١٩٦٨م، ١٠٣/٧ ــ ١٠٥.

٤ ــ السابق، ١٠٥/٧ ــ ١٠٦.

٥ ــ أنظر اللوحة رقم (٤) في الملحق.

٦ ــ اللوحة رقم (٥) في الملحق.

٧ ــ اللوحة رقم (٦) في الملحق.

٨ ــ اللوحة رقم (٧) في الملحق.

٩ ــ اللوحة رقم (٨) في الملحق.

١٠ــ اللوحة رقم (٩) في الملحق.

١١ــ اللوحة رقم (١٠) في الملحق.

١٢ــ اللوحة رقم (١١) في الملحق.

١٣ــ اللوحة رقم (١٢) في الملحق.

١٤ــ اللوحة رقم (١٣) في الملحق.

١٥ــ اللوحة رقم (١٤) في الملحق.

١٦ــ نسخة المكتبة الأزهرية بالقاهرة (١٩ ــ فقه حنبلي ــ ٥٤٠٢) أورد خير الدين الزركلي صورة لصفحة العنوان وعليه الوقفية في القسم الأول من الجزء الحادى عشر من **الاعلام قاموس تراجم الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين** .ــ ط٣ ــ بيروت: المؤلف، ١٣٨٩هـ. اللوحة ٧٢.

١٧ــ اللوحة رقم (١٥) في الملحق.

١٨ــ اللوحة رقم (١٦) في الملحق.
١٩ــ اللوحة رقم (١٧) في الملحق.
٢٠ــ اللوحة رقم (١٨) في الملحق.
٢١ــ اللوحة رقم (١٩) في الملحق.
٢٢ــ اللوحة رقم (٢٠) في الملحق.
٢٣ــ أنظر النص في ص ص ٤١ ــ ٤٢ من هذا البحث.
٢٤ــ أمين، محمد/ **الأوقاف والحياة الاجتماعية في مصر ٦٤٨ ــ ٩٢٣هـ = ١٢٥٠ ــ ١٥١٧م: دراسة تاريخية وثائقية.** ــ القاهرة: دار النهضة العربية، ١٩٨٠م، ص ص ٢٥٦ ــ ٢٥٨.
٢٥ــ ابراهيم، عبداللطيف «مكتبة عثمانية: دراسة نقدية ونشر لرصيد المكتبة» **مجلة كلية الآداب بجامعة القاهرة،** مج ٢ ج ٢ (ديسمبر ١٩٥٨م) ص٢.
٢٦ــ السابق، ص ١٩.
٢٧ــ السابق، ص ٣٥.
٢٨ــ أنظر ص ص ٩١ ــ ٩٢ من هذا البحث.
٢٩ــ آل زلفه، محمد بن عبدالله «مخطوطات آل الحفظي بين الضياع والحفظ» **عالم الكتب** مج ٧، ع ٣ (محرم ١٤٠٧هـ ــ سبتمبر ١٩٨٦م) ص ص ٣٠٣ ــ ٣٠٤ وأنظر اللوحة رقم (٢١) في الملحق.
٣٠ــ اللوحة رقم (٢٢) في الملحق.
٣١ــ التونسي، حمادي علي/ **المكتبات العامة بالمدينة المنورة ماضيها وحاضرها.** ــ رسالة ماجستير باشراف عباس طاشكندى .ــ جدة: قسم المكتبات والمعلومات بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة الملك عبدالعزيز، ١٤٠١هـ ــ ١٩٨١م، ص ٢١.
٣٢ــ وجد الختم على نسخة مخطوطة من شرح المفتاح للتفتازاني اللوحة رقم (٢٣) في الملحق.
٣٣ــ اللوحة رقم (٢٤) في الملحق.
٣٤ــ اللوحة رقم (٢٥) في الملحق.
٣٥ــ اللوحة رقم (٢٦) في الملحق.

٣٦ــ **الضوء اللامع لأهل القرن التاسع** .ــ بيروت: دار مكتبة الحياة، د. ت، ١٣٩/٥.

٣٧ــ القفطى، جمال الدين أبو الحسين علي بن يوسف (ت ٦٤٦) / **تاريخ الحكماء وهو مختصر الزوزني المسمى بالمنتخبات الملتقطات من أخبار العلماء بأخبار الحكماء** .ــ بغداد: مكتبة المثنى، د.ت (أوفست عن طبعة ليبزج عام ١٩٠٣م) ص ص٣٦٩ ــ ٣٧٠.

٣٨ــ الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت ٧٤٨هـ) / **سير أعلام النبلاء** تحقيق شعيب الأرنؤوط. ــ بيروت مؤسسة الرسالة، ١٤٠٣هـ ــ ١٩٨٣م، ١٥٧/٢٣.

٣٩ــ ابن النجار البغدادي، محب الدين أبو عبدالله محمد بن محمود (ت ٦٤٣هـ)/ **ذيل تاريخ بغداد** صحح بمشاركة قيصر فرح .ــ بيروت دار الكتاب العربي. ١٤٠٢هـ ــ ١٩٨٢م، ١٥٨/٣ ــ ١٥٩ (مج ١٧ من مجموعة تاريخ بغداد).

٤٠ــ ابن الفوطي، كمال الدين أبو الفضل عبدالرازق (ت ٧٢٣هـ) / **تلخيص مجمع الآداب في معجم الألقاب**، الجزء الرابع تحقيق مصطفى جواد .ــ دمشق: وزارة الثقافة والارشاد القومي، ١٩٦٢م، ١٤٩/٣.

٤١ــ ابن الديبع الشيباني، عبدالرحمن بن علي (ت ٩٤٤هـ) / **الفضل المزيد على بغية المستفيد في أخبار زبيد** تحقيق محمد عيسى صالحية .ــ الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ١٤٠٢هـ ــ ١٩٨٢م ص ص ٩٥ ــ ٩٦.

٤٢ــ ياقوت، ياقوت بن عبدالله الحموى (ت ٦٢٦هـ)/ **معجم الأدباء** راجعته لجنة من وزارة المعارف العمومية .ــ القاهرة: دار المأمون، ٢١٥/١٨ــ٢١٦.

٤٣ــ المقريزى، تقى الدين أبو العباس أحمد بن علي (ت ٨٤٥هـ)/ **كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقريزية** .ــ طبعة جديدة بالأوفست .ــ بيروت: دار صادر، دار بيروت، د.ت، ٤٠١/٢.

٤٤ــ السابق، ٣٦٦/٢.

٤٥ــ الألوسي، شهاب الدين أبو الثناء محمود بن عبدالله (ت ١٢٧٠هـ)/ **عارف حكمة حياته ومآثره أو «شهى النغم في ترجمة شيخ الإسلام عارف الحكم»** تحقيق محمد العيد الخطراوى .ــ المدينة المنورة: مكتبة التراث، ١٤٠٣هـ ــ ١٩٨٣م، مقدمه المحقق، ص ٣٨.

٤٦ــ ابراهيم، عبداللطيف «مكتبة عثمانية» ص ١٠.

٤٧ــ المقرى، ٧ / ١٠٣.

٤٨ــ أمين، ص ٢٥٦. قال تاج الدين عبدالوهاب السبكى (ت ٧٧١) وهو يتحدث عن واجبات خازن الكتب في المثال السابع والخمسين:

وحق عليه الاحتفاظ بها، وترميم شعثها، وحبكها عند احتياجها للحبك، والضنة بها على من ليس من أهلها، وبذلها للمحتاج إليها وأن يقدم في العارية الفقراء الذين يصعب عليهم تحصيل الكتب على الأغنياء، وكثيراً ما يشترط الواقف ألا يخرج الكتاب الا برهن يحرز قيمته، وهو شرط صحيح مقيد، فليس للخازن أن يعير الا برهن، صرح به القفال في الفتاوي، والشيخ الإمام في تكملة شرح المهذب، وذكر أنه ليس هو الرهن الشرعي.

(**معيد النعم ومبيد النقم** .ــ بيروت: مؤسسة الكتب الثقافية، ١٤٠٧هـ ــ ١٩٨٦م، ص ص٨٧ ــ ٨٨).

٤٩ــ مصطفى، صالح لمعي/ **الوثائق والعمارة دراسة في العمارة الإسلامية في العصر المملوكي، الجامع الأبيض بالحوش السلطاني بقلعة القاهرة. ــ** القاهرة: دار النهضة العربية د.ت ، ص٢٥.

٥٠ــ ابراهيم، عبداللطيف «من الوثائق العربية في العصور الوسطى: نصان جديدان من وثيقة الأمير صرغتمش» **مجلة كلية الآداب** بجامعة القاهرة، مج ٢٨، ج١ ــ ٢ (مايو / ديسمبر ١٩٦٦م) ص ١٥٢.

٥١ــ الألوسي، مقدمة المحقق، ص ص ٣٤ ــ ٣٦.

٥٢ــ ياقوت ....، **معجم الأدباء** ٣/٢٢٤. والذهبي ....، **سير أعلام** ١٨/٤١٩.

٥٣ــ **سير أعلام** ....، ٢/٢٢٤.

٥٤ــ ابن منقذ، أسامة بن مرشد الكناني الشيزرى (ت ٥٨٤هـ)/ **كتاب**

الاعتبار تحقيق فيليب حتى .ـــ برنستن: مطبعة جامعة برنستن، ١٩٣٠م، ص٢٠٨.

٥٥ـــ المقرى، ١٥٧/٢.

٥٦ـــ الأسنوى، جمال الدين عبدالرحيم (ت ٧٧٢هـ)/ **طبقات الشافعية** تحقيق عبدالله الجبورى .ـــ الرياض: دار العلوم، ١٤٠١هـ ـــ ١٩٨١م، ٩٦/١.

٥٧ـــ ياقوت...، **معجم الأدباء**، ٢٣٧/١٧.

٥٨ـــ السابق، ٢٧٤/١٢.

٥٩ـــ ابن الفوطى ٩٩٧/٢ ـــ ٩٩٨.

٦٠ـــ السابق، ١٤١/٣.

٦١ـــ معروف، ناجي/ **تاريخ علماء المستنصرية** .ـــ بغداد: المؤلف (ساعدت جامعة بغداد على طبعه) ١٣٨٤هـ ـــ ١٩٦٥م، ٦٩/٢.

٦٢ـــ الذهبي...، **سير أعلام**...، ٤٥/٢٣.

٦٣ـــ معروف، ٧٠/٢.

٦٤ـــ السابق، ٧٤.

٦٥ـــ **تذكرة الحفاظ** .ـــ ط٤ .ـــ بيروت: دار احياء التراث العربي (أوفست عن نسخة دائرة المعارف العثمانية في حيدر أباد الدكن سنة ١٣٥٧هـ)، ١٤٦٩/٤.

٦٦ـــ السابق، ١٤٩٣/٤.

٦٧ـــ السابق، ١٤٩٣/٤.

٦٨ـــ ابن الفوطى ١٧٧/٣ ـــ ١٧٨.

٦٩ـــ التميمي الدارى تقي الدين بن عبدالقادر الغزى (ت ١٠٠٥هـ)/ **الطبقات السنية في تراجم الحنفية** تحقيق عبدالفتاح محمد الحلو .ـــ الرياض: دار الرفاعي، ١٤٠٣هـ ـــ ١٩٨٣م، ١٥٠/٣.

٧٠ـــ النعيمي الدمشقي، عبدالقادر بن محمد (٩٢٧هـ)/ **الدارس في تاريخ المدارس** تحقيق جعفر الحسني .ـــ دمشق: المجمع العلمي العربي، ١٣٦٧هـ ـــ ١٩٤٨م، ٥٠٦/١.

٧١ـــ السخاوي، شمس الدين محمد بن عبدالرحمن (ت ٩٠٢)/ **الذيل على رفع الأصر أو بغية العلماء والرواة** تحقيق جودة هلال ومحمد محمود

صبيح .ـ القاهرة: الدار المصرية للتأليف والترجمة، د.ت، ص٨٥.

٧٢ـ السخاوي...، **الضوء اللامع**..، ٦/٢٨٣.

٧٣ـ السابق، ٥/١٢٢.

٧٤ـ التميمي الدارى، ٣/٢٠٣.

٧٥ـ طاشكبرى زاده، أحمد بن مصطفى بن خليل (ت ٩٦٨هـ) / **الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية**.ـ بيروت، دار الكتاب العربي، ١٣٩٥هـ ـ ١٩٧٥م، ص ٢٥٢.

٧٦ـ ابن الفوطى ٣/٣٣٣.

٧٧ـ السابق ٤/٨٣٢.

٧٨ـ ابراهيم، «مكتبة عثمانية ...» ص ٣٥.

٧٩ـ الألوسي، مقدمة المحقق ص ٣٦.

٨٠ـ السخاوي ...، **الضوء اللامع**، ٥/١٤٣ـ١٤٤.

٨١ـ السابق ٦/١٥٢.

٨٢ـ الأشرف الغساني، عماد الدين أبو العباس بن رسول (ت ٨٠٣هـ)/ **العسجد المسبوك والجوهر المحكوك في طبقات الخلفاء والملوك** تحقيق شاكر محمود عبدالمنعم .ـ بيروت: دار التراث العربي، ١٣٩٥هـ ـ ١٩٧٥م ص ٤٥٨.

٨٣ـ ابن الفوطى، ٤/٦٣٤.

٨٤ـ حمادة، محمد ماهر/ **المكتبات في الإسلام نشأتها وتطورها ومصائرها**. ـ ط٢ .ـ بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٣٩٨هـ ـ ١٩٧٨م، ص ١٣٨.

٨٥ـ السخاوى...، **الضوء اللامع**، ٥/١٤٤.

٨٦ـ **تلخيص مجمع الآداب** ...، ٣/٥٧.

٨٧ـ البنداري، قوام الدين الفتح بن على (ت بعد ٦٢٣هـ)/ **سنا البرق الشامى** (وهو مختصر البرق الشامي للعماد الأصبهاني) تحقيق رمضان ششن .ـ بيروت: دار الكتاب الجديد، ١٩٧١م، ١/٢٣٤ـ٢٣٥.

٨٨ـ السابق، ١/١١٣.

٨٩ـ حمادة، ص ١٦١.

٩٠ـ أمين، ص ٢٥٧.

٩١ـ السابق، ص ٢٥٧.

٩٢ــ مصطفي، ص ٢٩.
٩٣ــ السابق، ص ٢٩.
٩٤ــ اللوحة رقم (٢٧) في الملحق.
٩٥ــ اللوحة رقم (٢٨) في الملحق.
٩٦ــ الألوسي، مقدمة المحقق، ص ٣٤.
٩٧ــ الجبوري، ص ٥٦.
٩٨ــ السخاوى...، **الضوء اللامع**، ١٩/٧.
٩٩ــ حمادة، ص ١٦١.
١٠٠ــ أمين، ص ٢٥٧. وأجاز أبو الحسن علي باشا باي تونس في وقفية له مؤرخة بعام ١١٥٤هـ بأن تعار الكتب للمدرس وأن يخرجها معه إلى الدار التي يسكن فيها أمام المدرسة. أنظر اللوحة رقم (٣١) في الملحق.
١٠١ــ أنظر اللوحة رقم (٢٩) في الملحق، وقد أجاز بعضهم إعارة الكتاب واخراجه من المكتبة برهن يساوى ضعف قيمته كما ورد في نص وقفية أحمد حازم. انظر اللوحة رقم (١٣).
١٠٢ــ أنظر اللوحة رقم (٣٠).
١٠٣ــ اللوحة رقم (١٢) في الملحق.
١٠٤ــ سيد، فؤاد «نصان قديمان في إعارة الكتب» **مجلة معهد المخطوطات العربية مج** ٤ ج١ (مايو ١٩٥٨م ــ شوال ١٣٧٧هـ) ص ص ١٣٤ ــ ١٣٦.
١٠٥ــ التونسي، ص ١٨.
١٠٦ــ مرداد، عبدالله أبو الخير (ت١٣٤٣هـ) **المختصر من كتاب نشر النور والزهر في تراجم أفاضل مكة من القرن العاشر إلى القرن الرابع عشر** اختصار وترتيب وتحقيق محمد سعيد العامودي وأحمد على .ــ ط٢ .ــ جدة: عالم المعرفة، ١٤٠٦هـ ــ ١٩٨٦م، ص ٣٦٨.
١٠٧ــ ابن جماعة، بدر الدين إبراهيم بن أبي الفضل (ت ٧٣٣هـ)/ **تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم** .ــ بيروت: دار الكتب العلمية ، د. ت (مصورة بالأوفست عن طبعة دائرة المعارف العثمانية بحيدر أباد الدكن عام ١٣٥٤هـ) ص ١٦٩.

١٠٨ــ الألوسي، مقدمة المحقق ص ٣٤.

١٠٩ــ السابق، مقدمة المحقق، ص ٣٢.

١١٠ــ السابق، مقدمة المحقق، ص ٣٦.

١١١ــ الأشرف الغساني، ص ٤٥٩.

١١٢ــ الألوسي، مقدمة المحقق ص ٣٥.

١١٣ــ ابراهيم، «نصان جديدان...» ص ١٥٢.

الفصل السادس

مصائر الكتب والمكتبات الوقفية

مرت الكتب والمكتبات الوقفية بمرحلتين الأولى منها يمكن أن نطلق عليها:

أ ــ مرحلة الانفراط :

وهي التي شهدت تدهور أوضاع المكتبات بتخريبها وتدميرها والسطو عليها وسوء إدارتها والتفريط في تحمل أمانتها.

ففي هٰذه المرحلة واجهت أغلب الكتب والمكتبات الوقفية مصيراً مؤلماً ينم عن جحود ونكران المجتمعات التي قامت فيها، ذلك لأن أغلب ما حل بها من تفريط مصدره أفراد أو جمعات استفادت هي أو استفاد أسلافها من محتوياتها إضافة إلى أن بعضها نكب من جراء الغزو الخارجي أو بفعل الكوارث الطبيعية، خاصة الحرائق.

ولو حاولنا تصنيف الأسباب التي تولدت عنها الإساءة والتدمير اللتين حلتا بهذا النمط الثقافي الذي كان يقوم على الذاتية المحبة للآخرين، المشبعة بروح الفضل والرغبة في إقامة مجتمع راق يعم فيه العلم وتشع أنوار الثقافة، فسنجدها تتمثل في التالي:

١ ــ الفتن والقلاقل والتغيرات السياسية :

ولعلها كانت أكبر عنصر شر استغل في القضاء على البنية الثقافية العربية، وعلى رأسها تدمير المكتبات فكان النهب والسلب والسرقة والحرق من الطرق التي كان المشاركون في الفتن أو عامة الناس من الجهلاء يلجأون إليها في التعامل مع الكتب والمكتبات.

فمكتبة سابور بن أردشير التي عرفت بدار العلم، والتي قامت بدور ثقافي

جليل على مدى سبعين عاماً، أحرقت عند مجيء طغرلبك إلى بغداد، ورغم أن الأخبار التي رويت عن حريقها لا تشير إلى أنه كان عملاً مقصوداً، إلا أننا نشعر من صيغة الخبر كما أورده ابن الأثير بأن بغداد في اليوم الذي شب فيه الحريق بدار العلم كانت قد تعرضت لأعمال تخريبية استخدم فيها الحريق كنوع من الإرهاب والانتقام، وهناك خلاف في السنة التي وقع فيها هذا الحدث المفجع فابن الجوزى يجعله ضمن حوادث سنة ٤٥٠هـ بينما جعله ابن الأثير ضمن حوادث سنة ٤٥١هـ، وقد يكون الخلاف نتيجة وقوعه في نهاية عام ٤٥٠هـ أو بداية ٤٥١هـ.

ويشعرنا نص ابن الجوزى بالعمد في إحراقها إذ يقول: «واحرقت عند مجيء طغرلبك في سنة خمسين وأربعمائة»[1] أما نص ابن الأثير فيعبر عن الحدث بصيغة تشعر بأن ما وقع كان قضاء وقدراً في جزء منه، بينما يوحى بأن الأمر كان في معرض فتنة حادثة لم يستطع الحاكم خلالها السيطرة على الأمور، وهذا هو نص ما ذكره :

> في هذه السنة احترقت بغداد: الكرخ وغيره وبين السورين واحترقت فيه خزانة الكتب التي وقفها أردشير الوزير ونهبت بعض كتبها، وجاء عميد الدولة الكندرى فاختار من الكتب خيرها، وكان بها عشرة آلاف مجلد وأربعمائة مجلد من أصناف العلوم فيها مائة مصحف بخطوط بني مقلة، وكانت العامة قد نهبوا بعضها لما وقع الحريق فأزالهم عميد الملك، وقعد يختارها، فنسب ذلك إلى سوء سيرته وفساد اختياره وشتان بين فعله وفعل نظام الملك الذي عمر المدارس... ووقف الكتب وغيرها[2].

ومن هنا فإن خزانة سابور أو دار العلم كما نستخلص من رواية ابن الأثير تعرضت للحريق والنهب، وسوء القصد والتعمد في تخريبها، نشعر به من خلال ما قام به عميد الملك الكندرى الذي قد يكون من المتسببين في ذلك العمل الاجرامي فهو لم يلجأ إلى إخماد الحريق، ولكنه أبعد العامة، وجلس يختار لنفسه ما يشاء من الكتب التي سلمت من الحريق.

وما حل بدار العلم في بغداد، وقع لخزانة الكتب في حلب في حدود سنة ٤٦٠هـ أي بعد عشرة أعوام تقريباً، فقد دفع الصلف والجهل وحب الانتقام الخلفية الفاطمي المستنصر إلى إحراقها، أما السبب فقد ربطه الذهبي بمصنف لأبي الحسين الحلبي ثابت بن أسلم وكان من فقهاء الشيعة ألف كتاباً كشف فيه عوار الاسماعيلية وبدء دعوتهم، فحمل إلى مصر وصلبه المستنصر «وأحرقت لذلك خزانة الكتب بحلب وكان فيها عشرة آلاف مجلدة»[٣].

وبعد أكثر من عشرين سنة من حريق خزانة الكتب في حلب، أحرقت دار الكتب في البصرة التي وصفت بأنها «لم ير في الإسلام مثلها»ذلك أثناء فتنة قادها رجل يقال له بليا استطاع أن يغوى خلقاً من أهل البصرة عندما زعم أنه المهدى في عام ٤٨٣هـ[٤].

وهكذا نجد أنه مابين ٤٥١ حتى ٤٨٣ هجرية أحرقت ثلاث مكتبات كبرى بسبب أحداث سياسية وفتن تخريبية، وإذا كنا قد عرفنا مجموع ما كان في مكتبتي حلب وبغداد، فإن الإشارة إلى مكتبة البصرة بأنها كانت تضم مجموعة وقفية لم ير في الإسلام مثلها، قد يدفع إلى جعل متوسط ما كانت تضمه هو عشرة آلاف مجلد أيضاً، وبالتالي فإن أكثر من ثلاثين ألف مجلد من نفائس الكتب وذخائرها مما كان قد جعل لعامة الناس في دور الكتب التي أسست لرفع المستوى الثقافي قد دمرت، وبالتالي حرم القارىء الفرد من مصدر فكرى هام كان يلجأ إليه.

وأحرقت جحافل التتار والمغول عندما اكتسحت الأراضي الإسلامية مكتبات كان من بينها مكتبة ساوه، التي يقول ياقوت بأنه في سنة ٦١٧هـ كان مما عملوه من تخريب وتدمير احراقهم لتلك المكتبة التي يصفها بأنه لم يكن في الدنيا أعظم منها[٥].

وإذا كان الحرق هو المصير الذي واجهته تلك المكتبات، فإن مكتبة القصر التي قد يقصد بها دار الحكمة التي أسسها الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله في القاهرة: واجهت مصيراً أقل قسوة وإن كان مصيراً سيئاً أيضاً، فبعد استيلاء صلاح الدين الأيوبي على مصر، كان مما عمله أن مكن بعض أفراد حاشيته من

الاستيلاء على نفائس كتبها، فأعطى القاضي الفاضل «من الكتب ما أراد» وعرض بعضها للبيع فقد أشار البنداري إلى جانب من المصير المؤلم الذي آلت إليه تلك المكتبة عندما قال:

> كان لبيع الكتب في القصر كل أسبوع يومان وهي تباع بالمجان وبأرخص الأثمان.. فقيل للأمير بهاء الدين قرقوش متولى القصر والحال والعاقد للأمر: هذه الكتب قد عاث فيها العث وتساوي سمينها والغث ولا غنى عن تهويتها ونفضها وإخراجها من بيوت الخزانة إلى أرضها، وهو تركي لا خبرة له بالكتب ولم يدر أن في نفضها انفاضها وأن في تصحيحها امراضها.. وكان مقصود دلالي الكتب أن يوكسوها ويخرموها ويعكسوها فأخرجت، وهي أكثر من مائة ألف من أماكنها وغربت من مساكنها... وكان فيها من كتب الأمصار والتواريخ الكبار ما يشمل كل كتاب على خمسين أو ستين مجلداً، إذا فقد منها جزء لا يخلف أبداً فاختلطت واختبطت فكان الدلال يخرج عشرة عشرة من كل فن كتباً مبتسرة فتسام بالدون وتباع بالهون، والدلال يعرف كل شدة وما فيها من عدة، ويعلم أن عنده من أجناسها وأنواعها، وقد شارك غيره في ابتياعها حتى إذا لفق كتاباً قد تقوم عليه بعشرة باعه بعد ذلك لنفسه بمائة...[٦].

ويقال إن بيع محتويات القصور الفاطمية استمر عشر سنوات ولعل الأمر شمل ما احتوته المكتبة أيضاً، والتي قيل إنها كانت تضم مليون وستمائة ألف كتاب، وهو رقم مبالغ فيه بالطبع، والأقرب إلى الواقع ما قيل من أن محتوياتها كانت تتراوح ما بين مائة ألف ومائة وعشرين ألف مجلد، وقد أخذ منها صلاح الدين ما حمله على ثمانية جمال إلى الشام[٧].

وهكذا تبدد تراث هام حفظ في تلك المكتبة وتشتت بدداً، بيعاً على تجار الكتب، وعطاء لبعض العلماء، إضافة إلى ما أخذه صلاح الدين لنفسه، وهذا الموقف يستغرب من صلاح الدين الذي عرف بجهاده ومواقفه المشهودة في الذود عن حياض الإسلام، ولكن يبدو أنه وقع تحت تأثير مستشارين لم يحسنوا إسداء النصح له فكان ما كان.

ونهبت مكتبة الصالحية في غزوة قازان للشام وضاع الكثير من محتوياتها(٨).

وخلال الحكم المغولي للعراق بعد سقوط الخلافة العباسية قدم نصير الدين الطوسي إلى بغداد مبعوثاً من هولاكو «فنظر في الأوقاف وأحوال البلد، وأخذ كتباً كثيرة من سائر المدارس وحولها إلى رصده الذي بناه بمراغة»(٩)؛ وبالتالي كون مكتبة ضخمة اشتهرت فيما بعد، لعل أغلب ما ضمته جاء من تلك الكتب التي نهبها من بغداد بأمر المغولي هولاكو.

وتسبب الخلاف السياسي وحب الانتقام والوشاية في إقدام السلطان الناصر فرج على هدم المدرسة الجمالية، ونظر في كتبها الوقفية فأقر منها كتباً كتب عليها ما ينص على وقفه لها «وحمل كثيراً من كتبها إلى القلعة ..»(١٠).

وادى الصراع بين الحفصيين في تونس والقوى الصليبية الغازية في الأضرار بخزانة الكتب الوقفية في جامع الزيتونة، حيث لم يبق منها شيء بل تلاشت حتى قيل إن المار من شرقي الجامع... إنما يمر على الكتب المطروحة هناك(١١).

وعقب الفتح العثماني لمصر.. سطا الوزراء على كتب المدارس مثل المحمودية والمؤيدية والصرغتمشية «ونقلوها عندهم ووضعوا أيديهم عليها ولم يعرفوا الحرام من الحلال في ذلك»(١٢).

كما نهب العثمانيون خلال حكمهم للحجاز الكثير من الكتب التي كانت في المكتبات الوقفية، وعندما تسلط العجم على بغداد قبل العثمانيين امتدت أيدى العبث والخراب إلى كنوز خزانة الكتب التي كانت في جامع الامام أبي حنيفة في بغداد، التي تعتبر من أقدم مكتبات المساجد والتي وقف فيها الطبيب ابن جزله المتوفى سنة ٤٩٣ بعض كتبه(١٣).

٢ ــ استغلال الكتب الموقوفة ونهبها من قبل بعض العلماء.

والمؤسف في الأمر أن بعض رجال العلم قد ساهموا في تدمير بنية المكتبة العربية التي شيدت على الوقف العام، ونهبوا نفائسها للاستئثار بها لأنفسهم وحجبها عن عامة القراء.

ومن هؤلاء **عمر بن علي بن أحمد السراج الأنصاري الأندلسي التكروري المشهور بابن الملقن** المتوفى سنة ٨٠٤هـ فقد كان عنده من الكتب «مالا يدخل تحت الحصر، منها ما هو ملكه، ومنها ما هو من أوقاف المدارس»، «لاسيما الفاضلية»[١٤].

ولم يتورع **صالح بن عمر الكناني العسقلاني البلقيني القاهري** المتوفى سنة ٨٤٨هـ والذي وصف بأنه كان عالما فاضلاً درس في مدارس كثيرة بالقاهرة، من المشاركة في نهب كتب الأوقاف، فرغم وصفه بالفضل وعلو المكانة إلا أنه خلف بعد موته «دنيا طائلة وكتباً جمة من جملتها من أوقاف المدارس ونحوها مايزيد على ألف مجلد»[١٥].

ومن أسوأ تلك النماذج المستغلة القاضي **محب الدين أبو الفضل محمد بن محمد الشهاب ابن الشحنة** الحنفي المتوفي سنة ٨٩٠هـ والذي وصفه السخاوي بأنه كان مستغلا لمنصبه في القضاء.

> حتى أنه استنزل الشهاب ابن العيني من تصوف كان باسمه في الأشرفية الجديدة، والبدري بن عبيد الله من الاعادة بالصرغتمشية لولده الصغير.. وزوّج ابنه الصغير لابنة العضدي شيخ الظاهرية ليتوصل بالتزويج والتصوف والنزول إلى أخذ المشيخة بكل من الأماكن الثلاثة المعينة... وأكثر من تسليط ابن عبيدالله على خازن المحمودية حافظ الدين ابن الجلالي لينزل له عنها فما سمح فصار يناكده ويتمقته بما ضعف الخازن عن حمله ولا سيما وهو نائبه في القضاء، ولم يسعفه إلا أن عزل نفسه عن النيابة، هذا مع أنه حمل له من كتبها ما ينيف على مائة مجلد[١٥].

كما ذكر في مكان آخر وهو يترجم له بأنه كان:

«عظيم العناية في تحصيل كتب العلوم بحيث اجتمع عنده من نفائس كل فن ما قل أن يجتمع لغيره وربما اغتصبها ممن هي عنده... ونسب إليه أخذ تفسير الفخر الرازي وهو في مجلد من أوقاف المؤيدية وجحده...»[١٧].

ولم يختلف سلوك قاضي القضاة بالديار المصرية **أحمد بن بدر الدين بن شعبان**

عن سلوك ابن الشحنة فقد ذكر أنه كانت عنده من الكتب النفيسة ما ينوف على أربعين ألف مجلد.

وأكثرها من كتب الأوقاف وضع يده عليها، ومنع أهل العلم من النظر إليها، وطالت الأيام ومضى عليها أعوام ونسيت عنده وغيّر شروطها، ومما يستدل به من كونها وقفاً من أوائلها وأواخرها، وزاد ونقص، وصارت كلها ملكاً له في الظاهر ولم يخف الله ولا اليوم الآخر[١٨].

وشارك جملة من العلماء في السطو على أوقاف المدرسة الضيائية التي كانت تحفل بنفائس لا نظير لها، فالقاضي **علاء الدين بن مغلى** عندما احتاج إلى كتاب الخلاف لأبي يعلى، قيل له إنه لا يوجد إلا في الضيائية فأرسل في طلبه فقام خازن المكتبة ناصر الدين بن زريق الذي يذكر ابن حجر بأنه ما رأى في بلاد الشام من يستحق اسم الحافظ غيره، فجمع مجلداته في قفتين وأرسله له، ومن ثم انفرط أمر المكتبة وطمع الناس فيها.

ثم لما جاء تمر وذهب، زاد انفراط حالها، فجاء ابن حجر وأخذ منها عدة أحمال.

ثم جاء الحافظ شمس الدين بن ناصر الدين فأخذ منها ثم جاء قطب الدين الخيضرى فأخذ.

ثم أن القاضي ناصر الدين بن زريق الثاني استوعب أحاسن ما فيها[١٩].

وشارك الفقهاء في تقويض بنية المكتبة الفاضلية، فساهموا في نكبتها عندما تداولت أيديهم عليها بالعارية حتى تفرقت[٢٠].

ويعجب المرء حقيقة من هذا السلوك الأناني الذي سلكه أمثال أولئك العلماء والحفاظ والقضاة، وكيف أنهم ساعدوا على تقويض أهم ركن من أركان الثقافة العربية قام على الوقف بهدف إشاعة العلم وتمكين كافة الأفراد من الأستفادة منه، فوضعوا أنفسهم بذلك في خندق واحد مع الغزاة وجهلة الناس الذين كانوا يستغلون تضعضع الأمن لينقضوا على دور الكتب لنهبها وسلبها وإحراقها وبالتالي حرمان جماهير عريضة من المستفيدين من ذخائرها ونفائسها.

٣ ـ تفريط المشرفين على المكتبات وسوء إدارتهم :

وكان لبعض المشرفين على المكتبات والكتب الوقفية دور مباشر في خلخلة بنيتها والإساءة إلى هدفها السامي، وذلك عن طريق التهاون في أداء الرسالة الموكلة إليهم، أو المشاركة في استغلال محتوياتها عن طريق تسهيل سطوها ونهبا أو إعارتها دون ضمان لبعض المتنفذين رغبة في الوصول إلى أغراض دنيوية عن طريقهم.

وقد مر بنا من قبل ما وقع من خازني المحمودية **السراج عمر**، **والفخر عثمان** إذ اساء الأول، وعندما اكتشف أمره عزل، وعقبه جاء الثاني وكان منضبطاً، ولكنه كان مجاملاً فيما يبدو ففقد من المكتبة أثناء إشرافه عليها ما يقرب من أربعمائة مجلد، فعزل أيضاً وغرم قيمة المفقود من الكتب[٢١].

ووصف **محمد بن عمر بن عبدالله بن محمد بن غازي** المتوفى سنة ٨٤٥هـ والذي عمل خازنا في إحدى المكتبات المدرسية عن طريق التقرب من الشرفي يحيي العطار بأنه كان «خفيف ذات اليد»[٢٢] وهو ما يعنى: بأنه قد أساء التصرف في محتويات تلك المكتبة.

ومن الكتب الوقفيـة التي تعرضت للنهب **مجموعة أبي اليمن الكندى**، وكان عددها سبعمائة واحدى وستون مجلدا، وقفها على معتقه نجيب الدين ياقوت ثم على العلماء في الحديث والفقه واللغة وغير ذلك، وجعلها في خزانة كبيرة في مقصورة ابن سنان بالجامع الأموى.. «ثم أن هذه الكتب تفرقت وبيع كثير منها ولم يبق بالخزانة المشار إليها إلا القليل الرث»[٢٣].

وأدى سوء الوضع الإدارى في **مكتبة المدرسة الفاضلية**، إضافة إلى الظروف الإقتصادية الصعبة التي مرت بمصر في عام ٦٩٤ هجرية، إلى قيام الطلبة بسرقة كتبها «فصاروا يبيعون كل مجلد برغيف خبز حتى ذهب معظم ما كان فيها من الكتب»[٢٤].

وتعرضت **مكتبة المدرسة الشهابية** لظروف سيئة فيما يبدو مما أضطر القاضي إلى الاخلال بشرط الواقف الذي اشترط أن تكون في خزانة أمام بيته، إذ أنه عندما خيف عليها، أمر بحملها ووضعها في خزانة أخرى في بيت على باب المدرسة

وقد أورد الخبر ابن فرحون وختمه بما يشعر بسوء الحال إذ قال: «أصلح الله أمرها ورد إليها حالها»[٢٥].

وفرط الملك الصالح **المنصور حاجى ابن الأشرف شعبان** في الكتب التي وقفها والده على المدرسة التي أسسها، فباعها على جمال الدين الاستادار بمبلغ ستمائة دينار، رغم أنها جميعها كانت تضم في أولها الإشهاد على الملك الأشرف بوقفها في مدرسته، ولعل من حسن الطالع أن هذه الكتب وقفت من جديد بالمدرسة التي أسسها الاستادار الذي «كان حفيا بها»[٢٦].

وكان **ابراهيم بن عمر بن موسى صارم الدين النابتي** صاحب الحديدة المتوفى سنة ٨٧٦هـ قد اقتنى كتباً كثيرة ووقفها بعد موته.. ولكن زوج ابنته المقبول بن أبي بكر الزيلعي، استولى عليها وحملها إلى قريته اللحية ووضعها في خزانة، ولم يمكن أحدا من الإستفادة منها[٢٧]، فأقدم على جرمين بصنيعه المقيت الذي يدلل على دناءة وسوء قصد وبعد عن حب الخير.

وأبت سيدة فاضلة تنامى في داخلها حس اجتماعي رفيع إلا أن تسهم في العمل على رفع المستوى الثقافي والعلمي في منطقتها، فكان أن وقفت كتبها على طلبة العلم، وتلكم هي السيدة **فاطمة بنت حمد الفضيلي الحنبلي الزبيرية** التي كانت تعرف بالشيخة الفضلية، والتي توفت في عام ١٢٤٧، ومما يذكر أنها.

> كتبت كتباً كثيرة في فنون شتى، وخطها حسن، وصار لها همة في جمع الكتب فجمعت كتباً جليلة في سائر الفنون، ووقفت كتبها جميعها على طلبة العلم من الحنابلة، وجعلت الناظر عليها بلديها التقى الصالح شيخنا الشيخ محمد الهديبي فكانت عنده إلى أن أراد النقلة إلى المدينة فتورع عن اخراجها من مكة فجعلها عند خادمته شائعة بنت النجار وأولادها، ثم أرادت التحول إلى المدينة أيضاً فأشرت عليها بأن تبقيها في مكة كما فعل شيخنا فغلب عليها أولادها، وقالوا أن الشيخة الواقفة لم تشترط ذلك، وذهبوا بها معهم، فتوفاهم الله تعالى وذهبت شذر مذر إلا أقلها كان عندى فأبيت اخراجه من مكة فبقى والحمد لله[٢٨].

وهكذا ذهب ما أرادته تلك المرأة الجليلة بسبب سوء تصرف المشرفين على وقفها، وعدم اتاحتها للقراء وجعلها في مكان أمين سهل ميسور لكل طالب علم.

وتبددت الكتب التي وقفها **محمد رشيد باشا الشرواني الداغستاني** المتوفى سنة ١٢٩١ عن طريق السرقة والبيع، ولا شك أن المشرفين على المدرسة التي كانت من وقفه، إضافة على من كان يشرف على المكتبة قد أهملوا أمرها فكان أن تجاسر عليها اللصوص فسرقوا ونهبوا[٢٩].

وتعرضت **مكتبة شيخ الإسلام عارف حكمة** بالمدينة المنورة في ظل إدارات متعاقبة سيئة متهاونة، للسرقة والنهب فكان أن فقدت جملة من نفائس مخطوطاتها من ذلك:

١ ـــ مصحف مكتوب على رق نعام بخط أندلسي، مذهب في آخره، وهو بخط عبدالرحمن بن علي بن مرزوق بن محمد بن مكانس البطليوس سنة ٤٨٨هـ ـــ ٩٠٥م.
٢ ـــ مسند أمير المؤمنين عمر بن عبدالعزيز، وهو الآن في مكتبة المتحف البريطاني..
٣ ـــ أمر شريف باشا بنقل ستين كتابا من المكتبة، وأن يذكر أمام أسماء هذه الكتب في القوائم إشارة (م) التي تعني أنه مفقود، وهذه المجموعة لا تزال محفوظة في استانبول.
٤ ـــ كتاب في تاريخ المغرب يقع في عشرة مجلدات..
٥ ـــ استطاع أحد الأشخاص من استنساخ مخطوط داخل المكتبة، ثم ختم منسوخه بخاتم المكتبة وسرق الأصل.
٦ ـــ بيعت مجموعة كبيرة من المخطوطات في عهد بعض الأمناء الذين ضعفت نفوسهم عن القيام بواجب الأمانة[٣٠].

وتدل المجموعات الكبيرة من المخطوطات التي تحمل نصوصاً وقفية والمحفوظة حالياً في مكتبات في أرجاء المعمورة خارج الأماكن التي وقفت عليها على عظم ما أصاب وقف الكتب من بلاء عبر القرون، ولا يزال سلب الكتب الوقفية والعبث بها جارياً حتى اليوم، إذ نجد ضمن ما يتاجر به من المخطوطات العربية في متاجر بيع الكتب النادرة في أوربا أو مع تجار المخطوطات في العالم

العربي وتركيا، مجموعات كبيرة هي من أوقاف الأسر أو الجوامع والمدارس في تركيا وبعض بلدان العالم العربي.

ولم يعد أمراً غريباً أن نجد في مكتبة تشيستربيتي مخطوطاً نفيساً كان وقفاً في جامع صغير من جوامع القاهرة، أو أن نقف على نسخة فريدة من مخطوط في التاريخ بالمتحف البريطاني يحمل نصاً يدلل على أنه كان وقفا في تونس.

تلك أبرز ملامح مرحلة انفراط العقد التي شهدت تدهور بنية المكتبة العربية والاضرار بثقافة الفرد العربي من خلال تدمير متنفس مهم أقيم من أجله ليرتاده ويستقى منه علما وثقافة تؤهلانه للابداع والابتكار والتزود بما يزيده تحضرا ورقيا.

ب ـــ مرحلة لم الشتات :

أما المرحلة الثانية فهي التي نستطيع أن نطلق عليها مرحلة لم الشتات، وهي مرحلة قريبة العهد نبعت في أذهان أفراد هالهم ضياع الوقف الخاص بالكتب والمكتبات واستشراء العبث والاهمال إلى بنية المتبقي من ثروة الماضي التي بددها الطمع والجشع والاهمال، فكان أن عملوا على لم شتات ما بقى من مخطوطات وقفت على مدارس أو جوامع متناثرة في مكتبات مركزية حديثة تحفظ فيها تلك المخطوطات بعد أن تعالج مما يكون قد أصابها من أمراض أو تلف، وتخزن في أماكن مناسبة وتهيأ للاستخدام العام بما يعيد إليها روح الهدف الأصلي الذي وقفت من أجله، وهو تيسير العلم وتسهيل التحصيل لمن يرغب من طلاب المعروفة دون قيود تذكر.

ورغم أن الانسان قد يأسف لانتقال الآلاف من المخطوطات العربية، والتي تشكل الوقفية منها نسبة كبيرة إلى مكتبات في أوربا وامريكا، إلا أن ما تحظى به من رعاية وعناية في الأماكن التي انتقلت إليها إضافة إلى تمكن الباحث من الوصول إليها من خلال الاطلاع عليها مباشرة أو الحصول على مصورات لها، يدفع إلى اعتبار ذلك من الأمور الحسنة التي ساعدت على بقاء مجموعة كبيرة من نفائس التراث العربي، وخلاصها من عوامل التدمير والخراب التي سادت المنطقة بعد أن كساها ظلام الجهل في قرون متأخرة.

ويلاحظ أن فكرة لم شتات المخطوطات العربية التي كانت تشكل بنية المكتبة العربية قبل انتشار الطباعة في العالم العربي، والتي كانت محفوظة في المدارس والجوامع المقامة على الوقف، تعم اليوم مناطق كثيرة من العالم العربي، وبعض الدول الإسلامية، وذلك ضمن إطار العناية بتوفير أوعية المعلومات المساندة للبحث وتنمية المعرفة الإنسانية لدى طلابها، وحرصاً على ادخار ما تبقى من تراث نال منه الإهمال على مدى زمن طويل، مما أدى إلى ضياع جانب كبير منه.

وللتدليل على ضخامة حجم الكتب الوقفية في مجموعات المكتبات المعاصرة نورد هنا مجموعة من الأمثلة لمكتبات حديثة جل محتوياتها من هذا النوع من الكتب.

١ ـ دار الكتب المصرية :

أنشئت في عام ١٢٨٦هـ، وضمت مجموعة كبيرة من كتب الأوقاف بناء على أمر الخديوي إلى المرحوم علي مبارك ناظر المعارف في ذلك الوقت، ونستخلص من دراسة وضعت حول تاريخ هذه المكتبة على مجموعة من المؤشرات التي توضح دور الكتب الوقفية في بناء مجموعة المخطوطات فيها.

ففي سنة ١٨٧٦م ضمت إليها مكتبتا قوله ومصطفى فاضل وكانتا تحتويان على مجموعة طيبة من المخطوطات قدرت بحوالي ٣٤٥٨ مخطوطاً، وقام علي مبارك بجهود لجمع المخطوطات النفيسة إلى هذه المكتبة من المساجد والأضرحة ودور العلم وبلغ مجموع ما جمعه قرابة ٣٠ ألف مجلد بين مخطوط ومطبوع، ثم ضمت إليها فيما بعد مكتبات منها:

الخزانة التيمورية.
مكتبة الشنقيطي.
مكتبة الحسيني.
مكتبة طلعت.
مكتبة محمد عبده.
المكتبة الزكية.
مكتبة خليل أغا.
مكتبة مكرم[٣١].

٢ ــ مكتبة الأسد الوطنية :

كما أن مجموعة المخطوطات التي جعلت في المكتبة الظاهرية في دمشق التي يصل عددها إلى ثلاثة عشر ألف مخطوطة، وجمعت منذ عام ١٢٩٦ هجرية بمساعي من طاهر الجزائري الذي لاحظ ضياع كتب الوقف فشكا إلى رئيس الجمعية الخيرية بدمشق مما أدى إلى جمع الكتب الوقفية إبان حكم والى دمشق مدحت باشا، واستمر هذا الجمع في عهد أحمد حمدي باشا الذي عين والياً بعد مدحت باشا، وقد ضمت إلى هذه المكتبة في عام ١٢٩٩هـ عشر مكتبات هي:

المكتبة العمرية.
مكتبة عبدالله باشا.
مكتبة سليمان باشا.
مكتبة الملا عضمان الكردي.
مكتبة مراد النقشبندي.
مكتبة الشميصاتية.
مكتبة الأوقاف.
مكتبة الياغوشية.
مكتبة بيت الخطابة.
مكتبة مدرسة الخياطين.

وربطت المكتبة بدار الأوقاف في سنة ١٩١٩م ثم الحقت بديوان المعارف ثم جعلت تحت اشراف المجمع العلمي العربي (مجمع اللغة العربية حالياً)[٣٢]. ثم نقلت أخيراً إلى مكتبة الأسد الوطنية.

٣ ــ مكتبة الأوقاف العامة في بغداد :

أما مجموعة المخطوطات التي جمعت في مكتبة الأوقاف العامة في بغداد، فهي ثمرة جهد كبير بذل من أجل تجميع كتب الأوقاف في العراق التي تعرضت للنهب والإهمال، فكان أن جاء مشروع هذه المكتبة.

ويوضح لنا عبدالله الجبوري مراحل التفكير في تأسيس هذه المكتبة فيذكر أن عبداللطيف المنديل وزير الأوقاف في الحكومة العراقية عام ١٩٢٢م، كان أول من

فكر في انشاء مكتبة تابعة لوزارته تجمع فيها الكتب المبعثرة في مساجد وجوامع بغداد، وساعده على تنفيذ الفكرة تحمس عبداللطيف ثنيان مدير أوقاف بغداد... ولكن المشروع توقف بإنتهاء فترة عمل المنديل ثم الثنيان، وعادت الفكرة مرة أخرى عندما تولى محمد أمين العباسي وزارة الأوقاف، ولكنه ترك منصبه قبل الشروع في التنفيذ، وفي عهد أحمد الداوود الذي تولى الوزارة عقب العباسي تألفت لجنة جمعت الكتب من مساجد بغداد وجوامعها وتكاياها، ومن ثم برزت إلى الوجود مكتبة الأوقاف العامة التي ضمت نفائس ما وقفه أهل الخير في القرون السابقة وأنقذ قيام هذه المكتبة مجموعة كبيرة من المخطوطات النفيسة من العبث والضياع والدمار[٣٣].

ومن المكتبات الوقفية التي احتوتها مكتبة الأوقاف بعد تأسيسها :

- مكتبة المدرسة السليمانية.
- الخزانة النعمانية (الألوسية).
- مكتبة جامع الكهيا.
- مكتبة مسجد الرواس.
- مكتبة جامع المصرف.
- مكتبة جامع الحيدرخانة.
- مكتبة مسجد نائلة خاتون.
- مكتبة جامع القبلانية[٣٤].

٤ ــ مكتبة الملك عبد العزيز بالمدينة :

تأسست عام ١٣٨٠هـ / ١٩٦٠م، باسم مكتبة المدينة المنورة العامة، وكان لجعفر فقيه الفضل الأكبر في ذلك ومن بين المكتبات الوقفية التي ضمت إليها :

- مكتبة المدرسة القازانية.
- مكتبة المدرسة العرفانية.
- مكتبة المدرسة الاحسانية.
- مكتبة مدرسة الشفاء.
- مكتبة مدرسة كيلي ناظري.
- مكتبة رباط الجبرت.
- مكتبة رباط عثمان.
- مكتبة قراء باشي.

كما أن من بين ما ضمته، الكتب التي وقفها إبراهيم بن سعدالله الختني، ومكتبة صافي الجفري العلوي(٣٥)، ويبلغ عدد المخطوطات فيها حوالي ٧٤٤٥ مخطوطة

وقد حولت مجموعة مكتبة المدينة المنورة العامة إلى مكتبة الملك عبد العزيز العامة التي تأسست في عام ١٤٠٣هـ.

٥ ــ مكتبة الأوقاف في حلب :

تكونت من مجموعات وقفية متناثرة في مدارس وغيرها مثل :

ــ المدرسة العثمانية.

ــ المدرسة الصديقية.

ــ المدرسة الأحمدية.

وقد وصل عدد ما احتوت عليه من مخطوطات حتى عام ١٩٧٦م إلى ٥٥٦٠ مخطوطاً(٣٦) ثم نقلت مخطوطات هذه المكتبة لتضم إلى مكتبة مخطوطات معهد التراث العربي في جامعة حلب، ثم نقلت جميع النسخ الأصلية من المعهد إلى مكتبة الأسد الوطنية في دمشق.

٦ ــ مكتبة الأوقاف في الموصل :

افتتحت عام ١٩٧٢م، وتضم ٣٥ مجموعة من المخطوطات التي كانت تكون مكتبات في مدارس ومساجد(٣٧).

وهناك نماذج أخرى كثيرة في دول عربية مثل تونس والمغرب والجزائر واليمن حيث جرى تجميع المخطوطات الوطنية في مكتبات حديثة، وهكذا نجد أن ذلك الصرح الشامخ الذي شيده المخلصون الأبرار على مدى قرون ليصبح الكتاب غذاء للإنسان في كل رقعة ينطق فيها بالعربية، تهاوى.. ودمر.. ونهب، فأصبح من غير المستغرب أن تكون كتب المستنصرية التي وقفها الخليفة المستنصر بالله وغيره من العلماء الأجلاء موزعة في مكتبات أجنبية في شتى أنحاء العالم.

ومن يجوب مكتبات العالم، خاصة هناك في أوربا سيقف على مخطوطات كانت في مدارس وجوامع ومكتبات عربية خذلها الجهل والاغراق في الكسل والاستسلام للسقوط فنقلت أكداساً إلى أماكنها الجديدة لتصبح من مفاخر المكتبات التي حلت فيها في العالم الغربي.

الهوامش

١ ـ **المنتظم في تاريخ الملوك والأمم.** ـ حيدر أباد الدكن: دائرة المعارف العثمانية، ١٣٥٩هـ، ٨ /٢٢.

٢ ـ **الكامل في التاريخ.** ـ بيروت: دار صادر، دار بيروت، ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م ١٠ / ٧ ـ ٨.

٣ ـ **سير أعلام النبلاء.** ـ تحقيق شعيب الأرنؤوط ومحمد نعيم العرقسوسي. ـ بيروت: مؤسس الرسالة، ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م، ١٨ /١٧٧.

٤ ـ ابن كثير، عماد الدين اسماعيل بن عمر (ت ٧٧٤هـ) / **البداية والنهاية.** ـ بيروت: مكتبة المعارف، ١٩٧٧م، ١٢ / ١٣٦.

٥ ـ ياقوت، ياقوت بن عبدالله الحموي (ت ٦٢٦هـ) /**كتاب معجم البلدان** تحقيق محمد أمين الخانجي. ـ القاهرة: محمد أمين الخانجي (مطبعة السعادة) ١٣٢٤هـ ـ ١٩٠٦م، ٥ /٢١.

٦ ـ البنداري، قوام الدين الفتح بن علي (ت بعد ٦٢٣هـ) / **سنا البرق الشامي** (وهو مختصر البرق الشامي للعماد الأصبهاني) تحقيق رمضان ششن. ـ بيروت: دار الكتاب الجديد، ١٩٧١، ١ /٢٣٤ ـ ٢٣٥.

٧ ـ ابن الفرات، ناصر الدين محمد بن عبدالرحيم (ت ٨٠٧هـ) / تاريخ ابن الفرات تحقيق حسن محمد الشماع . ـ البصرة: المحقق (ساعدت جامعة البصرة على طبعه) ١٣٨٦ ـ ١٣٨٩هـ ـ ١٩٦٧ ـ ١٩٦٩م، المجلد الرابع ١/١٦٧.

٨ ـ ابن طولون الصالحي، محمد (ت ٩٥٣هـ) / **القلائد الجوهرية في تاريخ الصالحية** تحقيق محمد دهمان. ـ ط٢. ـ دمشق: مجمع اللغة العربية، ١٤٠١هـ ـ ١٩٨٠م، ١ / ١٣٢.

٩ ـ ابن كثير، ١٣ / ٢٤٢.

١٠ ـ المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي (ت ٨٤٥هـ) / **كتاب المواعظ والاعتبار في الخطط والآثار المعروف بالخطط المقريزية.** ـ طبعة جديدة بالأوفست . ـ بيروت: دار صادر، ١ / ١٦٧، ٢ / ٤٠٢.

١١ــ ابن أبي دينار، أبو عبدالله محمد بن أبي القاسم الرعيني / **المؤنس في أخبار أفريقيا وتونس** تحقيق محمد شمام.ــ تونس: المكتبة العتيقة، ١٣٨٧هـ، ص ١٥٧.

١٢ــ إبراهيم، عبداللطيف «من الوثائق العربية في العصور الوسطى: نصان جديدان من وثيقة الأمير صرغتمش» **مجلة كلية الآداب بجامعة القاهرة** مج ٢٨، ج ١، ٢ (مايو /ديسمبر ١٩٦٦م)، ص١٥٢.

١٣ــ الجبوري، عبدالله /**مكتبة الأوقاف العامة: تاريخها ونوادر مخطوطاتها**.ــ بغداد: رئاسة ديوان الأوقاف، مجلة الرسالة الإسلامية، ١٣٨٩هـ ــ ١٩٦٩م، ص٩٨.

١٤ــ السخاوي، شمس الدين محمد بن عبدالرحمن (ت ٩٠٢هـ) / **الضوء اللامع لأهل القرن التاسع**.ــ بيروت: دار مكتبة الحياة، د.ت، ٦ /١٠٥.
والشوكاني، محمد بن علي (ت ١٢٥٠هـ) / **البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع**.ــ بيروت: دار المعرفة، د.ت، ١ / ٥١٠.

١٥ــ السخاوي، شمس الدين محمد بن عبدالرحمن (ت ٩٠٢هـ) / **الذيل على رفع الأصر أو بغية العلماء والرواة** تحقيق جودة هلال ومحمد محمود صبيح.ــ القاهرة: الدار المصرية للتأليف والترجمة، د.ت، ص ١٨١.

١٦ــ السابق، ص ص ٣٨٢ ــ ٣٨٣.

١٧ــ السابق، ص ٣٨٤.

١٨ــ التميمي الداري، تقي الدين بن عبدالقادر الغزي (ت ١٠٠٥هـ) / **الطبقات السنية في تراجم الحنفية** تحقيق عبدالفتاح محمد الحلو.ــ الرياض: دار الرفاعي، ١٤٠٣هـ ــ ١٩٨٣م، ١ / ٣١٩.

١٩ــ ابن طولون الصالحي، ١ / ١٣٨.

٢٠ــ المقريزي، ٢ / ٣٦٦.

٢١ــ السخاوي...، **الضوء اللامع**، ٥ / ١٤٣ ــ ١٤٤.

٢٢ــ السخاوي، شمس الدين محمد بن عبدالرحمن (ت ٩٠٢هـ) / **كتاب التبر المسبوك في ذيل السلوك**.ــ القاهرة: مكتبة الكليات الأزهرية، د.ت، ص ٢٣.

٢٣ــ ابن كثير، ١٣ / ٧٢.

٢٤ــ المقريزي، ٢ / ٣٦٦.

٢٥ــ ابن فرحون اليعمري، أبو محمد عبدالله بن محمد (ت ٧٦٩هـ) / **كتاب نصيحة المشاور وتسلية المجاور** (مخطوطة تم نسخها في سنة ١٠٩٣هـ محفوظة بدار الكتب المصرية برقم ٤٣٠٤٩) ورقة ٥٤.

٢٦ــ المقريزي، ٢ / ٤٠١.

٢٧ــ السخاوي...، **الضوء اللامع**، ٢ / ١١٥.

٢٨ــ مرداد، عبدالله أبو الخير (ت ١٣٤٣هـ) / **المختصر من كتاب نشر النور والزهر في تراجم أفاضل مكة المكرمة من القرن العاشر إلى القرن الرابع عشر** اختصار وترتيب وتحقيق محمد سعيد العامودي وأحمد علي.ــ ط ٢.ــ جدة: عالم المعرفة، ١٤٠٦هـ، ــ ١٩٨٦، ص ص ٣٧٨ ــ ٣٨٨.

٢٩ــ السابق، ص ٤٤٧.

٣٠ــ الآلوسي، شهاب الدين أبو الثناء محمود بن عبدالله (ت ١٢٧٠هـ) / **عارف حكمة حياته ومآثره أو شهي النغم في ترجمة شيخ الإسلام عارف الحكم** تحقيق محمد العيد الخطراوي.ــ المدينة المنورة: مكتبة دار التراث، دمشق: مؤسسة علوم القرآن، ١٤٠٣هـ ــ ١٩٨٣م (دراسات حول المدينة المنورة ــ ٢) مقدمة المحقق ص ص ٣٧ ــ ٣٨.

٣١ــ صالح، عزت ياسين «دار الكتب المصرية والمكتبات الملحقة بها» **عالم الكتب** مج ٦، ع ٣ (محرم ١٤٠٦هـ ــ سبتمبر ١٩٨٥م) ص ٣١٧.

٣٢ــ المحاسني، سماء زكي «دار الكتب الوطنية الظاهرية في دمشق» **مجلة المكتبات والمعلومات العربية** س ٣، ع ٣ (يوليو ١٩٨٣م ــ رمضان ١٤٠٣هـ) ص ص ١٠٤ ــ ١٠٥.

٣٣ــ مكتبة الأوقاف العامة...، ص ص ١٠ ــ ١٥.

٣٤ــ انظر حديث الجبوري عن كل مكتبة منها وكذلك غيرها في كتابه: **مكتبة الأوقاف** ...

٣٥ــ التونسي، حمادي على / **المكتبات العامة بالمدينة المنورة ماضيها وحاضرها.ــ** رسالة ماجستير بإشراف عباس طاشكندي.ــ جدة: قسم المكتبات والمعلومات بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة الملك عبدالعزيز، ١٤٠١هـ ــ ١٩٨١م، ص ٣٠ وسزكين، فؤاد / **تاريخ التراث العربي: مجموعات المخطوطات العربية في مكتبات العالم** ترجمة محمود فهمي حجازي.ــ الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ١٤٠٢هـ

ـ ١٩٨٢م، ص ١٤٤.
٣٦ـ سزكين، ص ١٥٠.
٣٧ـ السابق، ص ١٧٢.

النتائج والتوصيات

أ ــ النتائج :

١ ــ تظهر هذه الدراسة أن المكتبة التي تهدف أن تخدم قطاعاً واسعاً ويقصد منها أن تكون معدة لاستقبال الباحثين والطلاب والدارسين عرفت عند العرب والمسلمين منذ بداية الأمر اعتماداً على الوقف، وبالتالي فإن جل ما يشار إليه عند دراسة تاريخ المكتبات الإسلامية من غير المكتبات الوقفية لا يمكن أن يشملها مفهوم المكتبة المعاصرة فهي إما أن تكون مكتبات خاصة بأفراد من العلماء والأثرياء أو مكتبات لأمراء وحكام لا يمكن من دخولها وارتيادها إلا قلة من الباحثين وبموجب شروط وقيود تخرجها عن مفهوم المكتبة.

٢ ــ أن المكتبة الوقفية تشكل بنية المكتبة العربية منذ القرن الرابع الهجري إلى أواخر القرن الثالث عشر، وأنها هي الإطار الفعلي لقيام وانتشار المكتبات في التاريخ العربي.

٣ ــ أن وقف الكتب عند العرب والمسلمين كان العامل الأساسي والمهم في نشر الثقافة، وتوسيع دائرة المعرفة لدى الطلاب والدارسين على مدى قرون طويلة من خلال المكتبات العامة والمدرسية ومكتبات الجوامع والربط والخانقاهات والمارستانات.

٤ ــ تظهر الدراسة عمق الاحساس لدى قادة الفكر والثقافة في القرون السالفة بدءاً من الرابع الهجري بأهمية توفير الكتاب، وتوفير السبل التي تساعد على الإستفادة منه عل نطاق واسع، الأمر الذي أدى إلى أن يكون في مدينة مثل مرو في القرن السابع الهجري، عشر مكتبات في وقت واحد جميعها عامة نتيجة اعتمادها على الوقف.

٥ ــ أنه على الرغم من الثمار الجنية التي كسبها المجتمع العربي من ازدهار المكتبات الوقفية وتعددها، إلا أن هناك من رفض خيرها العميم، فساعد على تدميرها بالحرق والسلب والنهب والسرقة، حتى أن من النادر أن تكون مكتبة وقفية قد سلمت من عنصر تدميري واحد من العناصر السابقة، وتجمع العناصر التدميرية كلها في بعض الأحيان في هدم مكتبة بعينها.

٦ ــ أن الشعور العام حتى بين العلماء كان يتميز بالتسامح والتراخي في التسلط على المكتبات الوقفية ونهبها نتيجة الشعور بضياع مسؤولية الإشراف عليها بعد موت الواقف في الغالب.

٧ ــ أن أغلب ما وصل إلينا من تراث مخطوط مصدره الكتب التي كانت وقفاً في المساجد والمدارس أو تلك التي كانت من وقف الأسر.

٨ ــ أن الفترة من القرن الرابع إلى القرن السابع شهدت نماء وازدهار الحركة المكتبية في العالم العربي بشكل لا نظير له من حيث ضخامة المجموعات وحسن التنظيم.

ب ــ التوصيات :

١ ــ ضرورة العودة إلى الوقف ليكون طريقاً نحو بناء حركة مكتبية زاهرة في العالم العربي كما كان عليه الأمر في الماضي، وهو ما يتطلب بث الوعي بين الأثرياء والعلماء باتخاذ هذا الأسلوب ليكون مصدراً من مصادر العمل الخيري البناء للمجتمع.

٢ ــ الإستفادة من تجربة الأسلاف التي تركزت علي المواكبة بين حلقات الدرس المفتوحة، وتشييد المكتبات لترفد ثقافة الطالب بما يمكنه من التوسع والاستزادة، وبالتالي تكوين شخصية علمية متميزة للدارسين.

٣ ــ التأكيد على الدور الحضاري الرائع للمكتبة العربية التي يمكن أن نعتبرها القاعدة التي أدت إلى قيام تلك الحضارة العربية في المجال العلمي والإنساني والتي نفاخر بها اليوم.

٤ ــ تعميق الوعي بين الدارسين المعاصرين بقضية المكتبة من خلال التركيز على دراسة جانب منها في كتب التاريخ المدرسية ليلم الطالب منذ البداية بأهمية المكتبة وأسبقية العرب في العناية بها منذ فترة مبكرة.

المراجع

— إبراهيم، عبداللطيف «مكتبة عثمانية: دراسة نقدية ونشر لرصيد المكتبة» **مجلة كلية الآداب** بجامعة القاهرة، مج ٢٠، ج ٢ (ديسمبر ١٩٥٨م) ص ص ١ ــ ٣٥.

— إبراهيم، عبداللطيف «المكتبة المملوكية» في: **دراسات في تاريخ الكتب والمكتبات الإسلامية**.ــ القاهرة: المؤلف (مطابع دار الشعب)، ١٩٦٢م.

— إبراهيم علي، عبداللطيف «من الوثائق العربية في العصور الوسطى نصان جديدان من وثيقة الأمير صرغتمش» **مجلة كلية الآداب** بجامعة القاهرة مج ٢٧ ع ١،٢ (مايو ــ ديسمبر ١٩٦٥م) ص ص ١٢١ ــ ١٥٨ «التعليقات العلمية والمصادر» مج ٢٨ ج ١، ٢ (مايو ــ ديسمبر ١٩٦٦م) ص ص ١٤٣ ــ ١٨٦.

— ابن الأثير، عز الدين أبو الحسين علي بن محمد (ت ٦٣٠هـ) / **الكامل في التاريخ**.ــ بيروت: دار صادر ــ دار بيروت، ١٤٠٢هـ ــ ١٩٨٢م.

— الأسنوي، جمال الدين عبدالرحيم (ت ٧٧٢هـ) / **طبقات الشافعية** تحقيق عبدالله الجبوري.ــ الرياض: دار العلوم، ١٤٠١ ــ ١٩٨١م.

— الأشرف الغساني، عماد الدين أبو العباس إسماعيل بن العباس بن رسول (ت ٨٠٣هـ) / **العسجد المسبوك والجوهر المحكوك في طبقات الخلفاء والملوك** تحقيق شاكر محمود عبدالمنعم.ــ بيروت: دار التراث العربي، ١٣٩٥هـ ــ ١٩٧٥م.

— الأصبهاني، أبو الفرج علي بن الحسين (ت ٣٥٦هـ) / **كتاب الأغاني** بتصحيح أحمد الشنقيطي.ــ القاهرة: محمد أفندي ساسي المغربي (مطبعة التقدم) ١٣٢٣هـ.

— ابن أبي أصيبعة، موفق الدين أبو العباس أحمد بن القاسم (ت ٦٦٨هـ) / **عيون الأنباء في طبقات الأطباء** تحقيق نزار رضا.ــ بيروت: دار مكتبة الحياة، ١٩٦٥م.

— الألوسي، شهاب الدين أبو الثناء محمود بن عبدالله (ت ١٢٧٠هـ) / **عارف حكمة حياته ومآثره** أو «شهى النغم في ترجمة شيخ الإسلام عارف

الحكم» تحقيق محمد العيد الخطراوي.ــ المدينة المنورة: مكتبة دار التراث، دمشق: مؤسسة علوم القرآن، ١٤٠٣هـ ــ ١٩٨٣م (دراسات حول المدينة المنورة ــ ٢).

ــ الألوسي، محمود شكري (ت ١٣٤٣هـ) / **المسك الأذفر في نشر مزايا القرن الثاني عشر والثالث عشر**. تحقيق عبدالله الجبوري.ــ الرياض: دار العلوم ١٤٠٢هـ ــ ١٩٨٢م.

ــ أمين، محمد محمد / **الأوقاف والحياة الاجتماعية في مصر ٦٤٨ ــ ٩٢٣ = ١٢٥٠ ــ ١٥١٧: دراسة تاريخية وثائقية**.ــ القاهرة: دار النهضة العربية، ١٩٨٠م.

ــ الأنصاري، عبدالقدوس / **موسوعة تاريخ مدينة جدة**.ــ ط ٢.ــ جدة: المؤلف (مطابع الروضة) ١٤٠١هـ ــ ١٩٨٠م.

ــ بدران، عبدالقادر (ت ١٣٤٦هـ) / **منادمة الاطلال ومسامرة الخيال**.ــ دمشق: المكتب الإسلامي، د. ت.

ــ البنداري، قوام الدين الفتح بن علي (ت ٦٢٣هـ) / **سنا البرق الشامي** (وهو مختصر البرق الشامي للعماد الأصبهاني) تحقيق رمضان ششن.ــ بيروت: دار الكتاب الجديد، ١٩٧١، القسم الأول.

ــ بهنام، هدى شوكة «الواقع المكتبي في الأندلس» **المكتبة العربية** (بغداد) ع ٢ (١٩٨٢م) ص ص ٦١ ــ ٩٦.

ــ البوريني، الحسن بن محمد (ت ٧٦٣ هـ) / **تراجم الأعيان من أبناء الزمان** تحقيق صلاح الدين المنجد.ــ دمشق: المجمع العلمي العربي، ١٩٦٣م.

ــ التميمي الداري، تقى الدين بن عبدالقادر الغزي (١٠٠٥هـ) **الطبقات السنية في تراجم الحنفية** تحقيق عبدالفتاح محمد الحلو.ــ الرياض: دار الرفاعي، ١٤٠٣هـ ــ ١٩٨٣م.

ــ التونسي، حمادي علي محمد / **المكتبات العامة بالمدينة المنورة ماضيها وحاضرها**.ــ رسالة ماجستير باشراف عباس طاشكندي.ــ جدة: قسم المكتبات والمعلومات في كلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة الملك عبدالعزيز، ١٤٠١هـ ــ ١٩٨١م.

ــ الجاسر، حمد / **الإمام أبو اسحاق الحربي وكتابه في المناسك وأماكن طرق الحج ومعالم الجزيرة**. ــ الرياض، دار اليمامة للبحث والترجمة

والنشر، (١٣٨٩هـ) (نصوص وأبحاث جغرافية وتاريخية عن جزيرة العرب ــ ٩).

ــ الجاسر، حمد / **مقتطفات من رحلة العياشي** (ماء الموائد).ــ الرياض: دار الرفاعي، ١٤٠٤هـ ــ ١٩٨٤م، (في رحاب الحرمين، أشهر رحلات الحج ــ ٢).

ــ الجبوري، عبدالله / **مكتبة الأوقاف العامة تاريخها ونوادر مخطوطاتها**.ــ بغداد: مجلة الرسالة الإسلامية (مطبعة المعارف)، ١٣٨٩هـ ــ ١٩٦٩م.

ــ الجعدي، عمر بن علي بن سمرة (ق ٦هـ) / **طبقات فقهاء اليمن** تحقيق فؤاد سيد.ــ القاهرة: مطبعة السنة المحمدية، ١٩٥٧م (المكتبة اليمنية ــ ١).

ــ ابن جماعة، محمد بن إبراهيم (ت ٧٣٣ هـ) /**تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم**.ــ بيروت: دار الكتب العلمية (مصورة بالأوفست عن الأصل المطبوع في دائرة المعارف العثمانية بحيدر أباد الدكن في عام ١٣٥٤هـ).

ــ ابن الجوزي، أبو الفتح عبدالرحمن بن علي بن محمد (ت ٥٩٧ هـ) / **المنتظم في تاريخ الملوك والأمم**.ــ حيدر أباد الدكن: دائرة المعارف العثمانية، ١٣٥٩هـ.

ــ الجوهري الصيرفي، علي بن داود (ت ٨٧٩ هـ) / **إنباء الهصر بأنباء العصر** تحقيق حسن حبشي.ــ القاهرة: دار الفكر العربي، ١٩٧٠م.

ــ الحبشي، عبدالله / **الكتاب في الحضارة الإسلامية**.ــ الكويت: شركة الربيعان، ١٩٨٢م.

ــ ابن حجر العسقلاني، شهاب الدين أحمد بن علي (ت ٨٥٢هـ) / **الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة** تحقيق محمد سيد جاد الحق.ــ القاهرة: دار الكتب الحديثة، د.ت.

ــ ابن الحسن الحسيني، شمس الدين أبو المحاسن محمد بن علي (ت ٧٦٥) / **ذيل تذكرة الحفاظ**.ــ بيروت: دار احياء التراث العربي (أوفست عن نسخة دائرة المعارف العثمانية في حيدر أباد الدكن بالهند عام ١٣٧٧هـ ــ ١٩٥٨م).

ـــ حمادة، محمد ماهر / **المكتبات في الإسلام: نشأتها وتطورها ومصائرها**.ـــ ط ٢.ـــ بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٣٩٨هـ ـــ ١٩٧٨م.

ـــ حمزة، عبداللطيف / **الحركة الفكرية في مصر في العصرين الأيوبي والمملوكي الأول**.ـــ القاهرة: دار الفكر العربي، [١٩٤٧م].

ـــ الخزرجي، علي بن الحسن (ت ٨١٢هـ) / **كتاب العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية** تحقيق محمد بسيوني عسل.ـــ (لندن)، أوقاف ذكرى مستر جب (القاهرة: مطبعة الهلال) ١٣٢٩هـ ـــ ١٩١١م.

ـــ ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد (ت ٦٨١هـ) / **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان** تحقيق إحسان عباس.ـــ بيروت. دار صادر، دار بيروت ١٣٩٧هـ ـــ ١٩٧٧م.

ـــ ابن الخياط، نزهة «مكتبة جامع القرويين عبر التاريخ»، **المجلة المغربية للتوثيق والمعلومات** ع ٣ .(مارس ١٩٨٥م) ص ص ٩ ـــ ٢٥.

ـــ الدباغ، محمد بن عبدالعزيز «خزانة القرويين ودورها الايجابي في حفظ التراث ونشره» **الناشر العربي** ع ٨ (فبراير ١٩٨٧م) ص ص ٤٥ ـــ ٤٨.

ـــ ابن الدبيثي، أبو عبدالله محمد بن سعيد (ت ٦٣٧هـ) / **ذيل تاريخ مدينة السلام بغداد** تحقيق بشار عواد معروف.ـــ بغداد: وزارة الثقافة والاعلام، ١٩٧٩م (سلسلة كتب التراث ٨٤).

ـــ ابن الدمياطي، أحمد بن أيبك (ت ٧٤٩) / **المستفاد من ذيل تاريخ بغداد** لابن النجار تحقيق قيصر أبو فرح.ـــ حيدر أباد الدكن: دائرة المعارف العثمانية، ١٣٩٩هـ ـــ ١٩٧٩م.

ـــ ابن الديبع الشيباني، عبدالرحمن بن علي بن محمد (ت ٩٩٤ هـ) / **الفضل المزيد على بغية المستفيد في أخبار زبيد** تحقيق محمد عيسى صالحية.ـــ الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ـــ قسم التراث العربي، ١٤٠٢هـ ـــ ١٩٨٢م.

ـــ ابن أبي دينار، أبو عبدالله محمد بن أبي القاسم الرعيني / **المؤنس في أخبار أفريقيا وتونس** تحقيق محمد شمام.ـــ تونس: المكتبة العتيقة، ١٣٨٧هـ.

ـــ الديوه جي، سعيد / **بيت الحكمة**.ـــ ط ٢.ـــ الموصل: المؤلف (مؤسسة دار الكتب للطباعة والنشر) ١٣٩٣هـ ـــ ١٩٨٢م.

ـ الديوه جي، سعيد / **بيت الحكمة**.ـ ط ٢.ـ الموصل: المؤلف (مؤسسة دار الكتب للطباعة والنشر) ١٣٩٣هـ ـ ١٩٨٢م.

ـ الديوه جي، سعيد / **تاريخ الموصل**.ـ الموصل: المؤلف (مطابع مديرية دار الكتب للطباعة والنشر بجامعة الموصل) ١٩٨٢م.

ـ الديوه جي، سعيد / **التربية والتعليم في الإسلام**.ـ الموصل: المؤلف (مطابع جامعة الموصل)، (١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م).

ـ الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت ٧٤٨هـ) / **سير أعلام النبلاء** تحقيق شعيب الأرنؤوط وآخرين.ـ بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م.

ـ الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت ٧٤٨هـ) / **كتاب تذكرة الحفاظ**.ـ ط ٤.ـ بيروت: دار إحياء التراث العربي (أوفست عن نسخة دائرة المعارف العثمانية في حيدر أباد الدكن بالهند عام ١٣٧٧هـ ـ ١٩٥٨م).

ـ الزركلي، خير الدين (ت ١٣٩٦هـ) الأعلام. ـ ط ٥. ـ بيروت: دار العلم للملايين، ١٤٠٠ ـ ١٩٨٠م.

ـ آل زلفه، محمد بن عبدالله «مخطوطات آل الحفظي بين الضياع والحفظ» **عالم الكتب** مج ٧، ع ٣ (محرم ١٤٠٧هـ ـ سبتمبر ١٩٨٦م) ص ص ٢٩٩ ـ ٣٠٧.

ـ زمباور / **معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي** ترجمة محمد حسن زكي، وحسن أحمد محمود.ـ بيروت: دار الرائد العربي، ١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م.

ـ بن زيان، بن علي محمد «خزانة بني عبدالجبار بفجيج، دار العدة» **دعوة الحق** ع ٢٤٨ (شعبان ١٤٠٥هـ ـ مايو ١٩٨٥م) ص ص ٩٥ ـ ١٠٢.

ـ بوزيان، بن علي محمد «الإمام عبدالجبار الفجيجي مؤسس الصرح الثقافي بفكيك» **دعوة الحق** ٢٥٤ (ربيع الثاني / جمادي الأولى ١٤٠٦هـ ـ يناير /فبراير ١٩٨٦م) ص ص ـ ١١٤ ـ ١٢٠.

ـ السباعي، مكي.

- Sibai, M Makki/An Historical Investigation of Mosque libraries in Islamic life and culture - Pb.D. - Bloomengton, school of library and information science, Indina university, 1984.

— سبط ابن الجوزي، شمس الدين أبو المظفر يوسف (ت ٦٥٥ هـ) / **مرآة الزمان في تاريخ الأعيان**.ــ حيدر أباد الدكن: دائرة المعارف العثمانية، ١٣٧٠هـ ــ ١٩٥١م.

— السبكي، تاج الدين عبد الوهاب (ت ٧٧١هـ/**معيد النعم ومبيد النقم** .ــ بيروت: مؤسسة الكتب الثقافية، ١٤٠٧هـ ــ ١٩٨٦م.

— السخاوي، شمس الدين محمد بن عبدالرحمن (ت ٩٠٢هـ) / **التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة**.ــ (المدينة المنورة) أسعد طرابزوني، ١٣٩٩هـ ــ ١٩٧٩م.

— السخاوي، شمس الدين محمد بن عبدالرحمن (ت ٩٠٢هـ) / **الذيل على رفع الأصر أو بغية العلماء والرواة** تحقيق جودة هلال ومحمد محمود صبيح.ــ القاهرة: الدار المصرية للتأليف والترجمة، د.ت.

— السخاوي، شمس الدين محمد بن عبدالرحمن (ت ٩٠٢هـ) / **الضوء اللامع لأهل القرن التاسع**.ــ بيروت: دار مكتبة الحياة د.ت.

— السخاوي، شمس الدين محمد بن عبدالرحمن (ت ٩٠٢هـ) / **كتاب التبر المسبوك في ذيل السلوك**.ــ القاهرة: مكتبة الكليات الأزهرية، د.ت.

— سزكين، فؤاد / **تاريخ التراث العربي: مجموعات المخطوطات العربية في مكتبات العالم** ترجمة محمود فهمي حجازي.ــ الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٠٢هـ ــ ١٩٨٢م.

— باسلامة، حسين عبدالله / **تاريخ عمارة المسجد الحرام بما أحتوى من مقام إبراهيم وبئر زمزم والمنبر وغير ذلك**.ــ جدة، المؤلف (المطبعة الشرقية)، ١٣٥٤هـ.

— السلامي، تقى الدين أبو المعالي محمد بن رافع (ت ٧٧٤هـ) / **الوفيات** تحقيق صالح مهدي عباس.ــ بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٢هـ ــ ١٩٨٢م.

— السيوطي، جلال الدين عبدالرحمن (ت ٩١١هـ) / **تاريخ الخلفاء أمراء المؤمنين القائمين بأمر الله**. ــ القاهرة: إدارة الطباعة المنيرية، ١٣٥١هـ.

ـ السيوطي، جلال الدين عبدالرحمن «بذل المجهود في خزانة محمود» تحقيق فؤاد سيد **مجلة معهد المخطوطات العربية** مج ٤ ج ١ (مايو ١٩٥٨م ـ شوال ١٣٧٧هـ) ص ص ١٣٤ ـ ١٣٦.
ـ ابن شاكر الكتبي، محمد (ت ٧٦٤ هـ) / **عيون التواريخ** الجزء الحادي والعشرين تحقيق نبيلة عبدالمنعم داود وفيصل السامر.ـ بغداد: وزارة الثقافة والاعلام، ١٩٨٤م (سلسلة كتب التراث ـ ١٢٢).
ـ ابن شاكر الكتبي، محمد (ت ٧٦٤هـ) / **فوات الوفيات والذيل عليها** تحقيق إحسان عباس.ـ بيروت: دار صادر، دار بيروت، (١٩٧٣م).
ـ ابن شداد، عز الدين محمد بن علي بن إبراهيم (ت ٦٨٤هـ) / **الاعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة الجزء الثالث** تحقيق يحيى عبارة.ـ دمشق: وزارة الثقافة والإرشاد القومي، ١٩٧٨م.
ـ ابن شداد، عز الدين محمد بن علي بن إبراهيم (ت ٦٨٤هـ) / **الاعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة** (تاريخ لبنان والأردن وفلسطين) تحقيق سامي الدهان.ـ دمشق: المعهد الفرنسي للدراسات العربية، ١٣٨٢هـ ـ ١٩٦٢م،.
ـ الشوكاني، محمد بن علي (ت ١٢٥٠هـ) / **البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع**.ـ بيروت: دار المعرفة، د.ت.
ـ صالح، عزت ياسين «دار الكتب المصرية والمكتبات الملحقة بها» **عالم الكتب** مج ٦، ع ٣ (محرم ١٤٠٦هـ ـ سبتمبر ١٩٨٥م) ص ص ٣١٧ ـ ٣٣٤.
ـ طاشكبري زاده، أحمد بن مصطفى بن خليل. (ت ٩٦٨هـ) / **الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية**.ـ بيروت: دار الكتاب العربي، ١٣٩٥هـ ـ ١٩٧٥م.
ـ طاشكبري زاده، أحمد بن مصطفى بن خليل (ت ٩٦٨) / **مفتاح السعادة ومصباح السيادة** تحقيق عبدالوهاب أبو النور وكامل البكري.ـ القاهرة: دار الكتب الحديثة، ١٩٦٨م.
ـ ابن طولون الصالحي، محمد (٩٥٣) / **القلائد الجوهرية في تاريخ الصالحية** تحقيق محمد دهمان.ـ ط ٢.ـ دمشق: مجمع اللغة العربية، ١٤٠١هـ ـ ١٩٨٠م،.
ـ عكاشة، ثروت / **فن الواسطى من خلال مقامات الحريري أثر إسلامي**

مصور.ــ القاهرة: دار المعارف، ١٩٧٤م.
ــ العلائي، إبراهيم بن محمد بن أيدمر (ت ٨٠٩هـ) / **الجوهر الثمين في سير الخلفاء والملوك والسلاطين** تحقيق سعيد عبدالفتاح عاشور.ــ مكة المكرمة: مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة أم القرى، (١٤٠٤هـ) (من التراث الإسلامي ــ ٤٤).
ــ عنان، محمد عبدالله / **تاريخ الجامع الأزهر في العصر الفاطمي مع تكملة له حتى العصر الحاضر**.ــ القاهرة: مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٣٦١هـ ــ ١٩٤١م (عيد الأزهر الألفي سنة ١٣٦١هـ).
ــ عواد كوركيس / **أقدم المخطوطات العربية في مكتبات العالم**.ــ بغداد: وزارة الثقافة والاعلام، ١٩٨٢م.
ــ عواد، كوركيس / **خزائن الكتب القديمة في العراق منذ أقدم العصور حتى سنة ١٠٠٠ للهجرة**.ــ ط ٢.ــ بيروت: دار الرائد العربي، ١٤٠٦هـ ــ ١٩٨٦م.
ــ العيدروسي، محيي الدين عبدالقادر بن شيخ (ت ١٠٣٨هـ) / **تاريخ النور السافر عن أخبار القرن العاشر**.ــ د.م، د.ن، د.ت.
ــ عيسى، أحمد / **تاريخ البيمارستانات في الإسلام**.ــ ط ٢.ــ بيروت: دار الرائد العربي، ١٤٠١هـ ــ ١٩٨١م.
ــ عيسى، محمد عبدالحميد / **تاريخ التعليم في الأندلس**.ــ القاهرة: دار الفكر العربي، ١٩٨٢م، (مكتبة التربية الإسلامية ــ الكتاب الرابع).
ــ الغزى، نجم الدين محمد بن محمد (ت ١٠٦٠هـ) / **الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة** تحقيق جبرائيل سليمان جبور.ــ بيروت: محمد أمين دمج وشركاه، ١٩٤٥م.
ــ غنيمة، محمد عبدالرحيم / **تاريخ الجامعات الإسلامية الكبرى**.ــ تطوان: معهد مولاى الحسن (دار الطباعة المغربية) ١٩٥٣م.
ــ الغياث، عبدالله بن فتح البغدادي (ق ١٠هـ) / **تاريخ الغياثى الفصل الخامس من سنة ٦٥٦ ــ ٨٩١هـ = ١٢٥٨ ــ ١٤٨٦م** تحقيق طارق نافع الحمداني.ــ بغداد: المحقق (ساعدت جامعة بغداد على نشره) ١٩٧٥م.
ــ الفاسي، تقى الدين محمد بن أحمد المكى (ت ٨٣٢هـ) / شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام.ــ بيروت: دار الكتب العلمية، د.ت.

ـــ الفاسي، تقى الدين محمد بن أحمد المكي (ت ٨٣٢هـ) / **العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين**. تحقيق فؤاد سيد.ـــ ط ٢.ـــ بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٥هـ ـــ ١٩٨٥م.

ـــ ابن الفرات، ناصر الدين محمد بن عبدالرحيم (ت ٨٠٧هـ) / **تاريخ ابن الفرات** تحقيق حسن محمد الشماع.ـــ البصرة: المحقق (ساعدت جامعة البصرة على طبعه) ١٣٨٦ ـــ ١٣٨٩هـ = ١٣٦٧هـ ـــ ١٩٦٩م. المجلد الرابع.

ـــ ابن فرحون اليعمرى، أبو محمد عبدالله بن محمد (ت ٧٦٩هـ) / **كتاب نصيحة المشاور وتسلية المجاور**. (مخطوطة، تم نسخها في سنة ١٠٩٣هـ ـــ محفوظة بدار الكتب المصرية ٤٣٠٤٩).

ـــ ابن فهد الهاشمي، النجم عمر بن محمد بن محمد (ت ٨٨٥هـ) / **اتحاف الورى بأخبار أم القرى** تحقيق فهيم شلتوت.ـــ مكة المكرمة: مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي بجامعة أم القرى، د.ت.

ـــ ابن فهد الهاشمي، النجم عمر بن محمد بن محمد (٨٨٥هـ) / **معجم الشيوخ** تحقيق محمد الزاهي.ـــ الرياض: دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، (١٩٨٢م؟) (مؤرخو مكة المكرمة ـــ ١).

ـــ ابن الفوطي، كمال الدين أبو الفضل عبدالرزاق (ت ٧٢٣هـ) / **الجزء الرابع من تلخيص مجمع الآداب في معجم الألقاب** تحقيق مصطفى جواد.ـــ دمشق: وزارة الثقافة الارشاد القومي، ١٩٦٢م.

ـــ قساطلى، نعمان / **الروضة الغناء في تاريخ دمشق الفيحاء**.ـــ ط ٢.ـــ بيروت: دار الرائد العربي، ١٤٠٢هـ ـــ ١٩٨٢م. (سلسلة التواريخ والرحلات ـــ ٤) مصورة عن طبعة ١٢٩٩هـ ـــ ١٨٧٩م.

ـــ القطبي، عبدالكريم (ت ١٠١٤هـ) **إعلام العلماء الأعلام ببناء المسجد الحرام** تحقيق أحمد جمال وعبدالعزيز الرفاعي وعبدالله الجبوري.ـــ الرياض: دار الرفاعي، ١٤٠٣هـ ـــ ١٩٨٣م (تواريخ مكة ـــ ١).

ـــ القفطي، جمال الدين أبو الحسين علي بن يوسف (ت ٦٤٦هـ) / **تاريخ الحكماء وهو مختصر الزوزني المسمى بالمنتخبات الملتقطات من كتاب أخبار العلماء بأخبار الحكماء**.ـــ بغداد: مكتبة المثنى، د.ت (أوفست عن طبعة ليبزج عام ١٩٠٣م).

ـ القنوجي، صديق بن حسن بن علي (ت ١٣٠٧هـ) / **التاج المكلل من جواهر مآثر الطراز الآخر والأول** تحقيق عبدالحكيم شرف الدين.ـ ط ٢.ـ بيروت: دار إقرأ، ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٣م.

ـ ابن كثير، عماد الدين اسماعيل بن عمر (ت ٧٧٤هـ) / **البداية والنهاية**.ـ ط٢.ـ بيروت: مكتبة المعارف، ١٩٧٧م.

ـ المحاسني، سماء زكي «دار الكتب الوطنية الظاهرية في دمشق» **مجلة المكتبات والمعلومات العربية** س ٣، ع ٣ (يوليو ١٩٨٣م ـ رمضان ١٤٠٣هـ) ص ص ١٠٢ ـ ١٢١.

ـ المحبي، محمد أمين (ت ١١١١هـ) / **خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر**.ـ بيروت: صادر، د.ت.(عن طبعة القاهرة ١٢٨٤هـ).

ـ مرداد، عبدالله أبو الخير (ت ١٣٤٣هـ) / **المختصر من كتاب نشر النور والزهر في تراجم أفاضل مكة من القرن العاشر إلى القرن الرابع عشر** اختصار وترتيب وتحقيق محمد سعيد العامودي وأحمد علي.ـ ط ٢ متقنة ومجودة. ـ جدة: عالم المعرفة، ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م.

ـ معروف، تاجي / **تاريخ علماء المستنصرية**.ـ بغداد: المؤلف (ساعدت جامعة بغداد على طبعه)، ١٣٨٤ ـ ١٩٦٥م.

ـ المقرى، أحمد بن محمد (ت ١٠٤١هـ) / **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب** تحقيق إحسان عباس.ـ بيروت: دار صادر، دار بيروت، ١٣٨٨هـ ـ ١٩٦٨م.

ـ المقريزي، تقى الدين أحمد بن علي (ت ٨٤٥هـ) / **كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروفة بالخطط المقريزية**.ـ طبعة جديدة بالأوفست.ـ بيروت: دار صادر،؟ (طبع الأصل في القاهرة بدار الطباعة المصرية ببولاق سنة ١٢٧٠هـ).

ـ ابن منقذ، مؤيد الدولة أسامة بن مرشد الكناني الشيزرى (ت ٥٨٤هـ) / **كتاب الاعتبار** تحقيق فيليب حتى.ـ برنستن: مطبعة جامعة برنستن (بالولايات المتحدة). ١٩٣٠م.

ـ ابن موسى، علي (ت. بعد ١٣٢٠هـ) «وصف المدينة المنورة في سنة ١٣٠٣هـ (١٨٨٥م)» **في رسائل في تاريخ المدينة**تحقيق حمد الجاسر.ـ الرياض: دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، ١٣٩٢هـ ـ ١٩٧٢م (نصوص

وأبحاث جغرافية تاريخية عن جزيرة العرب).
ـ النعيمي الدمشقي، عبدالقادر بن محمد (ت ٩٢٧ هـ) / **الدارس في تاريخ المدارس** تحقيق جعفر الحسنى.ـ دمشق: المجمع العلمي العربي، ١٣٦٧هـ ـ ١٩٤٨م.
ـ ابن هلال الصابي، غرس النعمة أبو الحسن محمد (٤٨٠هـ) / **الهفوات النادرة** تحقيق صالح الأشتر.ـ دمشق: مجمع اللغة العربية، ١٣٨٧هـ ـ ١٩٦٧م.
ـ ابن أبي الوفاء القرشي، محيي الدين عبدالقادر بن محمد (ت ٧٧٥هـ) / **الجواهر المضية في طبقات الحنفية** تحقيق عبدالفتاح الحلو.ـ الرياض: دار العلوم ١٣٩٨هـ ـ ١٩٧٨م.
ـ اليافعي، أبو محمد عبدالله بن أسعد بن علي (ت ٧٦٨هـ) / **مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان.ـ** ط٢.ـ بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ١٣٩٠هـ.
ـ ياقوت، ياقوت بن عبد الله الحموي (ت ٦٢٦هـ) / **معجم الأدباء** راجعته وزارة المعارف العمومية.ـ القاهرة: أحمد فريد الرفاعي (دار المأمون) (١٣٥٧ ـ ١٩٣٨).
ـ ياقوت، ياقوت بن عبد الله الحموى (ت ٦٢٦هـ) / **كتاب معجم البلدان** تحقيق محمد أمين الخانجي.ـ القاهرة: محمد أمين الخانجي (مطبعة السعادة) ١٣٢٤هـ ـ ١٩٠٦م.
ـ اليونيني البعلبكي، قطب الدين أبو الفتح موسى بن محمد (ت ٧٢٦هـ) / **ذيل مرآة الزمان.ـ** حيدر أباد الدكن: دائرة المعارف العثمانية، ١٣٧٤هـ ـ ١٩٥٤م.



الملحق

يتضمن هذا الملحق مجموعة من نصوص الوقف المثبتة على مخطوطات متوزعة في أماكن مختلفة، وقد استند الكاتب على هذه النصوص في جانب من الدراسة والتحليل.



[illegible] على طلبة العلم بالجامع الأزهر برواق المغاربة ١

كتاب أساس البلاغة

للعلامة الزمخشري

عفى الله عنه

وقف [illegible] جميع هذه النسخة المباركة [illegible] الشافعي الأحمدي [illegible] على طلبة العلم بالجامع الأزهر [illegible] برواق المغاربة وتفاصيلها شرعيا [illegible] ولا يوهب [illegible] فمن بدله بعد ما سمعه فإنما إثمه على الذين يبدلونه إن الله سميع عليم [illegible] في شهر رجب [illegible] من شهور الف ومائة ثلاثة وأربعين من الهجرة

اللوحة رقم (١)



اللوحة رقم (٢ أ)



كتاب
الميزان الشعرانية تأليف القطب الرباني
والهيكل الصمداني سيدي عبد الوهاب
الشعراني نفعه الله برحمته وأسكنه
فسيح جنته وأعاد علينا من بركاته
في الدين والدنيا
والآخرة
آمين

اللوحة رقم (٢ ب)

هذا شرح الخلاصه في علم الحساب

تاليف الشيخ الامام الحسابه الفهامه

احسن بن محمد [illegible]

كان الله له وعامله

بلطفه انه على

ما يشا قدير

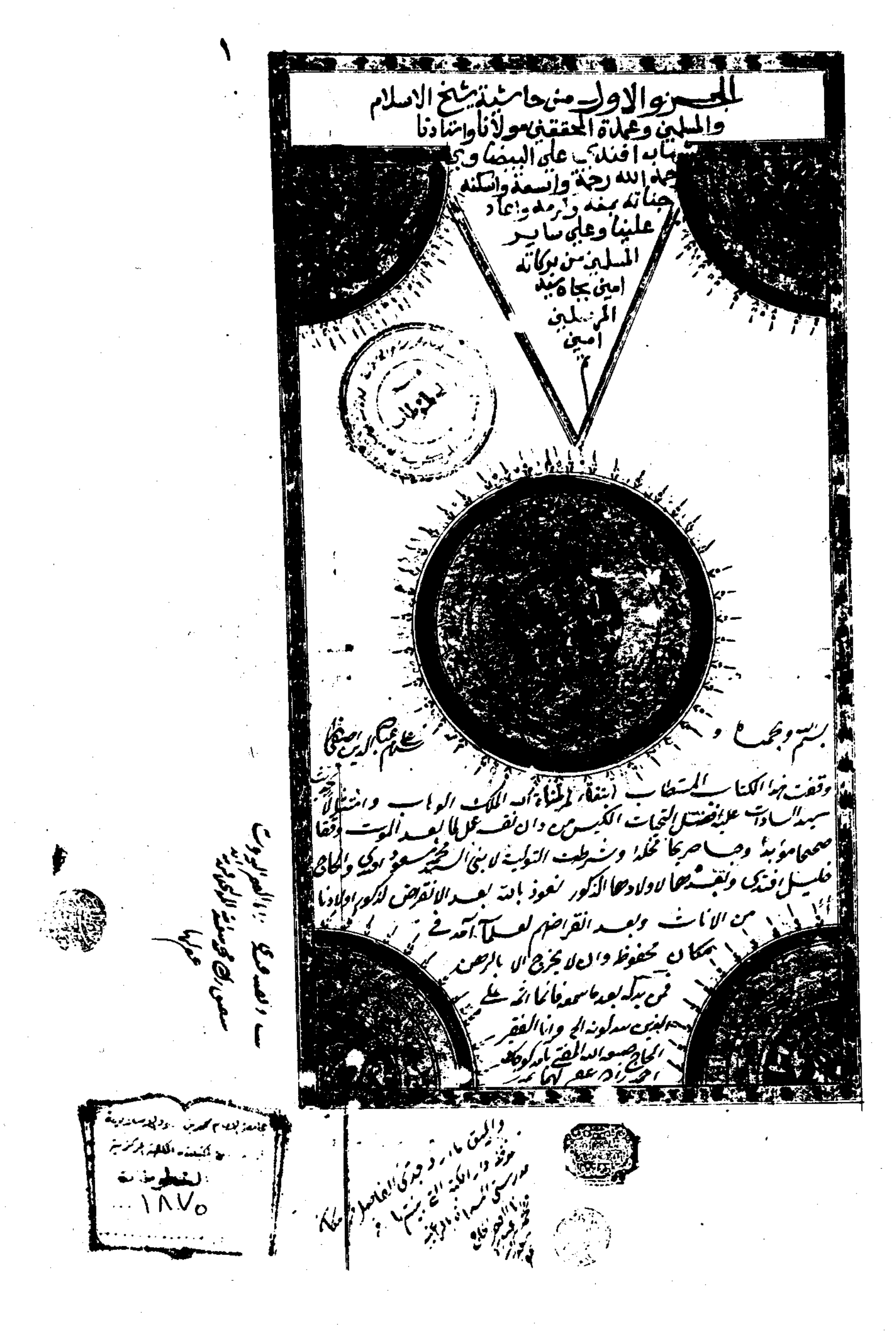
امين

ولا عرفنا الا من نشبه
ممن عنده الحق نسبته

و و

وقفت هذا الكتاب وقفا شرعيا
في بدقولا في مدره ستي محمد علي باشا بشرط
لا يباع ولا يوهب ولا يرهن من بدله
بعد ما سمعه فانما اثمه على الذين يبدلونه
وقف هذا الكتاب قولالي ابراهيم ابن خليل
رضاء لله تعالى واغفر لنا ذنوبنا برحمتك
يا ارحم الرحمين ولجميع المومنين والمومنات
امين

اللوحة رقم (٣)



اللوحة رقم (٤)

٢١٤

هذه حاشية العلامة الشيخ الامير على عبد السلام
في التوحيد الذي هو اصل علوم الدين الذي به شيدت
قواعد الدين وتقررت بالأدلة
والبراهين الجلية وحسن
والصلاة على خير الانبياء
عليه السلام

حيث قيل بالهامش شيخنا فالمراد به علامة
عصره ووحيد دهره الاستاذ الشيخ
ابراهيم الباجوري حفظه الله تعالى
ونفعنا بعلومه امين

اوقفت هذه الحاشية على من ينتفع بها من طلبة العلم
باي وجوه الانتفاع مطالعة ومراجعة وغيرهما ابتغاء
لوجه الله تعالى الكريم وطمعا في التخلص من عذاب الجحيم
ورجاء الفضل العظيم انه غفور رحيم جواد كريم وجعلت
النظر لنفسي ثم من بعدي للارشد فالارشد من ذريتي وعلى الله الكريم الاعتماد
نسأله التوفيق والسداد فمن بدله بعدما سمعه فانما اثمه
على الذين يبدلونه ان الله سميع عليم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى
آله وصحبه وسلم كلما ذكره الذاكرون وغفل عن ذكره الغافلون ورضي
الله تعالى عن اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اجمعين وعن التابعين
وتابعيهم الى يوم الدين وعن الائمة المجتهدين ومقلديهم وغفر
الله لي ولوالدي ولمشايخي ولجميع المسلمين والمسلمات الاحياء منهم
والاموات امين كتبه بيده الفانية محمد الامام الطاهر عفى الله
وهو بحال صحته عفا الله عنه وتقبل منه امين

اللوحة رقم (٥)

الجزء الثاني من صحيح مسلم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لواقف نيات اعمال العباد والصلوة والسلام على سيدنا محمد الشافع المشفع يوم التناد وعلى اله واصحابه اصحاب السداد وبعد فقد وقفت هذا الكتاب المستطاب وقفا صحيحا مؤبدا وحبسته حبسا شرعيا مخلدا ابتغاء لمرضات الله الملك الغفار وامتثالا لحديث بعد الممات والابرار الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت او كما قال المحدث وشرطت التولية بالاستعمال لي ما دمت حيا ثم لابني صبغة الله حفظه الله وقاه ثم لاولاده الذكور نعوذ بالله تعالى بعد الانقراض للذكور اولادنا من الاناث وبعد انقراضهم لعلماء آمد في مكان محفوظ ان لم اعين مكانا في حياتي والا فيها ونعمت وان لا يخرج الا بالرهن الغالي فمن بدله بعدما سمعه فانما اثمه على الذين يبدلونه

وانا الفقير السيد محمد راغب ابن مسعود افندي العريق بكوملك آمد زاده

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله الذي وفقنا لأسرار أعمال عباده والصلاة على رسوله وآله صلاة دائمة دوام
الأبد وبقائه وبعد وقفت هذه النسخة الشريفة ثلاثة أجزاء وقفا صحيحا ووضعتها
في دار الكتب في مدرسة ... أن لا يخرج إلا برهن ... بدله الآية

الجزء الأول من ... الفقير

١

وأنا الفقير الحاج محمد ... محمد سعود ... عفي عنهما

جَزُورٍ إذا سجد وضعه بين كتفيه فانبعث أشقاهم فلما سجد رسول
الله صلى الله عليه وسلم وضعه بين كتفيه وثبت النبي صلى الله عليه
وسلم ساجدا فضحكوا حتى مال بعضهم على بعض من الضحك
فانطلق منطلق إلى فاطمة وهي جويرية فأقبلت تسعى وثبت النبي
صلى الله عليه وسلم ساجدا حتى ألقته عنه وأقبلت عليهم
تسبهم فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلاة قال
اللهم عليك بقريش اللهم عليك بقريش اللهم عليك بقريش
ثم سمى اللهم عليك بعمرو بن هشام وشيبة بن ربيعة والوليد
بن عتبة وأمية بن خلف وعقبة بن أبي معيط وعمارة بن الوليد
قال عبد الله فوالله لقد رأيتهم صرعى يوم بدر ثم سحبوا إلى
القليب قليب بدر ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وأتبع
أصحاب القليب لعنة كتاب مواقيت الصلاة
بسم الله الرحمن الرحيم باب

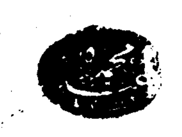
وعتبة بن ربيعة

اللوحة رقم (٧)

تعليق على هداية الحكمة ١

شرح هداية الحكمة

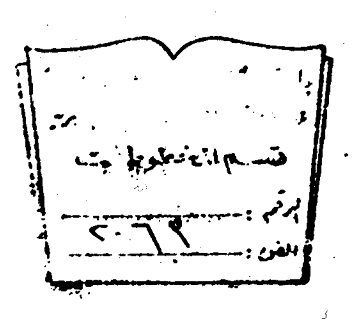
ملك هذا الكتاب محمد الطبيب
عفو الله له والوالديه والمسلم
امين



بسمه سبحانه [illegible]

قد وقفت هذا الكتاب وقفاً صحيحاً مؤبداً وحبسته حبساً
شرعياً مخلداً ووضعته دار الكتب التي في
مدرستي الراغبة وشرطت
ان لا يخرج الا برهن
[illegible]
وانا الفقير الحاج محمد راغب
محمد سعيد افندي [illegible]





اللوحة رقم (٨)

قيمت غروش

٩٨

الحمد لله الواقف على سرائر ضمائر عباده الذي أوجدهم من العدم
وسيعيدهم إلى معاده والصلاة والسلام على من علق الحوبة به أهل
البلى بإسناده وعلى آله وأصحابه الذين هم [illegible] في الدين وأوتاده
وبعد فلما [illegible] أخي وقرة عيني [illegible] إلى الآخرة على
الأولى [illegible] عنه [illegible]
الحسنات الجارية [illegible] فوقفت
هذه النسخة الشريفة التي هي [illegible] في دار الكتب التي بناها جدي المرحوم
الأوحد المغفور [illegible] على الراغبين [illegible]
وقف [illegible] من الكتب الشريفة طلباً لمرضاة الله
تعالى وأملاً أن يكون سبباً [illegible]
ومغفرة منه تعالى لسيئاته
وأنا الفقير إلى [illegible]
ذو العجز والتقصير السيد [illegible]
[illegible]
[illegible] بالحسنى
والزيادة

اللوحة رقم (٩)

النصف الثاني من صحيح مسلم
بن الحجاج القشيري
النيسابوري رحمه الله
ونفعنا به
آمين

في ملك أفقر عباد الله
الراجي عفو الله
محمد علي الفاسي
[illegible]
سنة ١٢٤١

الحمد لله وحده

حضر الى المجلس الشرعي بمحكمة مكة المشرفة لخمس ايام بقين من شهر المحرم عام السادس والاربعين بعد المايتين والالف الشيخ محمد بن الشيخ علي الفاسي واوقف كتابه هذا على طلبة العلم بالمسجد الحرام ممن ينتفع به من المسلمين وجعل مقره بيته وسلمه للناظر هو السيد احمد البخاري محضر المحكمة شارطا عليه بعد التسجيل وان لا يخرج المتذكر ثم في ثاني يوم من محضره رجع في وقفيته فنازعه الناظر المذكور فترافعا لمولانا الحاكم الشرعي فحكم بوقفيته حكما صحيحا شرعيا واقام الواقف عليه ناظرا ثم من بعده يكون للارشد من اولاده ثم لمنتمي [illegible] فعيه [illegible] والله خير [illegible] هدين

حرر [illegible] سنة ١٢٤٦

اللوحة رقم (١٠)

السدس الثالث من جمع الجوامع تأليف العلامة الجلال السيوطي رحمه الله تعالى وهو المشهور بالجامع الكبير

ملك الفقير إلى الله تعالى معيظ بن عوض باهشيم عفر الله له ولوالديه ولمن حج لهم بالعفو آمين م

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله محمد وآله وصحبه أجمعين
وبعد فإن المكرم المحترم الموفق الحاج عبيد بن وجبه باقدنم مالك
هذا المجلد من جمع الجوامع للحافظ السيوطي وما قبله وما بعده
من المجلدات قد وقفها جميعا عن نفسه ووالديه واصوله وفروعه
وامواته ابتغاء مرضات الله سائلا من الله ان يجعل ثواب ذالك
اليه واليهم والى رسول الله قبل ذالك وذريته وصحابته على طلبة
العلم المشتغلين به المنتفعين ما داموا وما بقوا الى آخر الدهر وجعل النظر
عليه للعم عمر ابن عبد الكريم عبد الرسول ثم لمن فيه اهلية من اولاده
ينتفعون به ويعيدونه لمن ينتفع به ويحفظونه لديهم وقفا
صحيحا شرعيا لا يباع ولا يوهب ولا يرهن ولا يوجر ولا يستبدل
به ولا يملك بوجه من الوجوه فمن بدله بعد ما سمعه فانما اثمه على الذين
يبدلونه ان الله سميع عليم تقبل الله منه ذالك واثابه عليه الثواب
الجزيل آمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم محرم الحرام ١٢٤٧

[illegible]

اللوحة رقم (١١)

وقفا لازما بان علقه بالمدرسة صح

هذا الكتاب مما وقفه الحاج محمد الوصية افقر البرية الى رحمة الله تعالى

السيد الحاج احمد حازم ابن المرحوم السيد الحاج عبد الرحمن الروحي الشهير

بجلبي افندي مدرسا بالمدرسة الكبرى لحضرة الصدر المرحوم

ابراهيم باشا ووضعه في بيت الكتب لتلك المرحوم

وجعل توليته لمدرس تلك المدرسة وشرط ان لا يخرج

من بيت الكتب الا برهن يساوي ضعف قيمته

فمن بدله بعد ما سمعه فانما اثمه على الذين يبدلونه

ان الله سميع عليم واجر الواقف على الحي الكريم

وكان ذلك في اليوم الـ ... من شهر

من شوال السنة ست وسبعين ومائتين

والف

اللوحة رقم (١٢)

من كتب الفقير محمد بن
عبد الرحمن ابو احمد
صفي الدين
عفي عنهما
اشتريت من تاريخ سنة
ثلث وخمسين وعشر [illegible]

قد اشترى هذا الكتاب من ثلث شعيبة رحمها الله تعالى
ابو [illegible] اسماعيل المفتي [illegible] ارض روم عفي الله عنهم
ليكون وقفا للقادرين على استعماله وشرط
ان يكون هو متوليه ثم اولاده الذكور بطنا
بعد بطن ثم اكبر اولاد ابنه الذكور كذلك
اللهم تقبل منها بحرمة حبيبك محمد صلى الله عليه وسلم
في شعبان سنة اربع ومائتين والف

اللوحة رقم (١٣)

الجزء الثالث عشر من ثلاثين جزءا

من كتاب الله العزيز

وممن حبس وسبل هذا الجزء وما شاكله وما يليه من الاجزاء
الى تمام خمسة عشر جزءا الاخوان ابو المغيث و [illegible] علي الكتاني
القراءة فيها بالجامع الكبير [illegible] الحرمة لا يباع
ولا يوهب ولا يرهن الى ان يرث الله الارض ومن عليها
تقبل الله ذلك منهما [illegible] محرم الحرام عام
خمس وتسعين [illegible] عليه
افضل الصلاة والسلام [illegible]
[illegible] ان الله سميع
وذلك بوصية [illegible] الكتاني

اللوحة رقم (١٤)

قد وقف وحبس هذا الكتاب المسمى بحديث مصابيح رضاء لله العليم
وهربا من عقابه الاليم يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من اتى الله
بقلب سليم وجعل الواقف توليته وقراءته للعبد الفقير الى رحمة ربه
اللطيف عبد اللطيف بن الحاج شيخ موسى من قضاء قره عيسالو في لواء بلدة
آدنه المحروسة عفاها الله تعالى وشرط ان لا يخرج من يده ما دام في حيوته ثم لولده
ثم لعصبته القادرين لمطالعته والمستفيدين من اهل ناحيته وبلده
وقفا صحيحا شرعيا وحبسا صريحا مرعيا بحيث لا يباع ولا يوهب
ولا يورث ولا يرهن ولا يبدل فمن بدله بعد ما سمعه
فانما اثمه على الذين يبدلونه ان الله سميع عليم

ثبت وقفه وقرر من سنة ثمان
وثمانين والف من الهجرة النبوية
عليه افضل الصلوة والتحية

ولاحترز لحديث سرد وليفتتح بقراءة حسن الصفات ثم الشيخ
يبتسم او يدعو ويقول الحمد لله رب العالمين والصلوة
والسلام الاتمان على سيد المرسلين كلما ذكره
الذاكرون وكلما سها عن ذكره الغافلون
اللهم صل عليه وعلى الرسل
النبيين وآله وسائر
الصالحين

اللوحة رقم (١٥)

شرح عقايد حلبي قد اشترى
حاجي على ارضي منتقشيات سـ
١٢٥

وقفت لأولاد الذكور ولاولاد اولاد الذكور
وقفاً صحيحاً لا يباع ولا يرهن فمن بدله
بعد ما سمعه على الذين يبدلونه
ان الله سميع عليم
الحج علي

اعلم ان كبار المسلمين الحنفية

قالوا الحق ان العالم كرة والارض في مركز والافلاك وقت والمولد في سهام والانسان هو المقصود فابن الملك نظر الرازي

ابو الحسن الاشعري وابو منصور الماتريدي
نافي المذهب الحنفي المذهب

علم الكلام هو علم يقتدر به معه على اثبات العقائد الدينية بايراد الحجج ودفع الشبه

شرح مواقف

اعلم ان كبار فرق الاسلامية ثمانية المعتزلة والشيعة والخوارج والمرجئة والنجارية والجبرية والمشبهة والناجية

اللوحة رقم (١٦)

قد وقفت هذا الكتاب لرضاء الله

تعالى وقفا صحيحا لا يباع ولا يشترى او

لا ولادي الذكور ولأرباب العلم

اللوحة رقم (١٧)



قد وقف وابد وخلد هذا
الكتاب على المستحقين
من طلبة العلوم العبد
الضعيف يوسف ابن الحاج
علي الشهير بالفاشوخ
عفي عنه

اللوحة رقم (١٨)

او رعس في هذه الكراسة لا إله إلا الله ... هذه المجلة ثاني المنان بلطفه الخفي
انا الحقير الحاج عزيز ...
علي عشر ١١٤٣

وقفت هذه النسخة الشريفة زوجة مريم بنت يوسف
لمرضات الله تعالى لا يباع ولا يشترى ولا يرهن ولا يستعمل
ولا يعطى في غير هذه و وقفت لاهل الحق من العلماء
العاملين لعن الله بايعها واشتريها بعد علمهما
الى هذا الوقف ١١٢٣

اللوحة رقم (١٩)

وقف واحبس هذا الكتاب

وقف وحبس هذا الكتاب امير المؤمنين
السلطان محمد بن مراد [illegible] وجعل مقره [illegible]
القديمة على اهل العلم منهم والناظر اليه ناظر [illegible]
[illegible]

اللوحة رقم (٢٠)

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد واله وصحبه اجمعين

وبعد فهذا بيان الكتب التي بايدينا للوالد ابراهيم الرزمي غفر الله له وللحقير عبد الخالق لطف الله به. ولابني احمد الحفظي جعله الله من العلماء العاملين وبعضها وقفه الوالد رحمه الله وباقي كتبي وقفتها اولاده الذكور والاناث على ما وقفت كتبه عليه

القرآن

الختمه الهنديه في نصف القطع سمعت الوالد رحمه الله يقول انه جرت بها حاج في زمن الشيخ بكري رحمه الله فقال هي وديعة ان عدت اخذتها وان لم اعد فهي لك لا ادري اوقف ام لا لكني اظنها مرقوفه فاعطاها الشيخ بكري ابنه احمد عبد القادر بكري رحمه الله ثم هي مع ابنه احمد الحفظي غفر الله له ثم بيد الوالد رحمه الله

التفاسير

الدر المنثور اربعه مجلدات وقفه الوالد رحمه الله وتفسير ابن عباس والبغوي لكاتبه الفقير الى ربه عبد الخالق لطف الله به ومجلد من تفسير الواحدي وثلاثة ارباع من الكشاف في مجلدين النصف الاول في مجلد للولد احمد الحفظي ولي المجلد الذي يليه ربع الكشاف الاخير وقد وهبته للولد احمد الحفظي فتح الله عليه والجلالين في نصف القطع وقفه [illegible] عبد الخالق ونصفه في ربع القطع [illegible] في القطع الكامل الجلالين [illegible]

كتب السنه

البخاري مجلدان ومسلم مجلدان وسنن ابي داود مجلد الكل لكاتبه عبد الخالق لطف الله به المجلد الاول من سنن ابن ماجه للوالد وقفه رحمه الله ومقدمة فتح الباري وشرح مسلم مجلدان وقفها الوالد رحمه الله وغفر له ومجلد من القسطلاني وقفه الحقير تقبل الله والتيسير نصفه الاول مجلد والنصف الثاني من جامع الكبير مجلد الصغير والخلاصه في الرجال لعبد الخالق واغاثة اللهفان مجلد كامل واعلام الموقعين مجلدان وبدايع [illegible] مجلد كامل والنصف الثاني من زاد المعاد مجلد كامل ونهاية ابن الاثير مجلدان وحادي الارواح مجلد نصف القطع والابهج للعامري الكل للوالد رحمه الله وقفها تقبل الله منه ومشكاة المصابيح لعبد الخالق مجلد في الكامل والنصف الاول من احياء علوم الدين وقفه [illegible] على [illegible] فاعطانيه بيدي وتذكرة القرطبي مجلد كبير [illegible] بيدي والتونسيه مجلد في نصف القطع لعبد الخالق وشرح مشارق الانوار لعبد الخالق وللوالد كتاب الطريقة المحمدية في نصف القطع واليمن [illegible] الطلبه والسيف الباتر وشرح العشر المسايل وشرح في المصطلح الترمذي [illegible] الكتاب للشيخ ملا علي قاري ونسخه للسيد اسماعيل وترجمة ابن تيميه وفي الكفايه وغير ذلك ورقات لمحمد بن عبد الوهاب وانباه الاذكيا بحياة الانبيا للسيوطي وزوايد في اسفل الكتاب ومجلد في الكامل للوالد اوله شرح عدة الحصن الحصين الامل ثم من المغني ثم من نيل الاوطار ثم من فتح القدير للشوكاني ثم العمده ثم نعت الخطبه ثم كلام الابن [illegible] في الوفود ثم نسخه في [illegible] الاجازه ثم الالفيه ثم ومجلد [illegible] في نصف القطع للوالد [illegible] ثلاث نسخ [illegible] ثم الدرر البهيه للشوكاني ثم نقولات [illegible] ثم الكلم الطيب ثم [illegible] ثم التخويف من النار ثم تحفة الاكرم شرح غرامي صحيح ثم نسخة البطليوسي ثم [illegible] ثم حواشي على شرح [illegible] من ديوان ابن [illegible] ثم منظومه [illegible] ثم منظومه [illegible] ثم المنهاج [illegible]

المجاميع

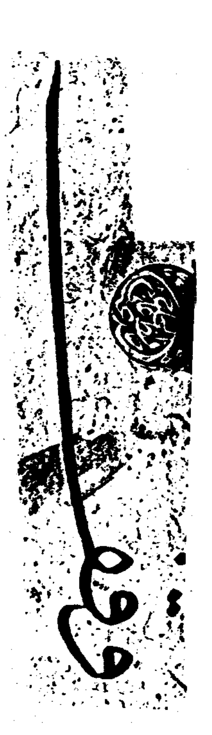
اللوحة رقم (٢١)

عنه لكونه مشغولاً عنه بضميره متمكن فيكره اضمار الفعل
قبله ثم ان المضمر اما ان يكون عين المظهر نحو ما ذكرنا او
فعلاً في معناه نحو زيداً مررت به اي جزته ولا يصح اضمار
مررت لانه لا ينصب المفعول واما ما هو لازم
معناه نحو زيداً ضربت غلامه اي اهنت
زيداً ضربت غلامه لان اهانة المولى
من لوازم ضرب الغلام وهذا
باب الاطناب فيه مجال
لكنه يفضي الى الملال فاقتصرت
على هذا التقدير فليس
الروي عن الشافي

تمت

قد وقع الفراغ من هذه النسخة الشريفة المباركة
الميمونة عن يد العبد الضعيف الفقير الحقير
المحتاج الى رحمة الله تع محمود بن بروان
بن علي غفر الله له ولوالديه ولاستاذه
ولجميع المؤمنين والمؤمنات والمسلمين
والمسلمات اجمعين برحمتك يا ارحم
الراحمين

اللوحة رقم (٢٢)



اللوحة رقم (٢٣)

الاختلاف اذ قد يعتبران بالدافع الصاعدة والدافعة الهابطة كما
في الزق المنفوخ فيه اذا اسكن تحت الماء وفي الحجر المسكن في الهواء و
ح كانا ملموسين بالجاذبية وقد يعتبران مبداء هاتين المدافعتين فيقع
الاشتباه في ملموسيتهما واراد بما يضاف الى الملموسات المذكورة
مثل اللطافة والكثافة واللزوجة والهشاشة قوله وبين ان يكون مستندا
الى العقل يريد به ان لا يكون الوصف مستندا الى الحس كما عرفته فيكون
انحصار الوصف في الحسي والعقلي ظاهرا قوله والعقلي ايضا يعني كما ان
مطلق الوصف ينقسم الى الحسي والعقلي كذلك الوصف العقلي ينقسم الى
حقيقي موجود في الخارج واعتباري لا وجود له فيه ولفظ مثل بالجر
بدل من الكيفيات والمعرفة ادراك متعلق بالمفرد والعلم ادراك متعلق
بالنسبة التامة الخبرية والكرم ايثار الغير بالخير والسخاء افادة ما
ينبغي لا لعوض والغريزة ما يجبل عليه الانسان من الاوصاف والخلق
ملكة يصدر بها عنه افعاله بسهولة ولما كان اكثر الاوصاف
الاعتبارية نسبية لان النسب والاضافات باسرها لا وجود
لها في الخارج عندهم عطف النسبي على الاعتباري عطفا قريبا من
العطف التفسيري واورد للنسبي امثلة اربعة فان كون الشيء
مطلوب الوجود او مطلوب العدم عند النفس وكونه مطموعا فيه او بعيدا
عن الطمع امور نسبية لا وجود لها فيما وصف بها ثم مثل للاعتباري الذي
ليس نسبيا بقوله او بشيء تصوري وهمي محض وهو عطف على قوله بكونه



اللوحة رقم (٢٤)

آل الأمير الكبير أمير بك بن المرحوم تورناش بك

هذا الكتاب حسبة لله وطلبا لمرضاته وأشهد عليه

مولانا عبد الرحمان بن حسن فقيه ومولانا سنان

بن أحمد وحاجي علي بن أغوز في تاريخ سبع وخمسين وثمانمائة

اللوحة رقم (٢٥)

قد وقف هذا المجلد الذي هو نصف الآخر من الكتاب المسمى بانوار التنزيل
واسرار التأويل الذي الفه الفاضل الشيخ العلامة الشهير بالقاضي البيضاوي
رحمه الله تعالى عليه رضاء لله تعالى وليكون مصداقا لقوله تعالى وما تقدموا
لانفسكم من خير تجدوه عند الله هو خيرا واعظم اجرا حمزه باشا
ابن احمد المرعشي اعطاه الله ما يشاء في الغداة والعشي وقفا صحيحا
شرعيا بحيث لا يباع ولا يشترى ولا يوهب ولا يورث ولا يستاجر
ولا يوجر ولا يرهن وشرط ان يحبس [illegible]
[illegible] حماها الله تعالى عن الآفات [illegible]
الكتب الموقوفة الى ان يطلبه من هو اهل لاستعماله من العلماء او
الطلبة الذين يقدرون على التعليم او التعلم وشرط ايضا ان لا
يمنع منهم وجعل التولية للشيخ حسن افندي الواعظ بالبرات
السلطانية في الجامع المذكور ثم لمتولي الكتب الموقوفة المحبوسة في الجامع
المرقوم وسلمه الى ذلك المتولي لدى الشهود العدول وسجله حاكم الشرع
الشريف في سجل محكمة مرعش المحمية في اواخر جمادى الآخرى سنة
ثلث وخمسين ومائة والف رحم الله من راعى الجهة المذكورة
واثاب من يخدم الخدمة المزبورة فمن بدله بعد ما سمعه
فانما اثمه على الذين يبدلونه ان الله
سميع عليم

شهود الحال الحاج اسمعيل اغا چاوشباشي ابن احمد اغا امين چاوشان وعمر اغا كتخداي چاوشان ساعقا ابن ولي

اللوحة رقم (٢٦)

ومن اصطلاحهم فعل ينبئ عن تعظيم المنعم فحذف لكونه منعماً فالنسبة بين الحمد العرفي واللغوي عموم وخصوص مطلقاً

وقف وحبس وسبل محمد الجركسي الصادق هذا الكتاب لله تعالى وجعل النظارة والانتفاع به لنفسه خاصة ما دام حياً ثم يعود الى اولاده ان كان ثم الى طلبة العلم الشريف ومستقره في جامع الازهر في خزانة رواق الاتراك وقفاً صحيحاً شرعياً وحبساً مرعياً لا يوهب ولا يباع ولا يرهن فمن بدله بعدما سمعه فانما اثمه على الذين يبدلونه ان الله سميع عليم صدق الله العظيم

اللوحة رقم (٢٧)



الا من رزق الاخرى حصر المحن فاللئيم يفضح والكريم يصلح لكن يا اخي
بعد الوقوف على حقيقة الحال والاطلاع على ما حرره المتأخرون كصاحب
البحر والنهر والفيض والمنح وجدنا المرحوم نوح افندي زاده واخي زاده وسعدي
افندي والزيلعي والاكمل والكمال وابن الكمال مع تحقيقه سنح بها البال وتلقيناها من
فحول الرجال وابى الله العصمة لكتاب غير كتابه والمنصف من اغتفر قليل خطأ المرء
في كثير صوابه ومع هذا فمن اتقن كتابي هذا فهو الفقيه الماهر ومن ظفر بما فيه
فسيقول بملء فيه كم ترك الاول للآخر ومن حصله فقد حصل له الحظ الوافر لانه
البحر لكن بلا ساحل ووابل القطر غير انه متواصل بحسن عبارات ورموز اشارات و
تنقيح معاني وتحرير مباني وليس الخبر كالعيان وستقر به بعد التأمل العينان فخذ
ما نظرت من حسن روضة الازهار ودع ما سمعت عن الحسن وسلمى خذ ما نظرت
ودع شيئا سمعت به في طلعة الشمس ما يغنيك عن زحل هذا وقد اوضحت اغراض
المصنفين اغراض سهام الالسنة الحساد ونفايس نفائسهم معرضة بايديهم

تنتهب فوائدها ثم ترميها بالكساد

اخا العلم لا تعجل بعيب مصنف ولم تتيقن زلة منه تعرف
فكم افسد الراوي كلاما بعقله وكم حرف الاقوال قوم وصحفوا
وكم ناسخ اضحى لمعنى مغيرا وجاء بشيء لم يرده المصنف

وما كان قصدي من هذا ان يدرج ذكري بين المحررين من المصنفين والمؤلفين بل النصح
رياض الشريعة وحفظ الفروع الصحيحة مع رجاء الغفران ودعاء الاخوان وما على من
اعرض الحاسدين عنه حال حياتي فسيتلقونه ان شاء الله تعالى بالقبول بعد وفاتي كما قيل

ارى الفتى ينكر فضل الفتى لؤما وخبثا فاذا ما ذهب
لج به الحرص على نكتة يكتبها عنه بماء الذهب

فها انا سالكا مهذبا لمقاصد هذا الفن مظهرا لدقائق استخرجت الفكر فيها اذا ما الليل
جن متحريا ارجح الاقوال واوجز العبارة معتمدا في دفع الايراد الطف الاشارة
فربما خالفت في حكم او دليل فحسب من الاطلاع له ولا فهم عدولا عن السبيل وربما غيرت
تبعا للشارح عبارة المصنف كلا او بعضا وما دري ان ذلك لنكتة تدق عن نظره وتخفى
وقد انشرني بشرح الحبر الشامي والبحر الطامي واحوز زمانه وحسنة اوانه شيخ

اللوحة رقم (٢٨)

الأول

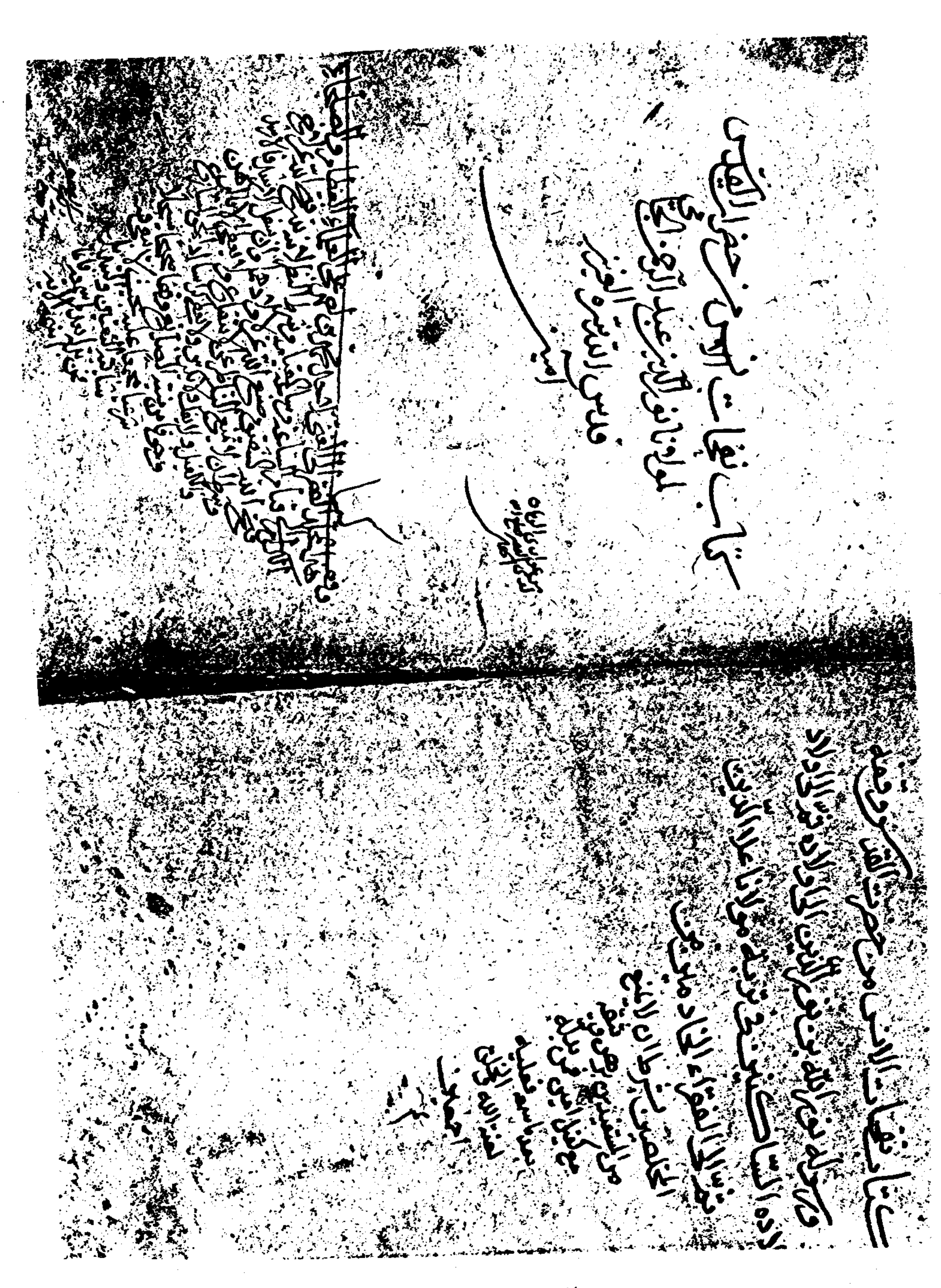
يامولاي ياواحد يامولاي يادائم ياعلي ياحكيم

كتاب نتحات الصفا بالسؤل لشرح اصول مقدمات الوصول تاليف الشيخ الإمام العالم العلامة برهان الدين إبراهيم بن محمود بن أحمد الاقصرائي الحنفي الشاذلي المواهبي نفعنا الله به في الدارين امين امين ام

تبرك به العبد الفقير ابو الانوار محمد وفا عفا الله عنه

الحمد لله
وقف الأستاذ أبو الأنوار محمد بن وفا بلغه الله مقاصده على طلبة العلم وجعل مقره بزاوية أسلافه آل دار آل وفا نفعنا الله بهم وشرط أن لا يخرج منه شيء إلا لثقة أو برهن ... من الناظر فيه أن يدعو له ولوالديه وجميع محبيه وصلى الله على نبيه الأعظم وعلى آله وصحبه وسلم

اللوحة رقم (٢٩)



اللوحة رقم (٣٠)

الحمد لله اشـــهد مولانا المعظم الارفع والصدر الامنع العالم العلامة واخر الفقهاء المحقق المدقق
المؤلف الاوحد [illegible] سيدنا ابو الحسن علي باشه باي صاحب كرسي تونس [illegible] التاريخ الواضح كما بعده
هنــ[illegible]ــا حفظه الله واسعده والى جميع الخيرات ارشده ابن الهمام المنعم المرحوم العابر
الى رحمة الحي القيوم سيدنا ابي عبد الله محمد باي رحمه الله الدرجة واسعده انه حبس هذا الكتاب
الشهير بالفتح على مدرسته التي انشا بناءها [illegible] وحوانيت عاشور في زاوية الشيخ
الولي الصالح سيدي محرز بن خلف داخل مدينة تونس ليطالع فيه من يكون مدرسا بالمدرسة المذكورة او مطالعا
بها [illegible] بشرط ان لا يخرج الا لمطالعه واما المدرس فله اخراجه الى دار المدرسة
المذكورة التي تجاه بابها المحبسة على المدرس [illegible] الكتاب [illegible] رده [illegible] حبس ما ذكر على من ذكر
كيف ذكر حبسا مؤبدا ووقفا مستمرا مدا الايام لا يباع ولا يوهب ولا يورث الى ان يرث الله الارض ومن عليها وهو خير الوارثين
موصي الناظر فيه بتقوى الله في حفظه وعدم اهماله والدعاء لمحبسه بما اعانه عليه من مواد العلوم شهر
على [illegible] بتاريخ [illegible] اواخر رمضان عام اربعة وخمسين ومائة والف من هجرة خير البرية
على صاحبها افضل الصلاة وازكى التحية

اللوحة رقم (٣١)